الدكتور : موسى العاشوري

دراسة لمسارات بعض القناصل الفرنسيين وصلاحياتهم بإيالة الجزائر (1830-1700)

الدكتور : موسى العاشوري

دراسة لمسارات بعض القناصل الفرنسيين وصلاحياتهم بإيالة الجزائر (1700-1830)

تصميم الغلاف

للطباعة والإشهار

عنوان الكتاب

دراسة لمسارات بعض القناصل الفرنسيين وصلاحياتهم بإيالة الجزائر (1830-1700)

تأليف

الدكتور : موسى العاشوري

كل الحقوق محفوظة©

لايسمح بالنسخ أو الطبع من هذا الكتاب أو تخزينه لاستعارة

المعلومات أو نقله إلا بإذن خطي من الكاتب

الطبعة الأولى

ردمك : 978-9969-9775-1-6

الإيداع القانوني : السداسي الثاني 2024

9 789969 977516

المسار

للطباعة والإشهار

032.21.28.50

0782.29.00.87

حي الإستقلال - كويبين ولاية الوادي

almassapub39@gmail.com

إهداء

إلى روح والدي الطاهرة

إلى أمي الغالية

إلى زوجتـــــي وأبنائي الأعـــزاء

إلى من علمـــــــنا حرفـــا

إلى أرواح الذين حرروا الجزائر بدمائهم الزكية

إلى كل من إطلع على هذا العمل

الدكتور :

موسى العاشوري

مقدمة: لقد ارتأينت خلال بحثنا هذا التطرق إلى مسار وسيرة بعض القناصل الفرنسيين كنماذج للبحث في الجانب الدبلوماسي للقناصل ممن عملوا بإيالة الجزائر عبر بيوغرافيات فردية، وليست هذه النماذج مسقطة على جميع القناصل ممن خدموا بقنصلية إيالة الجزائر، فمسارات القناصل تختلف في أشياء وتتشابه في أشياء أخرى، مثل انتماءاتهم وميولاتهم و الغرض من مسألة تعيينهم، والعامل الوحيد المشترك للقناصل بإيالة الجزائر، وهو أن معظم أعمالهم تصب في بوتقة واحدة وهي حماية المصالح الفرنسية بالدرجة الأولى، لكن ومع كل هذا لا ننكر الاختلاف في بعض سلوكيات القناصل، فمنهم الحذق الذي يعرف كيف يتعامل مع الحكام الأتراك، ومنهم المتعجرف والمتسبب للمشاكل، وهذا حسب طبيعة كل قنصل، ولتتبع مسارات هؤلاء القناصل وجب التعمق في ما ورد عبر مراسلاتهم وتقاريرهم، وكذلك عبر ما تناولته المصادر حول مساراتهم الدبلوماسية، ومن هنا وجب طرح بعض الإشكاليات لفهم مساراتهم جيدا، كيف كانت علاقاتهم بحكام إيالة الجزائر؟ والعناصر النافذة في البلاد؟ و دورهم في إرساء السلم والأمن مع حكام الجزائر؟ مسألة تحرير الأسرى، مسألة حماية المصالح التجارية؟ وهذا يتأتى وفق العلاقات الطيبة مع حكام الجزائر والديوان، كما يتطلب تقديم الهدايا المعتبرة للداي وأعضاء مجلسه النافذين، لكن هذا لا ينفي وجود جو مشحون بالمشاكل في بعض الأحيان مع القناصل، ويكون إما لتصرفات القناصل أنفسهم العدائية مع حكام الجزائر وتصرفاتهم المتعالية أحيانا أخرى، من جانب ثاني دور القنصل في عملية تحرير الأسرى الجزائريين، فغالبا ما تكون هذه المسيرة مشوبة بالتوتر والحوار الطويل الأمد، فتحرير الأسرى يأخذ الكثير من الوقت وهو ما يؤدي بالداي إلى القلق، وفي كثير من الاحيان تتطور الأمور إلى سجن القنصل أو حتى طرده، لكن في غالب الوقت يتم إتباع الطرق السلمية من طرف القنصل لحل مشاكل الأسر والقرصنة حفاظا على نفسه من غضب الداي، وتحيق مصالح بلاده.

كذلك من الجانب التاريخي ارتأيت اختيار هؤلاء القناصل لأنني لاحظت تميز كل واحد منهم بشيء معين يجعلنا نتحمس للبحث في مسار هاته الشخصية، فالقنصل الأول دارفيوا وجدنا أنه قنصل معين من طرف الملك لويس الرابع عشر، حيث حظي بتبجيل كبير من طرفه، حتى أنه بعث معه رسالة إلى الداي محمد حاجي ليحسن استقباله ويساعده في مهمته الخاصة، وهذا بعد أن شهدت العلاقات مع الجزائر فتورا وتدهور ملحوظ، أما القنصل فالبير فقد جاء في ظروف جد حساسة حيث شهدت فرنسا أحداث الثورة الفرنسية وما ألت إليه من صعوبة الحصول على المؤن فكان اختيار القنصل فالبير في الوقت المناسب، باعتبار أنه ليين في تعاملاته ولديه علاقات جيدة مع الداي والديوان، زيادة على أنه صهر القنصل مايفرن، والذي هو الصديق المقرب للداي، أم اختيار القنصل ديبوا تانفيل فلنا أيضا أسبابنا لاختياره ضمن هذه الدراسة، فهو محسوب على الفترة النابليونية أرسله الإمبراطور نابليون لعقد هدنة مع الجزائر، كان لها وقع مميز في مجال علاقات السلم، ومن جهة أخرى طمأنة نابليون لعدم تدخل الإيالة الجزائرية حيال حملته على مصر، كما ساهم أيضا القنصل ديبوا في توفير بعض حاجيات المؤن للجيوش الفرنسية المرابطة في مالطة، وبقي في منصبه حتى معركة واترلوا 1814م المعلنة عن نهاية العهد النابليوني تقريبا، ثم رجع مع رجوع نابليون في حكم المائة يوم، وبعده أخترنا القنصل دوفال بإعتباره صاحب النكبة على كل الجزائريين والذي مزال ذكره يوجع قلوب جميع الجزائريين حيال مكره ودهائه، فهذه الشخصية الماكرة وجب علينا التطرق لها ومعرفة مسارها وأسبابها التي أدت إلى احتلال الجزائر، وكيف هيأ الظروف لهذا الاحتلال بالرغم من أن عديد القناصل توافدوا على الجزائر وبرغم ضعفها في فترات معينة، لكنهم لم يجرؤو على إغضاب الداي أو الدخول في صراع مع الحكام.

ومن الأسباب المنهجية كذلك اخترنا هؤلاء القناصل وفق ما وجدنا من معلومات متوفرة ضمن بعض المصادر التي توفرت فيها معلومات عنهم وبعض الوثائق الأرشيفية التي بحوزتنا، وبعض من مقتطفات رسائلهم وتقاريرهم المكتوبة أو المنشورة عبر خاصية الميكروفيلم ANOM بموقع الأرشيف الفرنسي.

ومن هنا يتوجب علينا طرح التساؤل التالي: كيف كانت علاقة القناصل الفرنسيين بحكام الجزائر العثمانية؟ و فيما تمثلت صلاحياتهم وانشطتهم؟

الفصل الأول: التعريف ببعض القناصل وعلاقاتهم مع حكام الجزائر:

المبحث الاول: المسار الدبلوماسي للقنصل الفارس دارفيو(chevalier D'arvieux) 1674-1675:

1: لمحة تاريخية عن القنصل الفارس دارفيو:

1-1: ولادته ونشأته:

ولد لوران دارفيو في 21 جوان سنة 1635م بمرسيليا، لعائلة نبيلة تنحدر من أحد فروع عائلة إيطالية شهيرة، أصلها من لومباردية، وتسمى(Arveo –Arvei) بصيغة الجمع، كما احتفظ فرع بروفنسال بهذا الاسم و بالشكل التالف (Arviou)، و الاسم الذي نعرفه به الآن هو الفارس D'Arvieux [1]، و ما زال يحتفظ به لحد الأن في كامل الارشيفات، وفي عهد وزير الخارجية إم دي ليون هو الذي أضاف علامة " x " و " d " بشكل نهائي أثناء تعيينه كمبعوث استثنائي إلى الباب العالي[2].

[1] M louis Moreri, **Nouveau supplément au grand dictionnaire historique**, T1, jacques Vincent, paris, 1732, p61.

[2] Vanezia Parlea, " Le chevalier d'Arvieux, Éléments biographiques et parcours viatique", https://books.openedition.org/ugaeditions/127, p1.

1-2: دراسته ورحلته إلى الشام والجزائر:

درس الشاب D'Arvieux في كلية مرسيليا، حيث أظهر ميلا خاصا للرياضيات واللغات الأجنبية ظل الفارس دارفيو في مرسيليا وتخصص في ميدانه، وشعر بالرغبة في تعلم اللغات الأجنبية والسفر وبعد وفاة والده اعتمدت عليه أسرته لتولي شؤونها، و وفقا للمزايا الممنوحة من طرف الملك لويس الثالث عشر حول تسهيل عملية التجارة في الشام للقناصل، حيث كانت لدى الشاب دارفيوا ميول ورغبة جامحة لخوض هذه المغامرة والاستفادة من أموال بلاد الشام، وبما أن أبناء عمومته، كانوا هناك بالفعل، قرر دارفيو بأن يأخذ هذا المسار، وهو أفضل مسار يمكن اعتماده، كما رغب في السفر لتعلم اللغات الشرقية، ويمكننا أن نرى بالفعل رفضه لأسلوب الحياة المستقر، لكن رحلته هذه لن تحقق له كامل رغبته، فقد مر السيد دارفيوا بمرحلة صعبة جدا، وهذا ما تؤكده سنوات التكوين و المخاطر البحرية التي تعرض لها، مع هجمات القراصنة والعواصف[1].

بدأ الشاب لوران دارفيوا رحلته المشهورة بالصعود من مرسيليا على متن السفينة الملكية (Postillon) شهر أكتوبر سنة1653م، وهو البالغ من العمر ثمانية عشر عاما، وعند وصوله إلى جنوة وجد فرقاطة من مدينة دونكيرك تنوي مهاجمة السفينة التي يركبها دارفيوا أثناء خروجها من الميناء، حيث غادر بعض الركاب السفينة وهم في حالة من الذعر، وأراد أن يتخلى هو نفسه عن رحلته طوعا حفاظا على حياته، وقد جاءت تصريحات القنصل دارفيوا، أنه يعتزم مواصلة رحلته لتحقيق مساره فيقول:"...كنت حريصا على عدم اتخاذ هذه الخطوة، وكنت أرغب كثيرا في الذهاب إلى بلاد الشام، حيث أردت تحمل المخاطر، مع تحمل أي شيء يمكن أن يحدث لي... "، و بهذه المغامرة الصعبة فقد حقق رغبته بالقيام

[1] Guillaume Calafat, "A (Nest of Pirates) Diplomatic Mediators in 1670s Algiers", **École française de Rome**/Université Paris I Panthéon-Sorbonne, paris, 2018, p4.

برحلته إلى بلاد الشام، والتي يبدو أنها تتجاوز الهدف البسيط المتمثل في كسب الثروة، فهي من دون شك ساهمت في صقل موهبته الدبلوماسية[1].

أول محطة في رحلة الشاب دارفيوا، هي مدينة إسطنبول وصل لها يوم 4 ديسمبر 1653م، ووجد الترحيب من أبناء عمومته، والذين بدورهم قدموه تدريجيا إلى أشخاص مهمين، وكان حامل خطابات التوصية للملك، يقول دارفيو حول ذلك:"... لقد أحضروا ملابسي، وأعطوني غرفة، حيث استقريت لغرض تعلم اللغات الشرقية والتجارة..."، وبعد ثلاثة أشهر من وصوله إلى إسطنبول، سيبقى الشاب D'Arvieux جنبا إلى جنب مع أبناء عمومته و نجل أمين المحفوظات من مرسيليا، الذين كان من المقرر أن يظلوا في إسطنبول لمواصلة أعمالهم، أما الشاب دارفيوا فعليه البقاء لفترة محددة لتعلم اللغات الشرقية والتجارة[2].

وبعدما قضى دارفيوا مدة أربع سنوات من التدريب في إسطنبول، وفي 7 فيفري سنة 1658م انطلق دارفيوا على متن سفينة انجليزية إلى صيدا عبر مصر، ثم إلى عكا و في 15 أبريل 1658م سيستقر دارفيوا في بلاد الشام، والتي تعتبر إقامة مربحة بالنسبة له[3]، وبالحديث عن رحلته إلى الجزائر والتطورات السياسية لحكومة إيالة الجزائر بين الماضي والحاضر ولمختلف الحكام الذين خلفوا بعضهم البعض، فإن التفاصيل المتعلقة بتجربة دارفيوا الشخصية تبدو أكثر إثارة للاهتمام، فقد شهد اهتمام خاص في الجزائر، ونرجح هذا الأمر ربما لمظهره الأنيق جدا، وليس لإتقانه اللغات الشرقية وحنكته الدبلوماسية، فالجزائر

---

[1] Vanezia Parlea, " Le chevalier d'Arvieux, consul de France à Alger et à Alep", https://books.openedition.org/ugaeditions/127.

[2] Vanezia Parlea, **Le chevalier d'Arvieux**, op cit, p 05.

[3] كتب دارفيوا في مذكراته أنه نادرا ما يعتمد على المترجمين في إيالة الجزائر، فهو يعتقد أن إتقانه للغات الشرقية ميزة حسنة في المفاوضات مع حكام الجزائر، لكنه هو نفسه عزا فشله في الجزائر إلى معرفته باللغة التركية، الأمر الذي جعله على ما يبدو يثير الريبة لدى العرب.

J Dakhlia, " Lingua franca, histoire d'une langue métisse en Méditerranée", **Arles**, **Actes Sud**, 2008, p104.

شهدت توافد عديد القناصل الفرنسيين، ومنهم من هو اكثر براعة من القنصل دارفيوا، وفي اعتقادي أن المدة التي قضاها دارفيوا بالجزائر ليست بالطويلة حتى تساعده على تكوين صدقات ومعارف وثيقة، ربما وجدت بعض العلاقات المحدودة لتسهيل مهامه فقط وفي إطار ضيق، وهذا بما أنه رجل منفتح بشكل استثنائي، ومثير للاهتمام بشكل خاص، أما بالنسبة للتجارة، وهي الميزة التي يرغب كل القناصل في امتهانها، فقد أكد لنا دارفيو أن الوضع مواتٍ، لأن جل المراكز التجارية في الشرق الجزائري تتبع الفرنسيين[1].

1-3: زواجه وتقاعده ثم وفاته:

في هذا الإطار يختتم الأب لابات قصة مغامرات شوفالييه دارفيوا، وهو بعد عودته إلى باريس في 19 نوفمبر 1686م، فقد اضطر إلى البقاء هناك حتى ديسمبر 1689م لترتيب شؤونه، على الرغم من رغبته في التقاعد بالأقاليم، بالإضافة إلى ذلك وبناء على إصرار عائلته، تزوج في 12 ماي 1690م السيدة مارجريت دي فابر، وهي سيدة شابة من عائلة نبلاء مرسيليا، و توفي في 30 أكتوبر 1702 دون أن يبلغ من العمر سبعة وستين عاما[2].

---

[1] رسالة الملك لويس الرابع عشر إلى الداي حاجي محمد سنة 1674م عند وصول القنصل دارفيوا إلى الجزائر: " لقد تلقينا الرسائل التي كتبتها إلينا في سبتمبر الماضي، ومنذ أن أصدرنا تعليمات للسيد Chevalier d'Arvieux قنصلنا في مدينتك الجزائر، نعلن نوايانا في جميع النقاط الواردة في معاهداتنا، ويسعدنا إخبارك أنه يمكنك تقديم ملف الثقة الكاملة في كل ما سيقوله لك منا، و ليس لدينا شك في أنك تحافظ على بنود المعاهدات التي أبرمت معك نيابة عنا، من طرف ابن عم الدوق دي بوفورت عام 1666م وفي عام 1670 من طرف السيد ماركيز مارتل، قائد جيوشنا البحرية، ومن هنا نحن نسأل الله أن يكون لك دور كبير في السلام أيها الحاكم العظيم.

Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833**, T1, librairie Felix Alcan, paris, 1889, p74.

[2] Vanezia Parlea, **Le chevalier d'Arvieux,** op cit, p 19.

2: رحلة دارفيوا كمبعوث خاص إلى الجزائر برتبة قنصل:

جاء تعيين هذا القنصل في الفترة التي شهدت أوضاع حرجة بإيالة الجزائر من خلال الصراعات السياسية والعسكرية و الانقلابات الشبه دائمة لنظام الأغاوات(1659-1671)م، وبداية تشكل نظام جديد عرف فيما بعد بنظام الدايات، كما شهدت أوضاع أخرى لا تقل أهمية حول العلاقات الدبلوماسية بين فرنسا والجزائر كادت أن تؤدي إلى قطيعة سياسية أو ربما إلى حرب غير معلنة بالمفهوم المتعارف عنه، وهذا الحدث هو استغلال القنصل دي بورديو (Dubourdieu) لأوضاع الإيالة ومسألة تغيير نظام الحكم فعمد إلى تهريب الأسرى الأوروبيين عبر السفن الراسية في ميناء الجزائر، بعد أن يتم إخفاؤهم بمنزله. وفي هذا الصدد وجه الداي رسالة إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر يشتكي فيها مسألة هروب الأسرى ولجوئهم للقوارب الفرنسية، حيث جاء محتوى الرسالة كالتالي:" ... إن سفنكم عندما تقصد ميناء الجزائر للتزود بالماء والمؤن والتي هي في أمس الحاجة إليها، وبعد التهيؤ للإبحار تستقل معها أقنان تابعين للخواص والذين يلجؤون الهيا عن طريق الزوارق فتحملهم السفن معها، ثم يأتي سادة هؤلاء الأسرى الفارين يشتكون إلينا، ولهذا وجب عليكم منع هذه الظاهرة..."[1] وبعدما تبين أن للقنصل دي بورديو دخل في هذا الأمر، أمره الداي بالتوجه للمركب لإعادة الأسرى لكنه فضل المغادرة خوفا من العقاب، وهنا جاءت الأوامر من الوزير كولبير إلى القنصل دارفيوا خلال سنة1671م، أن عليه التحضير لرحلة إلى الساحل الإفريقي، وبالتحديد إلى إيالة الجزائر[2]، وهي رحلة كان قد أعدت له منذ فترة طويلة، لكن جاء الوقت المناسب لتحقيق أغراض هاته الرحلة، قد حصل كذلك على موافقة الملك حيث أوكله مهمة البت في قضية الباستيون التي طالما شغلت الغرفة التجارية بمرسيليا، وكم كانت رغبة

[1] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، دار هومة للنشر، الجزائر، 2010، ص 144.

[2] Jean-Baptiste labat, **Mémoires du chevalier D' arvieux**, de l'ordre des Frères Prêcheurs, T5, Paris, M. DCC. XXXV, p57.

القنصل دارفيوا شديدة لهذا المنصب، فطمع في مكافأة الملك[1]، و كان الأمر يتعلق بإجراء مفاوضات مع سلطات إيالة الجزائر حول المعقل التجاري الفرنسي الكائن محله بالشرق الجزائري، حيث كانت القضية أكثر حساسية، بالإضافة إلى مصالح الجزائريين، كان الشركاء الفرنسيون أنفسهم متورطين، والمؤامرات اللانهائية كانت تختمر هناك وبالتالي كان من المفترض أن يتفاوض القنصل دارفيوا مع الجزائريين لأجل تسوية الأمر بين جميع الأطراف المعنية، وعلاوة على ذلك و بعد إقالة القنصل الفرنسي ديبورديو Dubordieu [2]، من طرف داي الجزائر[3]، أضطر شوفالييه دارفيوا للموافقة على الذهاب إلى مدينة الجزائر باعتباره القنصل الجديد لفرنسا، رغم أنه يتوقع مضايقات شديدة[4]، ومن الأسباب التي أدت إلى اختيار القنصل دارفيوا من طرف الوزير كولبير، كون التفاصيل المتعلقة بتجربته الشخصية تبدو أكثر إثارة للاهتمام خلال هذه الفترة، إذ هو يتمتع بميزة إتقان اللغات الشرقية وبالتالي يضمن التواصل المباشر دون الحاجة إلى مترجم وفهم عقلية الحكام الجزائريين، كذلك يعتبر شخص منفتح بشكل استثنائي، ومثير للاهتمام بشكل خاص من خلال مظهره وأناقته وطريقة لبسه ومعاملاته لحكام الإيالة الجزائرية، كذلك خبرته الطويلة التي اكتسبها عبر عمله في الدولة العثمانية وبلاد الشام أكسبته شهرة واسعة في المجال الدبلوماسي والتجاري، كما حافظ على علاقات وثيقة في المجال الدبلوماسي وكان

---

[1] Mémoires du chevalier D' arvieux, ibid, p 69.

[2] ACCM série J, ART, 1349, objet Dubourdieu.

[3] Courtinot Roland, **La piraterie barbaresque en Méditerranée au XVI– XIX^{ème}**, Ed jaques gandini, paris, 2003, p 91.

[4] رسالة من الدأي حاجي محمد، هذا نصها: " ... يبدو أن كلماتنا لم تؤثر عليه، ففي نفس الليلة هرب عدد من الأسرى المسيحيين، فقد ألقوا بأنفسهم في البحر وهربوا في السفن الفرنسية، فقد أرسلنا القنصل ديبورديو مرة أخرى لمعرفة ما نية فعل هذا العمل السيئ، وإذا كان هذا من الممكن أن يكسر السلام الذي كان بيننا، ومما لا شك فيه فقد انتابتنا بعض النوايا السيئة، إذ لم تكن السفن كذلك لماذا يرحل لم يُعيد الأسرى إلينا، هذا جعلنا نؤكد مرة أخرى للقنصل إذا حدث الأمر على هذا النحو مجددا، فلن تكون هناك حاجة لعودته، وفي الواقع بعد أن صعد القنصل للسفينة و بمجرد ركوبه قاموا برفع المرساة والإبحار، وهكذا غادر القنصل ديبورديو..." ، أنظر المصدر التالي:

Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833**, Tome1(1700-1833), librairie Felix Alcan, paris, 1889, p71.

ودودًا للغاية مع الملك الفرنسي وأعضاء القصر الملكي الفرنسي، أين أيقن الملك أن قضية الباستيون بالشرق الجزائري لا يمكن لأي مبعوث دبلوماسي أو قنصل عادي حلها، خصوصا بعد هرب القنصل دبورديوا من مهامه خوفا على حياته، جراء النقاش الحاد مع الداي بخصوص هروب الأسرى.[1] كما يحيل مساره الفردي على أنه كان قنصلا في خدمة الدولة أو الملك وليس في خدمة التجار في كل الحالات، وهو ما ينسحب بدوره على كامل قناصل هاته الفترة.

وفق ما لاحظناه خلال تتبع مسار القنصل دارفيوا لاحظنا أن مهمته بقنصلية الجزائر كانت صعبة المنال و تجربة من أكثر التجارب غير السارة التي مر بها في إيالة الجزائر، وبعد وصوله في 10 سبتمبر 1674م سرعان ما واجه فظاظة وسوء نية الداي وصهره، و مقاومة بعض التجار الفرنسيين، الذين كانت مصالحهم تتعارض إلى حد ما مع وجهة نظر القنصل دارفيوا، لا سيما مع السيد إستيل الذي تأمر ضده بالتنسيق مع الجزائريين الذين يعاملهم دارفيوا كالصوص وبرابرة وأوغاد، و على الرغم من كل الإزعاج، فإن الأخطار التي تعرض لها القنصل كلها في سبيل تحقيق رغبة الملك، وبعد تحقيق هذه الرغبة تمت إعادته إلى فرنسا مثل سلفه، بعد أن تمكن من تسوية قضية الباستيون جزئيا، فضلا عن تسوية وضعية عدد كبير من الأسرى عن طريق افتدائهم[2]، وهذا وفق ما نصت عليه بنود معاهدة السلام الموقعة بين فرنسا وإيالة الجزائر لعام 1666م، كما تضمنت مذكراته أيضا وصفا للمدينة ومملكة الجزائر ومراحل حكم كل فئة، و أثناء عودته إلى باريس في 23 سبتمبر 1675م، أبلغ الملك والوزراء بالمطبات التي واجهته في رحلته، لكن دون أن يظهروا أدنى استياء لذلك، فما يهم الملك وحاشيته هو تحقيق المصالح الفرنسية أكثر من وضع القنصل نفسه، وهذا ما يعطينا فكرة أوضح حول مسألة تغيير القناصل

[1] Charles Féraud, **Histoire des villes de la Province de Constantine**,TYP.de L'association ouvriére, Alger, 1877, p181.

[2] Archives Nationals de Paris (ANP), *Affaires Étrangères*, BI 115, f°193-194.

باستمرار، فهذا الأمر لم يكن مطلب حكام الجزائر فقط مقابل الهدايا، بل هو مطلب فرنسي لحقيق غايات اقتصادية وسياسية تصب في صالح الأمة الفرنسية[1].

3: نزول القنصل دارفيوا إلى مدينة الجزائر وانطباعه عن الداي وصهره[2]:

بعد تلقي القنصل دارفيوا تعليمات من الوزير كولبير بشأن مسألة السفر إلى الجزائر، عزم على الإبحار يوم 30 أوت 1674م، ولسوء الأحوال الجوية أجبرت سفينته على الرسو في بجاية، وأثناء ذلك شهد سفينة قراصنة تحاول الاقتراب منهم[3]، فتملكه خوف شديد من عملية أسره، لكن سرعان ما هداء من روعه بعد أن ابتعدت عنهم، وفي يوم 6 سبتمبر تاريخ وصول القنصل دارفيوا، أرسل السيد باين إلى شاطئ بجاية وأبلغ حاكمها، و الذي بدوره أرسل على الفور أفراد من حرسه إلى السفينة لتلقي الهدايا، ثم جاء عدد من الأتراك على الفور للترحيب بالقنصل الجديد، وفي صباح اليوم التالي ذهب دارفيوا إلى الشاطئ متخفيا لرؤية المدينة و مشى في شوارعها، و في كل مكان بحرية كاملة، وكان لديه الوقت اللازم لرؤية حالة المدينة، وما تحتويه، فقد كان مسرورا جدا، حيث ينوي تدوين كل مشاهداته في الوصف الذي سيقدمه في نهاية هذه الرحلة، وفي اليوم الثامن غادر دارفيوا بجاية مع رفاقه بعد أن بقي يومين بها بسبب الرياح العكسية، وفي اليوم العاشر وصل إلى مدينة الجزائر حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، وبعد ذلك بقليل مر بهم الداي في قارب صغير برفقة شخصين، ويذكر القنصل دارفيوا: "...

---

[1] Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833**, T1, librairie Felix Alcan, paris, 1889, p 72.

[2] حجي محمد انتخب كأول داي سنة 1671م بالجزائر، كان رجلا مسنا قدم إلى الجزائر بشكل اعتيادي وهو أثناء ذلك ما يزال شابا ثم تطوع في الانكشارية وتدرج في الرتب إلى أن وصل إلى رتبة داي، عمل كداي لمدة احدى عشرة سنة، لكن صهره بابا حسن كان يدير كل شيء في الإيالة ، وقد كان صعب المراس، و لم يرتبط الداي مع فرنسا بأي علاقات حسنة فقد أفسد عليه صهره بابا حسن إقامة أي علاقات حسنة مع فرنسا. أنظر المرجع التالي: عزيز سامح ألتر، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989 ص 415.

[3] ***Mémoires du chevalier D' arvieux,*** op cit , p80.

أننا قمنا بتحيته بخمس طلقات مدفعية[1]، ثم جاء النائب الرسولي لوفاشي (le Vacher) لاستقبالي مع الترجمان، والذي أخبرني بدوره نيابة عن الداي، أنه مرحب بي و يمكنني النزول مع طاقمي وبعض التجار وحيانا القارب بالمدفعية وهو أسلوب متبع في تلك الفترة للترحيب بالوافدين الجدد[2]، كذلك تلقينا التحية من قبل جميع السفن الفرنسية والانجليزية والليفورنية[3]، فقد أطلقت كل منها خمس طلقات مدفعية، وكان سيفي بجانبي وعكازتي في يدي ومعطف نظيف ليميزني عن كل من رافقني، ثم دخلنا المكان الذي فيه ديوان الانكشارية والذي يسمى قصر الداي..."[4].

ويردف القنصل دارفيو من خلال ما جاء في مذكراته، " لقد عبرنا فناء كبيرا حيث لم نجد أحدا وكأن الحراس انسحبوا بالفعل"، وبالنسبة للداي فهو ما يزال متواجد في البحرية، فقط صهره المسمى بابا حسن كان متواجد هناك في الزاوية "، وجدناه رجلا سيئ المظهر، يرتدي ملابس غير مناسبة لشخص من المفروض أن يكون الرجل الثاني في الإيالة"، ويؤكد القنصل دارفيوا أنه لم يكن ليعرفه أبدا على حقيقته لو لم يخبره الترجمان بذلك، ولو لم يلاحظ الانحناءات التي قدمها له أولئك الذين اقتربوا منه بعد أن استقبلهم، فهو كذلك لم يمنحهم الوقت الكافي للاستماع إلى مجاملة القنصل دارفيوا، الذي رأى فيه رجل وحشي و سريع الغضب، وفي هذه المهمة تم إرسال القنصل دارفيو كمبعوث خاص للملك وقنصل معتمد لتمثيل الأمة الفرنسية بإيالة الجزائر، لحل مسألة الباستيون (Bastion) التي طالما أرّقت الغرفة التجارية بمرسيليا وحتى الملك نفسه، وفي ظل هذا الجو المشحون ظل الترجمان في حيرة شديدة لدرجة أنه لم يستطع الإجابة على كلمة واحدة، بعد ذلك أخذ القنصل دارفيوا الكلمة وقال للداي إن الأشخاص

---

[1] Charles Féraud, **Histoire des villes de la province de Constantine, La calle et documents, pour servir à l'histoires des anciennes concessions française d'Afrique**, Typ de L'association ouvrire, Alger, 1877, p182.

[2] **Mémoires du chevalier D'arvieux**, op cit, p80.

[3] ACCM série L III arT 259, objet, **Compagnie royale d'Afrique**, lettre de JB Germain agent à Alger.

[4] **Mémoires du chevalier D' arvieux**, op cit, p129.

الذين أتوا إلى إيالة الجزائر وبحسن نية السلم ونيابة عن الملك، لم يتم استقبالهم بالطريقة الحسنة، وأدار القنصل له ظهره فجأة، داعيا رفاقه العودة إلى القارب، فأرسل بابا حسن الترجمان وراءه وتوسل إلى القنصل لوفاشي(le Vacher) أن يترجاه ويأخذه إلى المنزل القنصلي، ليتم استقباله في اليوم التالي مع الداي[1].

عند الوصول إلى مقر القنصلية أثنى عليه هناك جميع الفرنسيين، وقنصل انجلترا الذي كان في مدينة الجزائر، وهذا مقابل ما سيقدمه لأجل فدية الأسرى من جميع الأمم، باعتبار أن الأسرى دائما ما يلجؤون إلى قنصل فرنسا فهو القنصل المفوض لجميع الدول التي ليس لها ممثل في مدينة الجزائر، وهذه الأسباب حثت الداي على الكتابة إلى الملك والتوسل إليه ألا يعطي دارفيوا هذا الامتياز، إذا كان سيتحدث إليه عن الباستيون وشركته، وإذا كان الأب دي لا فونت قادما إلى هناك سيرسله مقيدا[2].

وفي يوم الحادي عشر من سبتمبر ذهب الترجمان و السيد لوفاشي لرؤية الداي في وقت مبكر جدا من الصباح، وتحدثوا معه حول الطريقة التي استقبل صهره بها القنصل دارفيوا، وعند وصوله أخبروه أنه كان يخطط للعودة على متن السفينة التي جاءت به، وأكدوا له أنه لم يعد مهتما بمسألة الباستيون بعد الأحداث التي جرت له في اليوم السابق، فأجاب الداي حاجي محمد والذي تجاوز الثمانين من العمر أن صهره كان غاضبا فقط لأن الترجمان جعله ينزل دون انتظار عودته من البحرية، يقصد أنه كان يعلم بأنه سيرسل للقنصل دارفيوا ضباط الديوان لاستقباله في الحفل، وتكريم شخصه بقدر ما يتوجب ذلك[3]، وبعد تلقي هذه الاجابة توجه دارفيوا نحو الداي بالديوان، أين تواجد مع جميع ضباطه وصهره وبابا حسن

---

[1] Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger**, **T1**, *op cit, p XLII.*

[2] وفي رسالة أخرى من الداي حاجي محمد إلى السيد دي لافونت اشتكى فيها من السيد أرنوا حول تخلفه في دفع مستحقات الباستيون

Charles Féraud, **Histoire des villes….**, op cit, p 212.

[3] Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger**, T1, *op cit, p XLI.*

وبعد أن قدم له التحية، سلمه رسالة الملك، وبعد أن أوضح للداي السطور الأولى منها حيث تم ذكر توصيات بشأن القنصل دارفيوا، لم يرغب الداي في معرفة المزيد عنها وأعادها إلى الترجمان ليحتفظ بها وتم الترحيب بالقنصل الجديد بعدما عرَفه بصفته قنصلا لفرنسا، و سيكون له كل الاعتبار الذي يجب أن يحظى به في المنصب الذي منحه إياه جلالة الملك، يقول دارفيوا:".. ليس من المعتاد مناقشة الأعمال في جلسة الاستماع الأولى، حدث هذا في جلسة مجاملة متبادلة..."[1]. ونحن نستشف مما سبق وجود امتيازا آخر للقنصل والذي كان يحظى بمجاملة خاصة وتبجيل من قبل سلطات الجزائر وهذا يعود إلى بنود المعاهدات التي تجعل من القنصل الفرنسي يتمتع بأسبقية أو أفضلية على نظرائه.

4: دور القنصل دارفيوا في حل قضايا الأسرى من كلا الجانبين:

أثناء التحضير لرحلة الجزائر أبلغ القنصل دارفيوا عن حادثة عرضية وقعت في البحر وهو جنوح سفينة بعد أن ضربتها العاصفة كانت متوجهة إلى ميناء كوليوري، فتم أسر قبطانها ومن معه لعدم إبراز أي جواز سفر مختوم من طرف قنصل فرنسا بالجزائر[2]، لقد تم نزع أسلحتهم ووضع الطاقم في السجن، وبعد أن تركت السفينة في منتصف الطريق، أشعل مالكو السفن الاسبان النار فيها أثناء الليل، وبمجرد علم القنصل دارفيوا بهذا الحادث كتب إلى الوزير كولبير، والذي بدوره أرسل له أوامر الملك بالعمل على الافراج عن الطاقم، وتأمين سلامتهم وتلق كذلك أوامر من قبل السيد إيمانويل باين الذي كان سيأتي معه إلى الجزائر، حيث وصل إلى كوليوري مسبقا[3]، ومن هناك أرسل البعض من الجزائريين المأسورين عن طريق البحر إلى مرسيليا، وجاء الباقون عن طريق البر معه، لقد طلب القنصل دارفيوا من الهيئة

---

[1] **Mémoire du chevalier D'arvieux**..., op cit, p 105.

[2] ibid, p115.

[3] AE/B/I/115-AE/B/I/145 - F°205-206.

رسالة من شوفالييه دارفيو إلى كولبير، إنه ينتظر تسليم ستة وخمسين تركيا إلى إيالة الجزائر و المحتجزين في كوليوري.

التجارية منحهم مبنى لإعادتهم إلى الجزائر، وبملابسهم وأمتعتهم وكل السلع التي تم إنقاذها من قاربهم المحترق و تم تزويدهم بالكثير من المؤن[1]

وخلال تواجد دارفيوا بمدينة الجزائر تفاجأ بالعثور على عدد من الفرنسيين الذين تم أسرهم في الجزائر، حيث توسل إلى الداي بأن يتذكر الرسالة التي قدمها له جلالة الملك بشأن تحرير جميع الأسرى الفرنسيين، مع إرجاع جميع أمتعتهم التي نهبت منهم خلال عملية الأسر[2].

ويُذَّكر دارفيوا الداي بالمعروف الذي صنعه الملك مسبقا حول أعادة الأسرى الجزائريين المحتجزين من طرف الاسبان أمام كوليوري، وهذا مثال على عدالة الملك وحسن نيته في عقد السلام مع الجزائر، ومن واجب حكام الجزائر احترام نوايا الملك الحسنة من أجل الحفاظ على السلم، وقد توسل دارفيوا إلى الداي بأن يخبره بقراره حول هذه المسألة، فكان جواب الداي أن قراصنة الجزائر قد حرصوا على عدم المساس بالمباني الفرنسية، لكن في المقابل الفرنسيين خدعوا الجزائريين وشنوا عليهم حربا تحت رايتهم، وقد أعلنوا حقيقة عن نيتهم في تحرير كل الفرنسيين الذين أسروا لدى الجزائريين ولو بالقوة، و أنه سيكتب مرة

---

[1] رسالة حاجي محمد إلى الملك لويس الرابع عشر كتبت بتاريخ 4 ديسمبر 1674م: مطالبا البحارة الجزائريين بالاستيلاء بشكل قانوني كل الفرنسيين الذين يبحرون تحت علم أجنبي، أو السفينة التي فيه أكثر من ثلاثة أجانب تحت علم فرنسا، وهذا نظير أسر بعض السفن لرعايانا، و إذا كان هناك أشخاص على ظهر السفن يدعون أنهم من الجزائر، سوف نتبرأ منهم ونحن لن نعترف بهم بالإضافة إلى السفن الخاصة بكم القادمة إلى ميناء الجزائر للتزود بالمياه والبسكويت والمؤن الأخرى التي يحتاجون إليها، بعد استقبالهم وتهيئاهم للمغادرة، يتم استقبال بعض الأسرى، الذين يحتمون بهذه المراكب، ويتم نقلهم بسرية تامة، ثم يأتي ملاكهم غاضبون جراء فرارهم، وهذا ما لا نقبله بأي شكل من هذه الأشكال، وبهذا الأمر أيضًا ننهاكم عن أخذ أي من الأسرى من هذه المدينة عندما تركنون إلى الموانيء الجزائرية، هناك أيضا أتراك هربوا من جنوة وليفورنو وإسبانيا ودول أخرى حيث كانوا أسرى، ويفرون إلى فرنسا وهذا جراء السلم الذي بيننا و نحن لا نوافق أن تجعلهم أسرى وتضعهم في القوادس.

Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger**, op cit, p 74.

[2] طلب القنصل دارفيو مرارا من كولبير العمل على إطلاق سراح الأسرى الجزائريين حتى خارج فرنسا نفسها، بحجة الحفاظ على السلام مع حكام الجزائر. ينظر:

ANP, *Affaires Étrangères*, Bl 115, f° 215-218, 222-223, 228-230.

أخرى إلى الملك، بشرط ألا يكون الرد متأخرا كما هو الحال في المناسبات السابقة، وأن يكون الأمر متروكا لجلالته فقط لكسر السلم أو الحفاظ عليه[1].

وبتاريخ الثامن عشر من سبتمبر ذهب القنصل دارفيو ليطلب من الداي تحرير الركاب الفرنسيين الأربعة الذين أخذهم القراصنة من سفينة برتغالية[2]، حتى أنه قدم له مكافأة له ولجنوده، فأخبره أن الأمور قد تغيرت، وأنه لم يجرؤ على فعل ذلك خوفا من أن تتعرض الميليشيا للهجوم عليه لكنه اخبره كذلك انهم لن يباعوا، وأنهم سيبقون رهن الاعتقال في قصر الداي في انتظار رد جلالة الملك، ثم أخبر القنصل دارفيوا من طرف الديوان أنه تعمد جلب كل الفرنسيين و الأجانب الذين وجدوهم على سفن العدو، حيث يسمح بترك أقل من ثلاث ركاب أجانب يسافرون على متن السفن الفرنسية، والذين هم في الغالب تاجرا، وكاتبا، وخادما، ورفعوا العلم الفرنسي لتجنب القبض عليهم، يقول دارفيوا أنه كان يعرف بالفعل هذا القرار، لأنه أخبر من طرف أكثر من ثلاثة أتراك دخلوا الديوان، وأبلغوه سرا بكل ما كان يحدث هناك[3].

كما تم إبلاغ القنصل دارفيوا من طرف الداي بأن الاسبان الذين أساءوا استخدام علم الملك الفرنسي، أخذوا أسرى أتراك وعمدوا لبيعهم في مدينة وهران، كذلك يعتقد دارفيوا أنه يوجد عديد الأسرى بمختلف مدن وريف إيالة الجزائر، وهذا ما أكده للداي[4]، وأن قراصنة الجزائر كانوا يأخذون الفرنسيين تحت راية سلا، فأخبره الداي في هذه الحالة يسُمح لهم وضعهم في التجديف و أننا يمكن أن نأخذ بقدر ما نستطيع لهاته المهمة، وفي هذا الصدد سيتم التواصل مع جلالة الملك لأجل وضع حد لأي شيء يمكن أن يزعج

---

[1] M Touili, **Affaires étrangères Correspondance reçue du consulat d'Alger (1642-1792)**, Inventaire analytique (AE/B/I/115-AE/B/I/145, **F°205-206**, p58.

[2] ومع ذلك لم يقترح القنصل دارفيو استرداد الأسرى من جانب واحد، بل بالأحرى التبادل مع الفرنسيين المحتجزين في مدينة الجزائر. ANP, *Affaires Étrangères*, BI 115, f° 224-225

[3] H De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)**, ERNEST LEROUX ÉDITEUR, paris, 1887, p243.

[4] ANP, *Affaires Étrangères*, BI 698, f° 246.

السلم، وقد طلب الداي من القنصل دارفيوا أن يطلب من الملك بأن يمنع جميع رعاياه من السفر والتنقل عبر سفن أعداء الجزائر، ويبرر دارفيوا هذا الأمر لافتقار فرنسا إلى السفن الكافية للتنقل بحرية وتحت العلم الفرنسي، لهذا كانت حكومة فرنسا تسمح للبلدان الأخرى حمل الراية الفرنسية مقابل السماح للمسافرين الفرنسيين التنقل بحرية[1].

كما أرسل الداي شكوى للقنصل دارفيوا يخبره فيها عن احتجاز بعض الأتراك في مرسيليا، فكان جواب دارفيوا أن هؤلاء الأتراك وصلوا قبل مغادرته ببضعة أيام، وأخبره أن الكابتن ماتيو فابر القادم من القسطنطينية مع سفينته رأى أشخاصا في القناة بين صقلية ومالطا، وأنه ذهب للتعرف عليهم، فعثر على عشرة أتراك كانوا قد فروا من القوارب من نابولي، وهم الأن متجهين نحو طرابلس، ولم يكن معهم خبز ولا ماء، لهذا تم وضعهم على متن المركب وأخذهم إلى مرسيليا، كذلك أخبره القنصل دارفيوا أنه ذهب لرؤيتهم بمجرد أن سمع بوصولهم، فقد وجد أربعة أسرى من الجزائر، وأربعة من تونس واثنان من القسطنطينية، وهنا توجب عليه توضيح الأمور للمراقب بأنه يوجد سلم مع الأتراك، و لا نستطيع الاحتفاظ بهم دون حدوث اضطراب، لكن دارفيوا لم يتمكن من منع وضعهم في القوادس و بعد التحقق من أسمائهم في سجلات غرفهم، كتب دارفيوا إلى كولبير محاولا الحصول تحريرهم من العبودية، بعد ذلك أوضح للداي أنه تفاجأ بأنه أعاد له الهدايا بعد أن استلمها ولاحظ بشكل صريح المعاملة السيئة اتجاهه[2].

3 **Mémoire du chevalier D'arvieux**…. ,op cit, p 121.

2 M Touili, **Affaires étrangères. Correspondance reçue du consulat d'Alger (1642-1792)**, Inventaire analytique **(AE/B/I/115-AE/B/I/145, F°215-**, p59.

بعد أن تم التحدث بشأن قضية الأسرى، لا يزال الداي يريد من القنصل دارفيو[1] التحدث إليه عن شؤون أخرى لا تقل أهمية عن إرسال باقي الأسرى إلى موطنهم، ومن بين تلك الأمور، طلب منه أن يكتب إلى حكام *فرنسا*، أنه عندما تريد سفن الملك أن تبحر إلى الجزائر فإنها ستكون في موضع ترحيب، ولكن إذا استقبلوا الأسرى الذين في نيتهم الهرب من مدينة الجزائر سباحة أو بأي طريقة أخرى فسيتم إخبارهم من طرف القنصل في اليوم الموالي بمغادرة الميناء ودون رجعة، ثم ذكره بالأتراك الذين قادهم الكابتن فابر إلى مرسيليا، وأخبره أن رعاياه يفرون من أيدي الاسبان ويلجئون إلى فرنسا بحسن نية السلم المبرم مع فرنسا، ولا ينبغي أسرهم مرة أخرى، ويجب إعطائهم كل أنواع المساعدة للرجوع لوطنهم، كما يجب عليه توفير سفن تضمن عودتهم إلى ديارهم، لكن الذي حدث هو العكس فقد تم الاستيلاء عليهم من قبل القراصنة وبيعوا بإذن من الكابتن فابر[2].

5: جهود القنصل دارفيو في حل قضية الباستيون وانتقال السيادة إلى السيد دولافونت بعد موت أرنوا:

خلال تتبعنا لمسار القنصل دارفيوا وجدنا أن نزوله للجزائر جاء في زمن حرج جدا، شهد تحول سياسي هام، فقد سقط نظام الأغاوات وهذا بسبب كثرة الثورات والانقلابات السياسية والاغتيالات، وبالتحديد سنة 1671م ظهر نمط جديد للحكام الأتراك بإيالة الجزائر وهم فئة الدايات، والذين دام حكمهم حتى بداية احتلال الجزائر، في هذه الأثناء شهد حوض البحر المتوسط تحولات كبيرة، زاد فيها نشاط القرصنة ولم تعد السفن تركن إلى السواحل الجزائرية لحمل السلع من المراكز التجارية بالشرق الجزائري،

[1] على الجانب الجزائري، فقد كان القبض على الفرنسيين ذلك الحين يعتبر انتقاما مشروعا، وقد تمكن القادة الجزائريين تبرير ذلك بسهولة من خلال الادعاء بوجود مشكلات مماثلة في تحديد الهوية، كما هو الحال في قضية مالك السفينة الذي كان كاتالونيا (وبالتالي اسبانيا) وكان محتجزا في الأسر تحت الوصاية، ANP, *Affaires Étrangères*, BI 115, f°257.

[2] **Mémoire du chevalier D'arvieux**, op cit, p108.

في هذه الظروف قام قائد الباستيون بتحويل تجارته نحو تجار الأمم الأخرى من مالطيين وجنويين، وبعد اعتلاء الدايات كرسي الحكم واستتباب الأمن من جديد قرر الملك الفرنسي إرسال شخصية مهمة للنظر في مشاكل الباستيون وتعيين السيد دولافونت كحاكم جديد للمركز التجاري وإعفاء المسؤول السابق لعدم تقديمه فوائد مادية لفرنسا[1].

فقد تم تقديم تقرير من طرف السيد إستيل"Estelle"[2] للقنصل دارفيوا حول تعيين السيد دو لافونت "de la Font" كحاكم على الباستيون "Bastion" وتثبيته بدلا من السيد أرنوا "Arnaud" بعد ذلك أرسل دارفيوا هدايا إلى الداي و الباشا بابا حسن وأعضاء الديوان، تمثلت هذه الهدايا في قماش هولندي ملون، وبروكار حريري، وصناديق من المربى، تبلغ قيمة كل منها حوالي مائتي قرش، كما أرسل سترة بلون القرمزي إلى الباشا، كل هذه الهدايا لقيت استقبالا حسنا، لكن بما أن الداي وبابا حسن أرادوا التميز بأن يكون لهما هدايا مختلفة عن الجميع، وهو ما يخالف العرف، فقد أرسلوا له في نفس اليوم الشراشف والبروكار، قائلين إن هذا اللون لم يكن يرضيهم، و لم يطلبوا منه أي شيء أخر، ما عادا المربى الذي كان كافيا لعلاج أبنائهم، بعد ذلك جعلهم القنصل دارفيوا يختارون أقمشة أخرى، ويشكرونه

---

[1] السيد دولافونت(de la Font'): وهو مسؤول مكتب المراسلات بين الشركة والسيد أرنوا بالباستيون، وقد كان مستقرا في مرسيليا، ويتنقل عبر المراكز التجارية كافة التابعة لمؤسسة الباستيون، أنظر الموقع التالي:

Journal du Voyage du Chevalier d'Arvieux à Alger en 1674.
https://exode1962.fr/exode1962/en-savoir-plus/histoire-ancienne/arvieux/voyage.html.

[2] إستيل (jean baptiste Estelle): وهو من عائلة نبيلة ولد في مرسيليا سنة 1662م أمضى ثلاث سنوات في الجزائر ورقي إلى قنصل في تطوان سنة 1683م، وقد عمل كذلك قنصل للباستيون في الجزائر
Jacques caillé, "le consuls jéan baptiste estelle et le commerce de la France au marauc à la fin de XVIII**ème** siècl***e***, autre mers", **revue d'histoires**, **persée**, 1959, pp 1-8.
https://www.persee.fr/doc/outre_0300-9513_1959_num_46_162_1304

على ذلك، قائلين إنهم سيتحدثون معه حول عديد المسائل في مناسبات أخرى[1]، وفي زمن لاحق أخبر أحد خدام الداي و الذي بدوره قدم له القنصل دارفيوا إكرامية، و يعتبر من أعداء القنصل دارفيوا بوصفه للداي بأنه مجرد رجل لا يعول عليه في حل المشاكل و من المفترض أن تطرده شركة الباستيون (Compagnie du Bastion)، بعدها أرسل الداي الترجمان لمنع دارفيوا من التدخل في شؤون الباستيون بعد إقتناع الداي بكلام السيد استيل، فحكام الجزائر لم يرغبوا في عمل شراكة مع السيد دي لافونت، وجراء ذلك أرسل لهم القنصل دارفيوا رسالة مفادها أنه لن يتدخل في شؤون الإيالة الجزائرية، ولكن إذا جاءت الأوامر من الملك فسيكون مضطرا لطاعته[2]، ومن ناحية أخرى أجابه الداي بأنه هو سيد الحصن وله كل الحق في تعيين من يرضى عنه، و سيعطيه لمن يشاء، فقد كان سعيدا مع شراكة السيد أرنوا، فهو ودودا معه ولا يتأخر عن دفع مستحقات الباستيون، وحافظ على كلمته في كل ما وعده به، وكان رأي الداي أنه يتوجب على القنصل دارفيوا التدخل فقط في الأمور التي تهم القنصلية، إذا أرد العيش معهم بسلام، ثم سأل الداي دارفيوا إذا كان لديه أي شيء آخر ليتم إخباره به، فكان جوابه: أن بعد المعاهدة التي أبرمت مع دوق بوفورت وتم تأكيدها مع السيد ماركيز مارسيل، يجب أن تكون سارية المفعول لحفظ السلم مع فرنسا[3]، بعد ذلك أخذ بابا حسن الكلمة وقال للقنصل دارفيوا و بنبرة استفزاز، بعد أن نتلقى جواب الرسالة التي سنكتبها إلى الملك، سيجتمع مجلس الديوان وسيتم تداول السلم أو

---

[1] Charles Féraud, **Histoire des villes de la Province**, op cit, p181.

[2] **Mémoire du chevalier D'arvieux**, op cit, p100.

[3] على ما أعتقد أن تصريحات القنصل دارفيوا بحق الداي محمد حاجي فيها نوع من الزيف، فمن المستحيل أن تكون شخصية الداي غير فعالة في مجلسه فهو الرجل الأول في الإيالة ومهما كانت له نقائص بحكم سنه لكن يبقى هو الناهي والأمر في البلاد.

الحرب؟ وبعد هذا الجو المشحون والذي تنازع فيه كل من الداي وديوانه مع القنصل دارفيوا قرابة ساعتين يفترق كل طرف دون وجود حل مقنع[1].

وخلال هذه المشاحنات بين الداي وبابا حسن من جهة والقنصل دارفيوا، وردت أنباء من الباستيون تفيد بأن السيد أرنو قد توفي، جاء بعدها السيد Estelle ليسأل القنصل دارفيوا عن رأيه، حول ما يجب القيام به للحفاظ على مكسب هذه التجارة، فكان رده بأن الداي قد منعه من الانخراط في أي عمل يخص الباستيون، ومن ناحية ثانية فالقنصل دارفيوا لا يمانع في عقد إتفاق مع الداي بشأن ما حدث في الباستيون[2].

وفي هذه الأثناء انتاب القنصل دارفيوا شعور قوي لأنه وجد فرصة مواتية لإهانة السيد إستيل (Estelle) وذلك بسبب الإحراج الذي تسبب له فيه منذ وصوله إلى مدينة الجزائر، بعدها تم الإعلان عن عقد مجلس في حالة طارئة للنظر في ملابسات موت السيد أرنوا، و تم إبلاغ القنصل دارفيوا أنه من الضروري إحضار أكبر أبناء المتوفى إلى مدينة الجزائر، والذي سوف يستثمر في أموال والده، أو سيعمل على استخلاف والده في الحصن، تعمد القنصل دارفيوا إظهار كفاءة السيد دي لافونت للداي على أنه كان معروفا في جميع أنحاء فرنسا بأنه رجل نزيه وأن القنصل دارفيوا نفسه كان آسفا للغاية لرؤية هذه المؤسسة وهي أهلة إلى التدهور، و إذا تم التخلي عن هذا المركز من طرف الحكومة الفرنسية فلن يكون هناك أحد في فرنسا يجرؤ على القيام بهذه التجارة، و لذلك سيكون من العدل منحها إلى السيد

---

[1] Eugène Plantet, **Consuls de France à Alger avant la Conquête (1579-1830)**, compte-rendu, Annales d'histoire économique et sociale, T3, librairie Armand Colin, Paris, 1931, pp 125-126.

[2] في رسالة من السيد دو لافونت الى الوزير كولبير يتهم فيها القنصل دارفيوا بالضعف وعدم نيته السليمة في الدفاع عن مصالح الحصن. Mémoire du chevalier D'arvieux, op cit, p184.

دي لافونت مع التعهد بدفع كل النفقات إلى حكام الجزائر[1]، بعدها أُبلغ القنصل دارفيوا بأن عليه رؤية الداي أثناء الليل، وأن يقدم له كل أسبابه التي أبلغه بها مسبقا مع الوعد إذا نجح الاتفاق بينهما، سيقدم له مكافأة تتناسب مع الخدمة التي قدمها، مع التأكيد له على حل كل المشاكل العالقة حول مسألة الباستيون، بعد ذلك استدعى الداي القنصل دارفيوا إلى الديوان للتشاور حول موضوع الحصن و سأله إذا كان يعرف شخصا في مرسيليا له القدرة المالية على تسيير شؤون الحصن، فأخبره أنه لا يوجد شخص معين غني وله المال بما يكفي لتسيير شؤون الباستيون، وأنه لن يفكر أحد في ذلك بمجرد أن تخلت عنه الشركة[2]، كما أجابه أن هذه التجارة كانت لفترة طويلة جدا في أيدي الفرنسيين و أنهم هم الذين أنشأوها، فقد أنفقوا أموالا هائلة لوضع حصن الباستيون والقالة في حالة حسنة، فقد تم ترميم هذه المراكز مقابل السلم، و الذي يبدو أنه السبب الأساسي، وكم سيكون الامر صعبا في التفكير لإعادة إعطاء هذا الامتياز لأشخاص لم يكونوا أصدقاء للإيالة من قبل[3].

ومن خلال ما ورد في كتاب مذكرات دارفيوا أنه حسب الصفقة التي تم إبرامها في مرسيليا، فإن دولافونت (de la Font) وشركائه قد تحملوا جميع الديون وجميع المصاريف، بالإضافة إلى ألاثني عشر ألف كرونة التي وافقوا على تعويضها، والإتاوات المقدمة إلى إيالة الجزائر كافية لجعله يفكر بجدية في الحفاظ على هذه التجارة، هنا جاء رد الداي على القنصل دارفيوا، وأخبره أنه عندما يتم التخلي عن الباستيون (Bastion)، لن تفشل الانكشارية في الحصول على أجرها، وبدا له أن دارفيوا كان صديقا مقربا للسيد دولافونت (de la Font)، فبرر القنصل دارفيوا قوله بأن أعضاء هذه الشركة هم من الفرنسيين، وهو قنصل الدولة الفرنسية، و من واجبه الاهتمام بالمصالح التي أوصى بها الملك لويس

---

[1] Charles Féraud, **Histoire des villes de la Province**, op cit, p 198.

[2] **Mémoire du chevalier D'arvieux**, op cit, p63.

[3] Ibid, p 64.

الرابع عشر صراحة[1] تحت هذا التصريح ضغط الداي مرة أخرى على القنصل دارفيوا ليخبره عن رأيه حول ما يجب أن يفعله من أجل إرضاء الطرفين، ولأجل هذه اللحظة المناسبة طلب منه دارفيوا أن يفكر في أن الباستيون"Bastion " لا يمكن أن يكون في أيادي أمينة، إلا إذا سلم إلى السيد دولافونت(de la Font، وإذا تم التخلي عن خدماته، فإن أبناء المتوفي السيد أرنو سيخسرون اثني عشر ألف كرونة من الصفقة[2]، وسيُعاقبون على أنهم سبب خسارة هذه التجارة، وفرنسا ستحاسبهم على الإضرار بالمصالح التجارية الفرنسية، كما أخبر دارفيوا الداي، بأن السيد دولافونت (de la Font) قد تحدث إليه في المرة الأخيرة التي جاء فيها إلى الجزائر، فهو لن يواجه أي مشكلة في تبرئة نفسه من هذا الاتهام الباطل، ولكنه لن يجرؤ على التنازل عن حقه في الحصن، ولا يعرض نفسه لتحرشات بابا حسن الذي هدده بالموت، وبعد أن استمع الداي للقنصل دارفيوا باهتمام كبير، رد بهذه الكلمات:"... حسنا بما أنه من الضروري الصفح وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه، أكتب للملك نيابة عني وسواء أكان الاتهام صحيحا أم كاذبا، فالماضي هو الماضي، وسأنسى كل ذلك، وسأعطيك وعد بأنه لن يحدث له شيء، لا في شخصه ولا في ممتلكاته..."[3]، بعدها سلم بابا حسن للقنصل دارفيوا ثلاث رسائل للملك، كانت مكتوبة باللغة التركية، وأخبره بابا حسن بعنجهية معتادة أنه يجب عليه أن يكتب وفقا لنواياهم، وأنه يجب عليه إرسال الرد في أسرع وقت ممكن، و أخبره في نفس الوقت أنه إذا لم تأتي الإجابة في غضون فترة زمنية معقولة، والتي ينبغي أن تكون قصيرة بالنظر إلى المسافة القريبة بين مرسيليا و مدينة الجزائر ، فسيتم إعادته إلى فرنسا[4].

---

[1] Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger**, T1, op cit, p XLII.

[2] Charles Féraud, **Histoire des villes de la Province**, op cit, p200.

[3] Mémoire du chevalier D'arvieux, op cit, p120.

[4] Charles Féraud, **Histoire des villes de la Province**, op cit, p191.

6: أهم الأعمال المميزة للقنصل دارفيوا بإيالة الجزائر:

لقد أثبت الوسط اللازاري كفاءته الدبلوماسية من خلال حل عديد قضايا الأسر، وذلك عن طريق دفع أموال كثيرة، تم جمعها من بلدان أوروبا خصيصا لهذا الغرض، زيادة على ذلك كان وضعهم مقبولا في الوسط المغاربي وتحديدا في إيالة الجزائر، كما كان هناك تعاون للقناصل اللازاريين مع الأوساط التجارية المرسيلية، وهذا لتسيير شؤون فرنسا التجارية والسياسية بالجزائر[1].

وبالنسبة لتأثير التجار المرسليين فتأثيرهم واضح وجلي للعيان، ويظهر هذا من خلال تحريضهم القنصل دارفيوا لافتكاك الباستيون من يد السيد أرنوا، حيث لم يعد لتجار مرسيليا فائدة مرجوة من العلاقة التجارية مع أرنوا الذي أصبح يتعامل مع التجار من دول أوروبية أخرى، وبالحديث عن القنصل دارفيوا، باعتباره ينتمي للطائفة اللازرية فقد كان متعجرفا إلى أقصى حد ويعتبر نفسه من مستوى عالي، حيث تشير الدراسات على أنه دائم التواجد في قصر الملك الفرنسي، ودائم الحضور في كل مراسيم القصر الملكي، وهذا ما يبرر مظهره الأنيق على الدوام، ولهذا لم يستسغ حالة وجوده في الجزائر، ونعت حكام الجزائر بالمتهورين، وبالحديث عن مهمته فقد كانت محددة، تمثلت في تحرير بعض الأسرى، وحل مشكلة شركة الامتياز للباستيون، لهذا لم تدم إقامته طويلا في الجزائر، فقرر الرحيل وتسليم المهام للبروفيسور لوفاشي لحين تعيين قنصل فرنسي جديد[2].

ومن حيث العلاقات مع الدبلوماسيين من الأمم الأوروبية الأخرى يخبرنا القنصل دارفيوا أنه عند وصوله إلى مقر القنصلية الفرنسية بإيالة الجزائر، وجد في استقباله القنصل الانجليزي والآباء المأثورين البرتغاليين الذين قدموا إلى الجزائر لتحرير الأسرى، في هذا الصدد يقول دارفيوا : " سيكون من الأفضل

---

[1] Claud Boulard, "Les consuls Français dans la régence d'Alger 1518- 1827" , **L'Algérianiste**, n°54 juin 1991, P12.

[2] Mémoire d'arvieux, op cit, p 289.

للمسيحيين توظيف الأموال التي يجلبونها كل عام إلى الجزائر العاصمة لتحرير الأسرى، وتسهيل إقامتهم بإيالة الجزائر، والأمر ليس بهذه الصعوبة كما يتصور المرء"[1]، كما يقوم القباطنة و المبعوثين الأجانب بتبادل التحية ويقومون بمراسيم الزيارة و الاستقبال[2].

ومما تقدم يمكن الاحتفاظ ببعض الخلاصات:

بعد تتبع مسار القنصل دارفيوا، يمكن القول أنه كان بإمكانه الاستفادة من التعليمات بشكل جيد التي قدمها له الوزير كولبير، وهذا ما تظهره المراسلات بينهما وباعتبار أن القنصل يتبع البحرية فهو بالتأكيد يتلقى الأوامر مباشرة من الملك، ولكن حسب الأعراف الدبلوماسية تكون الاتصالات مع الوزير وهو بدوره يطرح الإشكال على الملك، لقد نصح الوزير كولبير القنصل دارفيوا ببناء علاقات جيدة مع الداي، في سبيل تحرير الأسرى وتحقيق مبتغاه الذي نزل من أجله نحو الإيالة، مع المحافظة على الامتيازات التجارية، خصوصا في ظل التنافس الانجليزي، ونصحه باستخدام أسلوب اللطافة لكسب ود الداي و الديوان، حيث أنهم كانوا مستعدين تماما لتحقيق مبتغاه، لكنه أفسد كل شيء باستهتاره وتفاخره وتهديداته، كما تسبب في فضيحة اجتماع 2 فيفري 1673م، ومع ذلك أُجبر على الانسحاب وعدم الظهور في مجلس الديوان، مع ترك رعاية الأعمال التجارية والقنصلية للأب لو فاشي، والذي كان لديه علم بكل المجريات السياسية بإيالة الجزائر، ومن هذا المنطلق بعث الداي برسالة إلى لويس الرابع عشر أكد رغبته الدائمة في حفظ السلم، ووعد الملك بمساعدته على القيام بإعادة الأسرى في أسرع وقت ممكن، وطلب منه تغيير القنصل دارفيوا و إرجاع القنصل دوبورديو قائلا: أنه كان محبوبا من قبل الجميع، وأنه قادر أيضا على حل كل المشاكل العالقة بين الجزائر وفرنسا حيث نعت القنصل دارفيوا بأنه عديم المسؤولية

---

[1] Ibid, p 83.

[2] ACCM Série L III Art 259, objet: compagnie royale d'Afrique, lettre de J B Germain à Alger, 1745-1751.

خصوصا في هذه المناسبات، وعندما رأى نفسه عديم الفائدة فعلا، غادر القنصل دارفيوا في 30 أفريل1675م، و تم استبداله بالأب لو فاشي الذي اضطر إلى قبول هذه الوظيفة القنصلية، و هو في سن وضعف لا يحسد عنه[1]، والمتتبع والمتأمل للمراسلات القنصلية الفرنسية يلاحظ منذ الوهلة الأولى أن القناصل الفرنسيين كانوا يحظون باستقبال مميز على جميع نظرائهم من القناصل الأوروبيين ويحظون بالتبجيل وبالتالي بالأفضلية الدبلوماسية التي كانت تتمتع بها فرنسا في الجزائر مقارنة بباقي القوى الأوروبية سواء من حيث الاستقبال أو من حيث عدد الطلقات المدفعية، هذا فضلا عن اختصاص بعض قناصل فرنسا وتقدمهم لافتداء الأسرى الأوروبيين، وهذا يرجعنا إلى العلاقات الأزلية والقديمة بين فرنسا وإيالة الجزائر، وحسب الكرونولوجيا التاريخية بدأت العلاقة الفعلية بينهما جراء التطور الدبلوماسي مع السلطنة العثمانية خلال صراع فرنسوا الأول مع مملكة اسبانيا، فوجدت في الدولة العثمانية خير معين لها ضد الملك شارل الخامس، كذلك شهدنا مساعدة خير الدين باشا لفرنسا في حروبها البحرية حيث مكث الجيش الجزائري طيلة فصل الشتاء في ميناء طولون، ومن هذا المنطلق تطورت العلاقات تدريجيا، وصاحبها إرسال قناصل وعقد معاهدات حيث عرفت فرنسا عقد العديد من المعاهدات مع الجانب الجزائري، وكانت تتخلل تلك العلاقات تبادل للهدايا ورسائل الود بين الطرفين، وهذا ما ميزها عن جميع الدول الأوروبية، ولئن غلب على مهام هذا القنصل دور الوساطة لافتداء الأسرى فإن قناصل آخرين كان لهم أدوار ومهام مختلفة خصوصا في أواخر القرن الثامن عشر على غرار القنصل فليب فالليير.

المبحث الثاني:المسار الدبلوماسي للقنصل شارل فليب فالليير(Charles Philippe Valliére) :1791-1796

[1]H De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)** , op cit, p 244.

1: لمحة تاريخية عن القنصل فاليير:

ولد فليب فالييز في الرابع عشر من أكتوبر من عام 1756م، أبوه جون لويس فليب وأمه هانريت فاشي، ينتمي إلى إحدى العائلات البروفنسية الغنية التابعة لعهد النظام القديم، حيث قدمت هذه المنطقة عددا مميزا من أحسن القناصل والمرتبطين وراثيا بالعمل الدبلوماسي ببلاد الشام و منطقة شمال أفريقيا (Pays barbaresques)، وكان والديه مستشارين في القنصلية الفرنسية بتونس، كذلك سوف يسبقه عمه أنطوان جان فاليير إلى قنصلية الجزائر بين سنتي 1763-1773م، لم يكن فاليير معروفا بالعمل الدبلوماسي، بل كانت خبرته ومكانة أسرته المميزة دبلوماسيا، وهي من توفر له المعلومات وتضعه في المكانة المرموقة، إذ ينحدر من عائلة قنصلية لها تجربة واسعة بالعمل الدبلوماسي[1].

لقد اكتسب شارل فليب خبرة كبيرة بالمجال الدبلوماسي نتيجة احتكاكه بشخصيات مهمة وذات كفاءة عالمية في البحرية، حيث عمل لأول مرة في البحرية باسم مفوض الطلاب، وفي عام 1777م عين سكرتيرا للمفوضية، بعد ذلك انضم مع عمه في مهمة نائب قنصل بالجزائر عام 1779م وتم نقله بعدها إلى طرابلس سنة 1781م[2]، كذلك عمل بكانديا كنائب قنصل بين عامي 1789-1790م ومنها عاد إلى مدينة الجزائر في سبتمبر من سنة 1790م[3]، حيث عين قنصلا عاما وكانت فترة تعيينه حرجة جدا

[1] حمدون بن عتو، **الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني1518 -1830، من خلال كتب الرحالة والجواسيس ورجال الدين الكتابات الفرنسية والإسبانية نموذجا**، رسالة دكتوراه، في التاريخ، إشراف: حنيفي هلايلي جامعة سيدي بلعباس، 2016-2017، ص 87.

[2] Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger**, T2, p348.

[3] Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger**, op cit, p369.

شهدت أحداث عصيبة دارت بين فرنسا والجزائر، كذلك وجد صعوبة بالغة في الحصول على المال[1]، إثر الخسائر التي تكبدها التجار في تجارتهم[2]، وقد أنهى نابليون مهامه كقنصل بالجزائر سنة 1796م[3].

وبالنسبة للسياق التاريخي الذي جاء فيه القنصل فالبير إلى إيالة الجزائر، فيتمثل في الأزمة التي تركها سلفه القنصل دي كرسي de kercy (1782-1791)، حيث طلب منه الداي تسديد نفقات إقامته بالجزائر وقال له الداي أن الجزائر لا تستطيع استضافته لمدة أطول[4]، فقد ترك القنصل دي كرسي ديون كبيرة عليه جراء المصاريف الكبيرة الباهظة والتي قد تكون إما هدايا مقدمة لشراء السلم مع الجزائر أو مبالغ فدية لتحرير أسرى، عندها قررت فرنسا إرسال مبعوث للتباحث في هذا الشأن، لكن في الأخير تقرر إرسال قنصل أخر هو السيد فالبير والذي تزامن قرار إرساله أن فرنسا وبعد تاريخ 1790م وقيام النظام الجمهوري فيها واعتلاء السلطة من طرف نابليون حيث وجد عداء كبير من قبل الدول الأوروبية، مما جعلها تعاني من مجاعة كبيرة وظروف صعبة جدا، ومن هنا توجب على فرنسا إرسال قنصل جديد لحل بعض الأمور العالقة وتسوية مشاكل التجارة والبحث عن الدعم المادي والتمويل بالمؤن نظير الضيق الذي لاقته من جيرانها الأوروبيين[5].

---

[1] بدأ فالبير التجارة في القمح والصوف والحديد وسمك القد والزبيب مع طرابلس أولاً، ثم في الجزائر، يبدو أننا كنا نعود إلى الأخطاء المعروفة في نهاية القرن السابع عشر، عندما كانت القنصليات مكاتب فاسدة، مع اهتمام أصحابها بمصالحهم المباشرة أكثر من اهتمامهم بمصلحة الأمة. في دفاعه، زعم فالبير أنه شارك في مثل هذه الأمور، التي كان من الأفضل لي أن أستفيد منها على أن أكون غريبًا، أنظر:
Patrick Boulanger, "Les appointements des consuls de France à Alger au XVIII^{ème} Siècle, in La fonction consulaire", **Presses Universitaires de Rennes**, p31.

[2] Patrick boulanger, op cit, p 336.

[3] Pierre Boyer, " l'Algérie en 1781 mémoire du consul c. ph. Vallières ", **Revue de l'occident musulman et de la méditerranée**, N° 18, Persée, 1974, p193.

[4] جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830**، مطبوعات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2005، ص 27.

[5] Eugène Plantet, **Correspondance des deys** , p 393.

2:وصول القنصل فالبير إلى الجزائر:

وصل القنصل فليب فالبير إلى الجزائر يوم 15 جانفي من عام 1791م[1]، حيث قدم على ظهر السفينة لابوليت[2]، وتم استقباله من طرف السلطات الجزائرية حسب التقاليد المعروفة في العرف الدبلوماسي، وبعد نزوله من السفينة توجه مع القنصل السابق دي كرسي (De kercy) إلى مقر الداي مباشرة، والذي استقبله بدوره ورحب به، ولكن ببرودة تامة لأنه كان ينتظر منه اصطحاب الأسرى الجزائريين المحتجزين على ظهر السفينة الجنوية، كذلك دفع ما ترتب على الحكومة الفرنسية من تعويضات، أين وعدت فرنسا بتسديدها عند التحاق قنصلها الجديد بمنصبه بإيالة الجزائر[3].

فمعاداة فرنسا لجميع الدول الأوروبية، أرغمها على التعايش مع الجزائر بسلام، علما أن الأرباح التي تحققها من جراء الاتجار بالحبوب لا يمكن تأمينها إلا من الجزائر، ولهذا كان القنصل فالبير يعمل كل ما في وسعه لإرضاء الداي بابا حسن، وما ساعده على ذلك، فشال كل الأطماع الانجليزية في الجزائر و محاولته تحريض الداي بعدم بيع المؤن للانجليز، كونه عمد إلى ربط علاقات متينة مع أشراف وأعيان الجزائر فقد عمل والده قنصلا بالجزائر سابقا، حيث نشأ فالبير وتربى في مدينة الجزائر وأتقن اللغة العربية واللغة الفرنكية[4] إتقانا جيدا[1].

---

[1] Albert Devoulx, **Les archives de consulat général de France à Alger**, recueil de document inédit, bastide libraire éditeur, 1865, Alger, p 129.

[2]Ibid, p127.

[3] 45 MIOM 7, GGA 1A 101, 7 November 1792.

[4] اللغة الفرنكية: تعتبر لغة الفرانكا مظهرا مهما من مظاهر المثاقفة التلقائية وهي تلك التي تتدرج في إطار التلاقح الناتج عن الحروب الناجمة عن الرغبة في الحصول على العبيد أو الاتصالات السلمية بواسطة التجارة، وتعرف هذه اللغة باللغة الفرانكية أو الأصح الفرنجية وهي تعتبر لغة لاتينية استعملت في العصر الوسيط في أوروبا و سواحل حوض المتوسط، هي على الخصوص: الفرنسية والإسبانية والإيطالية وبعض اليونانية الدارجة وقال المؤرخ مالتسان أن هذا الخليط اللغوي لا يكاد يتألف من غير اللغة الفرنسية والإيطالية والإسبانية التي تنطق بصورة رديئة جدا، وبعض الكلمات العربية، وإذا أراد الإنسان تعلمها فإنه ليس في حاجة إلى بذل مجهود كبير فهي لا تعرف القواعد النحوية كما أنها تستعمل كلمات جد بسيطة

لقد أحس القنصل فالبير بهذه البرودة خلال استقباله من طرف الداي، خاصة لما طلب منه الداي تأجيل تقديم الهدايا التقليدية التي حملها معه، معلنا أنه ليس هناك ما يدعو إلى الاستعجال، وقد ألح فالبير على ضرورة عمل كل ما هو ممكن لأجل إرضاء حكام الجزائر، خاصة حول طلب الديوان المتعلق بالغنيمة الجنوية، وأكد أنه في حالة وجود تباطؤ سيؤدي هذا الفعل إلى تعكير صفوة العلاقات بين البلدين، وهو ما أزعج القنصل فالبير، لأنه لا يرغب في أن يستهل عمله بنشوب خلاف بين البلدين، فقد أظهر الطرف الجزائري رغبة في تسوية المشكلة، كما أظهر ليونة كبيرة عند مناقشة هذه المسألة[2].

3: محاولة القنصل فالبير إرضاء الداي وإبعاد الإنجليز عن ملكية المراكز التجارية:

عندما كانت فرنسا في صراع مع معظم الدول الأوروبية، أرغمها هذا الوضع على التعايش مع الجزائر، حتى و إن كانت هناك صراعات بحرية فهي محدودة، كونها مجرد حملات بحرية من الطرف الفرنسي تعدها من حين لأخر، وعلما أن الأرباح المحققة اقتصاديا لفرنسا تأتي جراء الاتجار بالحبوب مع الجانب الجزائري، ومن هنا كان لا بدل للقنصل فالبير أن يعمل كل ما في وسعه لإرضاء داي الجزائر، ومما ساعده على إفشال أطماع الانجليز في الجزائر، محاولا تحريض الداي بعدم الاتجار مع الانجليز، كونه يعتمد على معارفه لإقناع الداي بقراره هذا، كذلك علاقته الطيبة مع الداي جعلت هذا

ومفرداتها البسيطة عبارة عن مصادر لغات مختلفة، تستعمل لجميع الأشخاص، ولكل الأزمنة وأسماء وصفات فرنسية وإيطالية وإسبانية لا تعرف غير صيغة الفاعل المرفوع وعدد من الحروف والضمائر وحروف النداء تصلح إلا أن تكون نباحا إنسانيا أكثر من صلاحيتها لان تكون قسما من أقسام لغة من اللغات، انظر: فارس كعوان، "من مظاهر المثاقفة اللغوية في الجزائر، لغة الفرنكا انموذجا"، **مجلة التاريخ المتوسطي**، مجلد2، عدد1، جامعة بجاية، 2020، ص 216.

نقلا عن: فون مالتسان هنريش، **ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009.

[1] Eugène Plantet, **Correspondance des deys**, T2, op cit, p347.

[2] جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830**، مطبوعات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2005، ص 32.

الأخير يقف إلى جانب الفرنسيين، وصراحة أعلن الداي تأييده العلني لهم، فقدم المواد المعيشية والحبوب والمؤن والجلود والملح وغيرها من المواد المختلفة لصالح الأمة الفرنسية، كما فتح لهم الأسواق الشرقية والغربية، وكلما كان الفرنسيين بحاجة للمؤن والبضائع، إلا و سهل نقلها بواسطة سفنهم إلى فرنسا، كما ساهمت السفن الجنوية بحمل البضائع الفرنسية، وبما أن الجنويين تعاونوا مع الفرنسيين، فإن الداي أقام الصلح معهم مكافأة لأصدقائه الفرنسيين[1].

وبالحديث عن علاقة القنصل الطيبة بالقبائل وقادتها، نجد أن الأهالي باعوا أرزاقهم للفرنسيين، ومن المعروف في تلك الأثناء أن قبائل الشرق الجزائري تتعامل مباشرة مع التجار الفرنسيين ودون واسطة، وفي عهد القنصل فاليير كانت علاقة فرنسا جيدة مع حكام الجزائر، وهذا يعود بالفائدة أيضا على التجار فتتحسن أوضاعهم، ويتم معاملتهم بصورة جيدة من قبل أقرانهم الجزائريين وهو ما حدث بالفعل فقد سلمت البضائع الجزائرية للفرنسيين بالدين حتى بلغت ديون الفرنسيين أكثر من خمسة ملايين فرنك، وكان حسن باشا شهما وكريما، لكن الفرنسيين قابلوا شهامته وكرمه بالجحود والنكران، حينما غضوا أبصارهم عند قيام بحارة نابولي والبندقية بإغراق سفينتين جزائريتين في ميناء بروفانس الفرنسي، وتم أسر الطاقم الجزائري على متن الفرقاطة فسطال Vestal[2]، أدى هذا العمل إلى غضب الداي حسن باشا حول تصرف الفرنسيين، فعمد إلى تقييد القنصل الفرنسي فاليير والرعايا الفرنسيين بالسلاسل، وعزم الداي على طرده إذا لزم الأمر[3]، لكنه ما لبث أن تراجع عن قراره بعد يومين من اتخاذ قرار الطرد، كان ذلك سنة 1792م، أما الدول المتحالفة فقد استخدمت اليهود كوسيلة لممارسة الضغط على الفرنسيين والجزائريين بآن واحد، فحسن باشا، عاهد التجار اليهود الإشراف على جميع الأعمال التجارية في

---

[1] Eugène Plantet, **Correspondance des deys**, T2, op cit, p348.

[2] H De Grammont, **Histoire d'Alger sur la domination turque 1515- 1830**, Ernst Leroux, paris, 1887, p 320.

[3] A CCM, B 21, fol 344.

الجزائر ولهذا كانوا يتمتعون بنفوذ قوي لدى مجلس الداي فجميع اليهود أغنياء، وبأموالهم تمكنوا من شراء الذمم حتى غدو، هم حكام الجزائر سرا، فقد علّموا كل يهودي متواجد بالجزائر أن الرشوة والمال هم أفضل وسائل النجاح[1].

لقد تناول فالبير في كتاباته أن الانجليز تجرؤوا على مطالبتهم من الداي حسن رفضه تقديم أي مساعدات للفرنسيين، حتى يواجه الفرنسيين المجاعة ويهلكوا لقلة المؤن، فجاء رد الداي معاكسا لذلك حيث يعتبر نفسه سيدا في بلاده وصديق الفرنسيين، رافضا كل مطلب من طرف الإنجليز منافيا لطبيعة العلاقات الودية مع الفرنسيين، فحاول القنصل الإنجليزي مرة ثانية لكنها كانت فاشلة مثل الأولى، هنا تدخل الداي بشكل رسمي حيث جاء تدخله لصالح المصالح الفرنسية، بعدم زيادة سعر السلع، تم فتح كل الأسواق شرقها وغربها على نطاق واسع أمام التجار الفرنسيين وسهل حركة ونشاط السفن المرسيلية بالموانئ الجزائرية، كذلك منحت حكومة الداي السلام إلى الجنويين، بناء على طلب القنصل فالبير، وهذا نظير استعمال فرنسا السفن الجنوية لنقل السلع والبضائع، بهذا القرار الشجاع من الداي حيث نعت بالرجل الشهم من قبل الفرنسيين جراء خدماته الجليلة في سبيل إنقاذ الأمة الفرنسية من المجاعة[2].

4: صورة الجزائر العثمانية على ضوء ملاحظات القنصل فالبير:

لا تخلو كتابات القناصل من تضمين انطباعاتهم وتصوراتهم حول دول الاستقبال التي كانوا يقيمون بها أو التي قضوا فيها مدة نيابتهم القنصلية وقد أورد القنصل فالبير معطيات ثمينة ونادرة عن مدينة الجزائر من شأنها أن تعزز معرفتنا التاريخية وهي تكمل دون شك المصادر المحلية أو كتب الرحالة الذين زاروا الجزائر خلال الفترة العثمانية، وهنا نحاول ذكر وتحليل ما تطرق له القنصل فالبير حول

---

[1] عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص 569.

[2] H De Grammont, op cit, p321.

مشاهداته لمدينة الجزائر، فهو قد سجل معظم الأحداث ودوّن انطباعاته خلال فترة تواجده بمدينة الجزائر، وانطلاقا من مذكرات شارل فالبير – الجزائر في سنة 1781، (L'Algérie en 1781)–، والذي حققه لوسيان شايو[1]، أين جمع وثائق خاصة حول القنصل فالبير، فهذه الوثائق تمكن الباحثين من معرفة تاريخ الإيالة الجزائرية بكل وضوح ودقة وبدون خلفيات، إلا أن فالبير لديه انطباع جد قاسي عن مدينة الجزائر وسكانها، فقد كتب عن تمرد الانكشارية ضد الداي علي خوجة، وثورة الكراغلة ضد الأتراك والمجزرة التي حدثت، لقد جاءت جل انطباعاته وملاحظاته حول مدينة الجزائر، قصر الداي وحكومة الجزائر، انتخابات الديوان، وزراء الجزائر، الباشا، السكان[2]، الدين الإسلامي وشعائره، البايلكات وتقسيماتها، اللغة، الزواج، أوضاع المرأة، المستشفيات، الأمراض، كما تطر ق أيضا القنصل فالير في مذكراته على العادات و التقاليد بمجتمع مدينة الجزائر التي أخذت حيزا كبيرا ضمن هذه المذكرات، سواء كانت موضوعية بحكم رؤيته لعادات غريبة عنه أو مدفوعة بالاستعمار أو ما يعرف بالاثنوغرافيا الكولونية لتسهيل احتلال مجتمع و معرفة بنيته الاجتماعية، و هذا ما يؤكد لنا أن هدفها كان استعماريا بحتا[3].

ولقد تحصل الكاتب على هذه المعلومات، والتي ليست موجودة في أرشيف الجزائر، حيث اندهش بالأسلوب الرائع الذي خلفه القنصل فالبير، وبثراء معلوماته من خلال وصفه للجزائر أثناء فترة تقلده منصب القنصلية، فهذه المذكرات تعود إلى سنة 1781م؛ والتي أهداها القنصل الفرنسي فالبير إلى السيد

---

[1] Pierre Boyer, chailliu Lucien, op cit, p74.

[2] ميلودي لطيفة، **المجتمع الجزائري في العهد العثماني 1518-1830**، دراسة عامة لمدينة الجزائر، رسالة ماستر، جامعة سعيدة، 2012-2013، ص31.

[3] جيلالي زروقي وردة، خالدي بالعربي، "جوانب من الحياة الإجتماعية لمدينة الجزائر في كتابات القناصل الفرنسيين خلال القرن 18م، لوجي ديتاسي و فليب فالير نموذجا"، **المجلة التاريخة الجزائرية**، مجلد7، عدد1، جامعة المسيلة، 2023، ص 367.

كاستري Castries وزير الحرب في تلك الفترة[1]، لقد حقق الكاتب لوسيان Lucienهذه المذكرات بالتعاون مع السيد بيار جيرال Pierre girale وهو أستاذ بمعهد الآداب بأكس بروفانس والسيد بيار بوبار Pierre Boyerالمكلف بالأرشيف[2].

وليس من السهل معرفة حياة القنصل فالبير، الذي لعب دورا مهما في تاريخ فرنسا بالجزائر قبل وأثناء وبعد فترة منصب القنصلية بالجزائر، إن السيد شايو استغل الفرصة بحصوله على مجموعة مهمة من الأوراق الأرشيفية تخص القنصل فالبير بأرشيف تولون وبعد ذلك تكفل بنشرها على نفقته الخاصة، وعلى الرغم من المشاكل التي وقعت للقنصل فالبير بمدينة الجزائر، إلا أنه كان شخصية أكثر تأثيرا في العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا، وهذا حسب ما ذكره بلانتي Plantet، بأن كل المناصب في البلاد الإسلامية سهلة التعامل معها، إلا أن العمل الدبلوماسي بالجزائر صعب جدا[3].

وبهذا الصدد يذكر شارل روكس Charles Rouxبأن الجزائر منحت الدولة الجزائرية مهلة محددة للقنصل فالبير لمغادرة البلاد مع عائلته، وطلبت من الحكومة الفرنسية استبداله بقنصل آخر[4]، لكن فرنسا أكدت حسب قول حكومتها، بأن السيد مايفرن رجل متقدم في السن ولا يسعه تسيير شؤون القنصلية[5]، فأرسلت مبعوثا للبت في القضية، بعد أخذ ورد، غير الداي رأيه، وأصدر أمرا حول إمكانية بقاء القنصل

---

[1] حمدون بن عتو، **الصورة السياسية...**، المرجع السابق، ص87.

[2] بن حادة مصطفى، " قراءة في العلاقات الجزائرية الأوروبية من خلال القنصل شارل فليب فالير"، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، مجلد 2، عدد1، جامعة بن خلدون تيارت، 2019، ص 348.

[3]Pierre Boyer, " l'Algérie en 1781 mémoire du consul c. ph. Vallières ", **Revue de l'occident musulman et de la méditerranée**, N° 18, Persée, 1974, p193.

[4] Plantet, **Correspondance**, T2, opcit, p 280.

[5] ibid, p 442.

فالبير بمكانه ووصفه بأنه من أفضل القناصل الذين مثلوا فرنسا، ومن المرجح لدينا أنه قدم بعض التنازلات للداي أو قدم له بعض الهدايا ونحن نعرف أن حكام الجزائر مهووسون بذلك[1].

وحسب تتبعنا لمسار القناصل أرى أن القنصل فالبير كان منحازا الى دولته فرنسا، وهذا ديدن كل القناصل الذين توافدوا على مدينة الجزائر، وكابقية القناصل الاوروبيين والامريكيين ممن تواجدوا بالجزائر، خصوصا منهم الانجليز وهذا حسب ما ذكره المؤرخ وليام سبنسر، والقناصل الامريكان حسب ما ذكره المؤرخ علي تابليت؛ و من هنا نستنتج أن كل قنصل يسعى ويهتم لتحقيق مصالح بلاده ويسعى من جانب اخر للتشويش على كل معاهدة تعقدها الجزائر مع دول أخرى أو البحث عن أفق الاستفادة منها والنسج على منوالها، وبالحديث عن القنصل فالبير في هذا الجانب، نستشف من خلال كتابات المؤرخ De Grammont [2]، ملاحظة أساسية مفادها أن السيد فالبير سنة 1794م، استطاع بعد تدخله لدى السلطات الجزائرية، موافقتها على إرسال الحبوب إلى فرنسا، وشهد له بالحنكة الدبلوماسية ومرونة التفاوض والأقناع مع الداي وحكومته، إقناع الداي باقتراض مبلغ من المال قدره خمسة ملايين فرنك بدون فوائد، و كذلك الحصول على رخصة لأجل تصدير كميات هائلة من الحبوب واللحوم المملحة والجلود ومواد أخرى مخصصة لتموين جنوب فرنسا، ويكون بذلك محبطا مناورات الإنجليز المناوئة[3]، وفي الوقت الذي لم تجد فيه فرنسا أي سند من كل دول أوروبا، لكن من جانب أخر تأكد لنا أن القنصل فالبير كان حذقا في تعامله مع حكام إيالة الجزائر ومرنا يعرف كيف يفتك المطالب بسلاسة، وهذا مايؤكد طلب الداي في الإبقاء عليه قنصلا بالجزائر بعدما عزم على طرده، وفي أخر المطاف عاد إلى مرسيليا،

---

[1] H De Grammont, **Histoire D'Alger sous la domination**, op cit, p352.

[2] ibid, p312.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830**، ج2، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 143.

أين اهتم بالكثير من الانشغالات الأخرى، قامت الغرفة التجارية المرسيليا بمنح القنصل فالبير مكافأة على خدمته التي قدمها[1].

5: التشكيلات السياسية لإيالة الجزائر على ضوء كتابات فالبير:

يبدو انه مع نهاية القرن الثامن عشر صارت مسألة التعرف على الآخر من أولويات السياسة الفرنسية خصوصا بشمال افريقيا قصد بسط نفوذها والتغلغل أكثر للحصول على امتيازات اقتصادية و من بين ما اهتم به القنصل فالبير معرفة التشكيلات السياسية لإيالة الجزائر وكيف تقوم بأداء عملها، فالفرنسيون لم يفهموا طريقة تسيير شؤون الحكم في الجزائر، وأيهما مصدر القرار القوي في مدينة الجزائر، هل هم رياس البحر؟ أم جنود الانكشارية؟ أم الداي؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات عمد القنصل فالبير لتوضيح صورة الحكم في الجزائر، فتطرق إلى التعريف بعمل الديوان فهو يُسيير شؤون إيالة الجزائر، ويتكون هذا الديوان في الغالب من أبناء الطائفة التركية بحيث يعتبرون من الطبقة الأولى في البلاد، ولديهم سلطات واسعة، يعالجون عديد القضايا بألفة بينهم، وقراراتهم غالبا ما تكون عاجلة، تجتمع كلمتهم وصوتهم تحت إمرة أحد كبار المسنين والعضو المنتخب بينهم يسمى دايا ويجلس على كرسي الحكم، وله الحق في الاطلاع الواسع على كل قضايا البلاد ويرفع العلم على سطح القصر تعبيرا على اختيار الداي الجديد، أما الانتخاب فيتم في ظروف عادية، وبمجرد وفاة الباشا يعقد الديوان اجتماعا طارئا، حيث يذيع خبر الوفاة في كل أرجاء البلاد وهكذا يتوجه الجنود المتواجدين في المدينة إلى قصر الجنينة لانتخاب حاكم جديد للإيالة، والذي من المفترض أن يكون من بين أهم موظفي الحكومة، الخزناجي أو أغا الانكشارية أو خوجة الخيل، غير أن هذا التقليد ليس دائما معمول به، و بإمكان أي جندي تقلد هذا المنصب، إذا

[1] Plantet, **Correspondance**, T2, opcit, p 281.

حصل على الأغلبية لتولي منصب حاكم الجزائر[1]، كما تطلعنا بعض الكتابات عن المراسيم التي كانت تعقد عقب تولي الباشا الجديد المنصب ومن بينها انه كان يلبس القفطان وهو رمز الحكم[2].

كذلك يتم إطلاق ضربة مدفع تأكيدا لهذا التنصيب، و يعمل الداي بإشهار زيادة الأجور للجند الانكشارية بغية اكتساب ودهم وولائهم، وله الحق في تأسيس العدالة كما يقوم بحماية قناصل الدول الأوروبية، فهم دوما في حمايته وتحت رعايته ولذلك وجب عليهم تهنئته في اليوم الموالي من التنصيب، كذلك غالبا ما يفكر الداي الجديد في التضحية ببعض الأفراد كتعبير عن شدة حزمه وجبروته[3].

كما نجد عدة وظائف هامة تتشكل منها الحكومة ومن بينها:

أ-الخزناجي:

ب- الأغا:

ج- خوجة الخيل:

د- وكيل الحرج:

د- المزوار:

ن-الدفتر دار

[1] خط همايون، رقم 1231هـ/22556/06، المركز الوطني للأرشيف.

[2] Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, traduit de l'anglais par j Mac Cathy, 2éme édition, édition bouslama, Tunis, 1980, p153.

[3] Lucien chaillou**, Textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XIII siècle**, paris, 1979, p3.

و- بيت المالجي[1]

والملاحظ أن هذه الشذرات أو الإشارات لا تختلف كثيرا عما أورده قناصل آخرين في مراسلاتهم أو مذكراتهم التي أوردوا فيها معطيات عن نظام الحكم والمؤسسات السياسية والعسكرية والحياة الاقتصادية والاجتماعية. وفي هذا السياق نجد القنصل فالبير قد اهتم بصفة خاصة بحادثة ايفاد مبعوث جزائري إلى إسطنبول على متن سفينة فرنسية.

6: التوتر بين الجزائر وفرنسا حول عدم وصول السفينة الفرنسية لإيفاد مبعوث الداي إلى إسطنبول:

بعد ما توفى الداي محمد بن عثمان باشا بتاريخ 12جويلية من سنة 1792م، عن عمر ناهز واحد وثمانون سنة، بعد حكم دام ستة وعشرون سنة[2]، حيث يعتبر أطول فترة في تاريخ الجزائر الحديث، وقد خلفه على رأس الدولة ابنه بالتبني الخز ندار سيدي حسن[3]، وجرت مراسيم تعيين الداي الجديد في ظروف عادية داخل قصر الجنينة، وقام عدد من القناصل كالعادة بتقديم التهاني في اليوم الموالي، واستغل الداي الجديد هذه الفرصة، ليطلب من القنصل فالبير الاتصال بحكومته لترسل له سفينة[4] تقل المبعوث الذي يرغب الداي في إيفاده إلى إسطنبول، لإبلاغ الباب العالي خبر تعيينه دايا جديدا على إيالة الجزائر[5]، لطلب فرمان التولية والقفطان كما جرت العادة المعمول بها عند تعيين حاكم جديد للبلاد، ويعتبر هذا الطلب أيضا تشريفا للحكومة الفرنسية وتميزا لها عن غيرها من الدول الأوروبية الأخرى نظير الصداقة العريقة التي تربطها بالجزائر، فهذا التقليد حرصت الجزائر على مراعاته منذ القرن السادس

---

[1] عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، دراسة جغرافية المدن، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1972، ص123

[2] ACCM, série j, art 1369.

[3] Plantet, **Correspondance**, T2,op cit, p 407.

[4] anom.culture.gouv.fr/archive/fonds/FRANOM_01001/view:164962 45 MIOM 7, GGA 1A 101.

[5] ACCM, série j, art 1372.

عشر، فقد راسل الداي كل من ملك فرنسا لويس السادس عشر وكاتب الدولة للبحرية يخبرهما بتوليه منصب حاكم الجزائر الجديد، ويشير لهما في رسالته إلى طلب السفينة[1] التي تحادث بشأنها مع القنصل فالبير[2]، فهنأه وشكراه لتشريفهما بهذا الطلب، وشرح كاتب الدولة للبحرية للداي عبر رسالته أنه مقابل هذا التكريم قد أقنع جلالته بتسليم قيادة السفينة المراد إيفادها للجزائر إلى القبطان دومرق Doumérgue على الرغم أنه لم يعد ضمن قائمة الضباط الذين يوكل لهم الملك قيادة السفن، ومع ذلك راعى هذا التفضيل وتجاوز عن هذه القاعدة نظرا لتبجيلكم العلم الفرنسي والذي يعد أقدم علم صديق للمسلمين[3].

لكن كل هذا التبجيل لم يحقق أي شيء على أرض الواقع، فهو يعتبر مجرد مداهنات دبلوماسية لا غير، وإلا ماذا يؤخر السفينة وخصوصا أن الملك وحكومته على علم بها، ومن المرجح إذن أن تأخر السفينة الفرنسية لحمل المبعوث الجزائري إلى إسطنبول راجع لعدة أحداث طرأت خلال صيف عام 1791م حيث وصلت العلاقات إلى التهديد بالقطيعة وحدوث جو مشحون بالتوتر والاضطراب، فمنذ تولي الداي حسن لم ينفك عن استعجال قدوم السفينة[4]، فقد قرر القنصل فالبير مكاتبة حكومته بباريس يستعجل قدوم السفينة [5] لأن السلطات الجزائرية شغلها الشاغل حاليا تحديد تاريخ وموعد قدوم السفينة، فالداي متلهف وعديم الصبر ويترجى القنصل يوميا للإسراع في طلب السفينة[6].

---

[1] Plantet, c**orrespondance**, T2, op cit, pp 408-409.

[2] **Affaires Étrangères. Correspondance reçue du consulat d'Alger (1642 -1792)** Inventaire analytique (AE/B/I/115-AE/B/I/145) Par M. Touili Archives nationales (France) Pierrefitte-sur-Seine 2000, F°127-137, p 714.

[3] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 411.

[4] **Affaires étrangères. Correspondance reçue du consulat d'Alger (1642 -1792)** Inventaire analytique (AE/B/I/115-AE/B/I/145) Par M. Touili Archives nationales (France) Pierrefitte-sur-Seine 2000, F°146, p715.

[5] Plantet, **Correspondance**, op cit, T2, p 407.

[6]ibid, p 412.

ولقد شهد القنصل فالبير الملامح الأولى لهذا التوتر بداية من شهر أكتوبر من عام 1791م عندما طلب مقابلة وكيل الحرج عن طريق مترجم القنصلية، والذي جاء طلبه بالرفض لمقابلته مبررا ذلك بأنه شخص لم يعد مرغوبا فيه وليس محل ثقة، فهو بِعد الداي ثم يخلف ولا يصْدِقه القول، فالسفينة التي يعد بوصولها يوما بعد يوم لم تصل لحد الساعة، كذلك عدم تحقيق مطالب أخرى أيضا مطلوبة منه كاتقديم الهدايا، ففي يوم 11اكتوبر سنة 1791م بعث فالبير تقريرا مطولا إلى حكومته أكد فيه لهم هذه المؤشرات نحو التوتر لدى الديوان بقصر الداي، وبالفعل لقد أبلغته الحكومة الجزائرية في هذا اليوم عددا من المطالب التي ترغب الجزائر بتحقيقها في أجال لا تتعدى أربعين يوما، وتتمثل في إطلاق سراح الأسرى المحتجزين في مالطة، وسبعة أسرى متواجدين في جنوه أيضا[1]، أين وعدت فرنسا بإرسالهم إلى الجزائر بعد إطلاق سراحهم منذ شهر مارس من السنة الفارطة، كذلك إطلاق سراح الجندي الذي أسر على متن السفينة التي استولى عليها الجنويون في مرسى رأس سبير، ورد السفينة بحمولتها إلى جانب إطلاق سراح الرايس علي، تعويضا عن مقتل ضابط السفينة المحتجزة في الحادثة الأخيرة التي وقعت في شهر ماي المنصرم، كما غضب الداي حسن باشا أيضا بعد غض الفرنسيين البصر عن قيام بحارة من نابولي والبندقية بإغراق سفينتين جزائريتين في ميناء بروفانس ونقل الطاقم إلى الجزائر على الفرقاطة فسطال Vestal، لهذا أمر الداي بطرد القنصل الفرنسي فالبير والرعايا الفرنسيين من الجزائر، لكنه تراجع عن قراره بعد يومين[2].

وفي موقف آخر هدد الداي باتخاذ اجراءات مضادة في حالة عدم ترضية تلك المطالب، حيث سيعمل على اعتقال القنصل وتسليط عقوبة الأشغال الشاقة عليه، عندها علق فالبير على هذا الموقف بقوله:"... قد استغرقنا وقتا طويلا لإطلاق الجزائريين المحتجزين في جنوة..."، وقال ايضا:"... هذا

[1] M. Touili, (AE/B/I/115-AE/B/I/145), ibid, F°54-59.

[2] Eugène Plantet, **Correspondance des deys**..., T2, op cit, p417.

وعدنا الذي كنا قد وعدنا به منذ وقت طويل، وسأكون سعيدا إذا عادوا قبل أربعين يوما حتى لا تبدو هذه العودة بكونها تمت بفعل التهديد..."[1].

ولقد فسر القنصل فالبير هذا الموقف المتشدد من طرف الداي فقال: "... ربما كان ذلك لدوافع شخصية لاستعراض الداي قوته، حالما أحس بوضع فرنسا الحالي جراء تدهور الحالة السياسية، حيث أن فرنسا لا يمكن أن تختار طريق الحرب في هذه الظروف، وقد يكون الداي في قمة عنفوانه عندما يبدو في أعين رعاياه وعند الأجانب قويا..."[2] ومن وجهة نظر أخرى لفالبير فهو يعتبر أن الداي غير قادر على شن حرب مع فرنسا فهو معين حديثا، و ما زال لم يتمكن بعد من تثبيت دعائم حكمه، إن الموقف المتشدد الذي رآه فالبير من الداي يعزوه إلى ضغوطات الديوان منه. كذلك في هذا التقرير اتهم القنصل فالبير الاسبان بكونهم يسعون إلى إبعاد فرنسا والاستحواذ على مكانتها[3].

وفي حالة قبول الجزائر التصالح مع فرنسا، فهذا الأمر يبدو شبه مستحيل خاصة إذا كانت الأيادي فارغة– عدم تقديم هدايا– وبخصوص حالة التوتر القائمة، فإن القنصل لا يستبعد استخدام القوة، ثم يتردد ويتساءل هل يليق استخدامها ضد حسن باشا وهو لا يزال في بداية عهده حيث لا تعرف نواياه الفعلية[4]، فالحرب هي علاج جد عنيف وجد متطرف، كثيرة المخاطر وغير إنسانية لا يجوز استخدامها إلا في الحالات القصوى، عندما ينعدم أي اختيار، ويرى القنصل فالبير أنه قبل التفكير في شأن الحرب يجب تصفية جميع القضايا العالقة بين البلدين، و بطريقة مشرفة بقدر ما تسمح به الظروف في تلك الفترة، لقد انتظرت السلطات الجزائرية قدوم السفينة الفرنسية حتى أوائل شهر أكتوبر، وهم جد قلقين لأن

---

[1] ibid, p420.

[2] جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790–1830م**، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1997، ص35.

[3] Eugène Plantet, **Correspondance des deys..., T2**, op cit, p410.

[4] جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية**، المرجع السابق، ص82.

موعد الخريف اقترب، وفي هذه الحالة يصعب الإبحار بسبب شدة الرياح، في المقابل عرضت السلطات الاسبانية على الداي حمل المبعوث الجزائري إلى إسطنبول منذ البداية ولم يكتفوا بهذا بل وضعوا سفينة حربية أخرى في خدمته يستعملها متى أراد[1].

لقد رست السفينة الاسبانية في الميناء منذ شهر جويلية، ولما تأخر وصول السفينة الفرنسية تقرر أخيرا إيفاد مبعوث الداي سيدي علي وكيل الحرج على متن السفينة الاسبانية، والتي غادرت ميناء الجزائر يوم 14 أكتوبر من سنة 1791م محملة بالعديد من الهدايا[2]، إلى السلطان العثماني وأعيان الباب العالي، لقد أزعج هذا القرار الذي اتخذته الجزائر حول مسالة كراء السفينة الاسبانية والذي فرضته الظروف الأنية دون أي خلفية سياسية تذكر للسلطات الفرنسية، مما دفعها إلى إرسال مبعوث خاص إلى الجزائر للتباحث حول هذه المسألة، والنظر في كيفية حل هذا اللبس الواقع عبر تبريرات منطقية ومحاولة من فرنسا إعطاء توضيحات حول سبب تأخر السفينة[3].

حل المبعوث الفرنسي بالجزائر السيد ميسييسي Missiessy بتاريخ 10 نوفمبر من سنة 1791م حاملا هدايا معتبرة من الملك الفرنسي إلى الداي حسن ورسالة منه أيضا، وأخرى من كاتب الدولة للبحرية الفرنسية الذي عبر في رسالته: "...عن انزعاج حكومته مما جرى، ففي الوقت الذي كانت السفينة الفرنسية مستعدة للإبحار إلى الجزائر، قررتم في أخر لحظة استبدالها بالسفينة الإسبانية، و

---

[1] Moulay belhamissi, **Histoire de la marine algérienne (1516-1830)**, 2eme éd, ENAL Alger, 1986, Tome3, p 38.

[2] تتكون الهدايا التي حملها مبعوث الداي إلى السلطان العثماني من 300قطعة حنبل نسيج تلمسان، و20 زربية كبيرة، 30 جلد أسد، 60 حزاما من الحرير، 22 غطاء سرير، 13 ساعة، 10 جرب من الجلد لوضع البارود، 15 حزاما من الجلد لحمل الخراطيش، 80 سبحة من العاج، 60 سبحة من العنبر، 9 خواتم، 11 زوج من المسدسات، 11 بندقية، 35 أمة، 37 عبدا، انظر:

Devoulx A, **Tachrifat, recueil des notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alge**r, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p61.

[3] Plantet, T2, op cit, p 410.

أضفتم لهذا التفضيل الغير منتظر إلقاء اللوم الغير محق على الأمة الفرنسية، إضافة إلى التهديدات القاسية ضد القنصل الفرنسي..."[1].

وكما أورد كاتب الدولة للبحرية في رسالته قائلا:"...لقد تلقى جلالته باندهاش حول هذه اللهجة المخالفة لروح الصداقة التي تجمع بين الأمتين، منذ أكثر من قرن ومع نصوص المعاهدات التي شهدها البلدين ومشاعر الود والتقدير التي كان يبديها أسلافكم، وحتى المشاعر التي عبر عنها شخصكم في مراسلاتكم بمناسبة تنصيبكم في منصب حاكم الجزائر، إن جلالته يأبى أن يوعز هذا التناقض إلى طبعكم وإنما يرى فيه نتيجة لدسائس خارجية، وبهذه الرسالة يريد التأكد من نيتكم ورغبتكم في حفظ السلام المفيد جدا للأمتين..."[2].

إن اللهجة الحادة التي أبداها كاتب الدولة للبحرية ضد الجزائر، لن تؤثر في المفاوضات التي سيجريها مبعوث الملك الفرنسي، كذلك تشديد اللهجة ضد القنصل فالبير الذي لا يحمل أي نوايا أخرى سوى المطالبة بتحقيق وعود سابقة، والتي تلكأت فرنسا في تنفيذها، و بعد هذا الحوار مع مبعوث الملك من قِبل الداي، نسبت كل الأعذار عن تأخر السفينة إلى وضع فرنسا الغير مستقر في تلك الفترة، ومن هنا تمكن المبعوث ميسييسي Missiessy من تسوية جميع المسائل العالقة خلال أيام إقامته بالجزائر، ووصف سوء التفاهم إلى مجرد سحابة صيف عابرة، وهو الإحساس الذي عبر عنه القنصل فالبير في رسالة موجهة إلى حكومته جاء فيها:"...قد انجلت السحابة نهائيا فالسيد ميسييسيMissiessy قد أرضى

---

[1] كان القنصل فالبير قد أعلن للمسؤولين الجزائريين بان السفينة الفرنسية قد أبحرت من ميناء طولون في العاشر من شهر أكتوبر، ثم تبين أنه لم يكن صادقا في قوله ، إنما كان يريد كسب بعض الوقت وهو ما يفسر اللهجة الشديدة التي استخدمت ضده من طرف الداي، انظر رسالة كاتب الدولة للبحرية الفرنسية للداي: Plantet, op cit, p 412

[2] Charles Féraud, **Histoire des villes de la province**, op cit, p451.

الداي وفقا للتعليمات التي زود بها..."[1]، فكما قدم مبعوث الملك الفرنسي هدية معتبرة للداي حسن باشا، فإن هذا الأخير رد عليه بهدية أخرى، تمثلت في ثلاثة أحصنة من أجود أصناف الخيول المحلية، وفي رده على رسالة المجاملة التي تلقاها من الملك لويس السادس عشر، شرح الداي الظروف التي اضطرته لاستخدام السفينة الاسبانية مؤكدا أن هذا لا يعني أي تفضيل لهذه الأخيرة على الأمة الفرنسية[2].

وبمجرد عودة المبعوث الفرنسي ميسييسيMissiessy إلى بلاده أعطت السلطات الفرنسية تعليمات مؤكدة لترضية جميع المطالب الجزائرية[3]، سواء تلك التي تتعلق بالتعويضات المالية أو بتلك المطالب التي تخص تحرير الأسرى، ماعدا حالة الرايس علي الذي ما يزال محتجز في جنوه، والذي سيتطلب فك أغلاله بعض الوقت، كما عبر كاتب الدولة للبحرية عن استعداد حكومته لاستدعاء القنصل فاليير، إذا رغبت السلطات الجزائرية ذلك، وهذا حسب بلاغ المبعوث ميسييسيMissiessy للملك الفرنسي[4]، لقد عزمت حكومة الداي استبدال القنصل فاليير بقنصل أخر، لكن فرنسا أكدت أنها سوف تختار الشخص المناسب لهذا المنصب في القريب العاجل، ووجد هذا الموقف ارتياحا كبيرا لدى حكام الجزائر، مما جعل الداي يستغل هذه المناسبة للتعبير عن الرضى وطمأنة فرنسا على مكانتها المعنوية التي لم تتزعزع، ليطلب أثناء عودة المبعوث الخاص له من إسطنبول سفينة فرنسية، لكن هذا الهدوء لم يستمر

---

[1] Eugène Plantet, **Correspondance des deys**, T2, op cit, p412.

[2] ibid, p 419.

[3] ibid, p 420.

[4] أحتج القنصل فاليير بشدة على حكم المبعوث ميسييسي عليه ، لقد أنكر أن يكون الداي قد طلب نقله فهو يؤكد إن مبعوث الملك لا يعرف اللهجة الفرنكوية ولم يرى الداي سوى لحظات ويحتمل أن يكون ما قاله حوله لا يعود إلى مسؤوليته كقنصل ولا يعني تراخيه في إداء واجبه الدبلوماسي ينظر: فارس كعوان، "من مظاهر المثاقفة، المرجع السابق، ص 216.

طويلا، ففي النصف الثاني من شهر ماي سنة 1792م وقعت حادثة في مرسى كافلير قرب مدينة طولون ذهب ضحيتها مرة أخرى جزائريون[1].

7: مفاوضات القبطان سوفران حول السلام وتحرير القنصل فالبير من سجنه:

لقد نتج كثير من الانتهاكات للمعاهدة الفرنسية الجزائرية للسلم والصداقة المئوية 1689- 1789م، وهذا ما يرجعه كثير من المؤرخين الفرنسيين إلى ضعف البحرية الفرنسية جراء حرب السبع سنوات (1756-1763)م، لكن من منظور أخر ربما يعود انتهاكها لسبب ثاني وهو تعمد فرنسا ابتزاز الطرف الجزائري حول بعض المصالح الاقتصادية، سواء كان ذلك ترك حرية الملاحة الفرنسية في حوض البحر المتوسط، أو حول تأجير المراكز التجارية بالشرق الجزائري والذي يكون دوما من نصيب فرنسا وبأثمان تفرضها السلطة الفرنسية فقط، كذلك أفضلية العمل الدبلوماسي مع الجزائر من بين سائر الدول الأوروبية، ويتمثل هذا في إعفاء القناصل والسفراء الفرنسيين من دفع الهدايا للداي ومجلسه وتبجيلهم على كل الدبلوماسيين[2].

وأمر كذلك المجلس الملكي الفرنسي أمير البحر سوفران Suffren بإعداد خطة لمعاقبة الجزائر، وهنا قام هذا الأخير بإعداد خطة محكمة، وبجدية تامة درس كل التجارب البحرية للقرن السابع عشر، للتّعرف على مكامن التعثر، ومدى تأثير قوة البحرية الجزائرية، فقد كانت مقترحات أمير البحر تتحدث بإنتظام عن مشاكل السيطرة على حوض البحر المتوسط، بطريقة تجعل الجزائريين يطلبون السلم[3] حسب الخطة التي وضعها سوفران، ولم يكد يجف حبر المذكرة التي تقدم بها حتى حدث حادث في عرض البحر في سنة 1793م، وهذا أدى إلى أزمة حيث أغرقت فرقاطة فرنسية شبيكة جزائرية بدعوى أنها

---

[1] Charles Féraud, op cit, p 495.

[2] العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 123.

[3] Plantet, T2, op cit, p371.

سفينة لأحد قراصنة سلا، فكانت النتيجة فقدان كل الطاقم في عرض البحر وبوصول الأخبار للجزائر، غضب الداي غضبا شديدا، وقام بإصدار الأوامر بسجن القنصل فاليير ومستشاره مقيدين بالحديد[1]، وقام كذلك بمصادرة كل السفن الفرنسية الراسية داخل ميناء الجزائر، وتعرض تاجرا فرنسيا للضرب بحجة انه تشاجر مع بحار جزائري، بعدها قام الجيش الجزائري باحتلال المراكز التجارية للشركة الفرنسية الافريقية، المسمى حصن فرنسا قديما مع القبض على جميع سكان الحصن[2].

لقد أعطيت الأوامر إلى أمير البحر سوفران بالتوجه إلى مدينة الجزائر على رأس سفينتين حربيتين وفرقاطة، ليرى ما يمكن عمله، وكان من بين الأوامر المعطاة له عدم إغضاب الداي الذي يتحكم في حياة القنصل الفرنسي فاليير وسجناء أخرين فرنسيين، حيث أرسى بعيدا عن إصابة الهدف من مدافع ميناء الجزائر، وأعطى الإشارة بان لديه مجموعة من الرسائل إلى الداي، ومما لا شك فيه أن الجزائريين قد فهموا إشارات أمير البحر سوفران، حيث يتوجب جعل السلم والحرب مترتبا على المفاوضات، ومن هنا ترك لنا السيد دي فابري De Fabry الذي قام بالمفاوضات الدبلوماسية على لسان أمير البحر، تفاصيل هائلة حول هاته القضية الحرجة، وكالعادة كانت المراسيم الدبلوماسية قد شكلت العقدة الأولى للمفاوضات، فالداي حسب اعتبار سوفران قد أهان فرنسا بوضع القنصل فاليير ومستشاره قيد السجن، وكونه أطلق سراحهما فيما بعد ليس إلا قضية ثانوية، جاءت الأوامر من السيد سوفران إلى القنصل فاليير، بأن لا تكون له أي اتصالات مع الداي خلال هذه اللحظة ويمكن أن ينتخب تاجر فرنسي للقيام بمهمة التواصل مع الداي، كذلك فقد استطاع سوفران أن يقنع السلطات الجزائرية بأن يسمحوا للقنصل فاليير بزيارته على متن سفينة العلم الفرنسي الرسمية، وهنا توسل القنصل الفرنسي فاليير المقهور حقيقة بأنه لن يعود إلى مدينة الجزائر، فقد أعجبه الأمن على ظهر السفينة الحربية، ولكن سوفران أيقن انه جاء

---

[1] Ibid, p417.

[2] H De Grammont, **Histoire D'alger sous la doumination**, op cit, p315.

إلى الجزائر ليتفاوض، لا ليخطف القنصل، وفي هذه اللحظات أصبح الأمر يتعلق بشرف وأمن السيد دي فابري الذي كان متوقعا أن ينزل إلى الأرض ويتفاوض على شروط السلام والامتيازات المزمع تقديمها للمملكة الفرنسية[1].

ولقد كانت المفاوضات بطيئة، تزامنا مع حدوث عاصفة شتوية فأجبرت السفن الفرنسية الحربية على الرحيل، لكن عندما رجع الفرنسيون بعد هدوء العاصفة كانت قضية التحيات(المراسيم) قد حلت، ورحب القنصل فالبير بالسفينة الفرنسية بثلاث طلقات مدفعية، ولما وصلت إلى الرصيف البحري تلقت خمس طلقات مدفعية للترحيب من طرف بطاريات الرصيف، بعدها أرسل الداي الذبائح من البقر والغنم والدجاج بالإضافة للخضروات الطازجة كهدية للأسطول الفرنسي، وبعد ذلك بقليل نزل السيد دي فابري الذي تلقى التحية المناسبة كمبعوث للملك ونزل وبرفقته هدية معتبرة إلى الداي تتمثل في تسليم أسير مسلم قد تم إنقاذه في مايوركا، ولقد دامت المفاوضات حوالي أسبوع كامل وكل جانب استعرض ما عنده من مظالم وشكاوي وكل طرف اتهم الأخر بخرق المعاهدة، وفي النهاية أبرمت معاهدة للسلم سنة 1794م بينهما حيث كانت الإضافات الجديدة لا تخرج عن ضرورة قيام كل طرف بوضع توقيعه وأن تُعاقب كل دولة بنفسها أي بحار أو غيره من الأشخاص الذين هم رعايا حكومة الطرف الموقع على أي انتهاك للمعاهدة، كذلك شملت أيضا بند ينص على منع قراصنة سلا من بيع الأسرى والبضائع للسفن الجزائرية خلال أربعة وعشرون ساعة بعد وصولها للميناء وبهذا الخصوص لم يكن الحكام الجزائريين سعداء بالنسبة لهذا البند الذي ينص على أن ما مضى من الإساءات قد فات ويجب نسيانه وفي السنوات الموالية وجدت

[1] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 281.

صرخات في الجزائر تطالب بإنهاء معاهدة 1789م وكانوا يقولون أن المائة سنة كانت مدة طويلة وأن هناك ظروف كثيرة قد تغيرت[1].

8- أهم الأعمال المميزة للقنصل فالبير بإيالة الجزائر:

بتاريخ 24أوت 1791م ومن مدينة الجزائر، كتب القنصل فالبير Vallière إلى الأدميرال ثيفنارد Thévenardيتحدث فيها عن الإدارة الحكيمة للشرطة والعدالة من طرف داي الجزائر الذي يضمن الهدوء في مدينة الجزائر، كما تحدث القنصل فالبير عن زوجة الداي التي تسكن في بيت ملاصق له وتقديم الاهتمام الخاص من طرفه الإيالة، فهو يعتبرها بادرة خير لإيجاد علاقة متينة مع الداي وعودة القراصنة بسفينة اسبانية أخرى بدون جواز سفر، والتي ستباع في مرسيليا هناك[2]، وبالنسبة لمجال الأسرى والقرصنة فقد كان الداي شديد اللهجة اتجاه القنصل فالبير، ففي 11أكتوبر 1791م أطلق الداي تهديداته والتي كانت مفاجأة للقنصل فالبير حيث يتم تكبيله بالسلسلة في حالة عدم العودة خلال أربعين يوما بأسرى مالطا مقابل تسليم البحار الكابتن باربي والجزائريين السبعة من جنوة والرجل الذي بقي على متن السفينة التي تم الاستيلاء عليها في منطقة سيبيت، مع إخطار المستشار Sielve بهذه المتطلبات بعد رفض مقابلة القنصل؛ لقد أخطأ الداي في تقدير فالبير حول استبعاد خطر القطيعة للعلاقات الفرنسية الجزائرية، وعلى الرغم من الدور الضار للاسبان ونكران امتنانهم لفرنسا لوساطتها في إبرام معاهدة السلم بين الجزائر ومدريد، واستخدام القوة كملاذ أخير، وبعد الاحتياطات الأولية الموصى بها للمصالح التجارية الفرنسية، ومحاولة سحب الثلاثمائة إلى أربعمائة رجل من المراكز التجارية الثلاثة لشركة Compagnie d'Afrique لمنع الداي من استخدامهم كرهائن، وتم إجلاء الفرنسيين من الجزائر

[1] جون ب وولف، **الجزائر و أوروبا 1500- 1830**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعدالله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 440.

[2] M Touili, **Affaires étrangères**, op cit, F°147-148.

مع تدخل فرنسا لاحتجاز وكيل الحرج في القسطنطينية الذي غادر الجزائر على متن فرقاطة لا ماهونيز وبقيادة دون غيمباردا [1].

ومما تقدم يمكن الاحتفاظ ببعض الخلاصات:

في اعتقادي ما ميز القنصل فالبير عن بقية القناصل الفرنسيين بإيالة الجزائر، هو كونه ابن قنصل سابق وترعرع في إيالة الجزائر وعرف كل خبايا البلاد ومعرفته كذلك بكل التشكيلات والرتب السياسية للإيالة، مع معرفته بلغة البلد ولغة الأتراك، وقد كان حذقا في معاملاته مع الداي ومع أعضاء الديوان، مع كونه تعامل بروية لحل كل المشاكل العالقة مع الإيالة، من قضايا أسر الأفراد وقرصنة السفن، وعمل على إنقاذ فرنسا من المجاعة، وذلك بقبول طلبه من الداي تزويد حكومة نابليون بالقمح في وقت الشدة على الرغم من وجود قحط بإيالة الجزائر خلال تلك الفترة، فكان يجتهد في حل هذه المشاكل عبر مراسلة حكومة فرنسا واتخاذ القرار الصائب، لكن هذا لم يمنع عنه غضب الداي أحيانا، فحادثة جلب السفينة الفرنسية لإرسال مبعوث الداي إلى إسطنبول، ومشاكل أخرى حول أسرى جزائريين أدت إلى سجن القنصل فالبير، ووصل الأمر إلى اتخاذ قرار إنهاء مهامه لولا أن الداي تراجع عن ذلك في أخر لحظة، وحسب اطلاعي لمسار القنصل فالبير عبر المصادر المتخصصة، فقد بذل القنصل جهدا كبيرا لتحقيق السلم مع حكام الإيالة، فكان لا يتوانى في طلب الهدايا من حكومته وكان يلح على تحقيق مطالب الداي في كل مرة، فهو يعرف أن فرنسا لا تستطيع الاستغناء عن علاقاتها مع إيالة الجزائر، ففي الظروف الصعبة التي لحقت بفرنسا لم تجد الدعم المادي والمعنوي؛ إلا من طرف حكام الجزائر، وحتى الاعتراف بالثورة ضد الملكية القديمة، فالجزائر من البلدان الأوائل التي اعترافت بذلك، في ظل جحود ممالك أوروبا، كذلك نجده بذل مجهودا كبيرا في قضية اكتراء السفينة للداي، محاولا إقناع حكومته بالاسراع في

[1] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p p 415-420.

تحقيق مطلب الداي، لكن الحكومة الفرنسية هي من كانت تسوف الطلب، وتتعذر بالأعذار الواهية في كل مطلب، بعدها سارعت اسبانيا لتنفيذ طلب الداي، عندها تحججت فرنسا مجددا بالحجج التافهة، واتهمت الجزائر بعدم جديتها في العلاقات السلمية، وبفضل هذا السلوك المعتدل للقنصل فالبير والذي كان محبوبا من طرف الداي وكل من تعامل معه. و في الفترة بين 1796و1800م تم تعيين القنصل مولتيدوا، وجراء الحملة على مصر تم سجنه مع باقي الرعايا الفرنسيين، لكن لإظهار حسن النية من طرف الامبراطور نابليون قام بحرير العديد من الأسرى المسلمين عند الحملة على مالطة، ومن هذا المنطلق تم تعيين السيد ديبوا تانفيل كقنصل جديد بالجزائر والذي بدوره مهد لعلاقات جديدة كللت بعقد معاهدة 1800م.

المبحث الثالث: المسار الدبلوماسي للقنصل ديبوا تانفيلCharles Francois Debois than-ville 1800- 1814:

1: لمحة تاريخية عن القنصل ديبوا تانفيل

يعتبر القنصل ديبوا تانفيل من بين القناصل النافذين أثناء تأدية مهامه القنصلية بإيالة الجزائر، فله تاريخ حافل بالأمجاد، فقد شارك ديبوا تانفيل في الثورة الفرنسية مشاركة فعالة منذ اندلاعها في 14جويلية سنة 1789م وكان من بين القادة الكبار الذين شاركوا في تحرير سجن الباستيل، كما أدى في السنوات الثلاث الأولى من بداية الثورة عدة وظائف مدنية وعسكرية، وعمل قائد فيلق ثم ممثلا عن بلدية باريس، كما يعتبر من المساهمين في إسقاط النظام الملكي بتاريخ 10اوت 1792م، ويعتبر أول من رفع العلم الوطني علم الجمهورية فوق قصر فرساي[1]، ويعتبر القنصل ديبوا تانفيل من فئة القناصل الفرنسيين الجدد من ذوي الميولات للنظام الجمهوري، الذين كانوا يختلفون حتما عن القناصل المناصرين أو ذوي

[1] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 489.

التوجهات الملكية، وفي شتاء 1792-1793م أُرسل إلى هولندا، بعدها وبتاريخ 11جانفي 1794م استقر به المطاف بالشرق، فأقام بالقسطنطينية، ثم تم تكليفه من طرف الجمعية التأسيسية الثانية La convention في سبتمبر من سنة 1795م بمهمة تفقدية إلى مصر والأناضول ولم يعد إلى فرنسا إلا بحلول سنة 1797م[1].

وفي العام الموالي وبالتحديد في 24تريكتيدور وهي السنة الجمهورية السادسة الموافقة للعاشر من سبتمبر 1798م، عينته حكومة الإدارة قنصلا عاما بالجزائر خلفا للقنصل مولتيدو[2]، ولكنه عندما وصل إلى مارسيليا ليبحر نحو الجزائر ومنع من الالتحاق بمنصبه لأن الأحداث في تلك الفترة لم تكن تسمح بذلك، وفرنسا منشغلة بالحملة على مصر حينها[3].

2: وصول القنصل ديبوا تانفيل إلى الجزائر:

بعد قيام الثورة الفرنسية وبداية العهد الجديد وظهور أنظمة جديدة من أنماط الحكم في فرنسا(نظام المدراء، القنصل الأول، النظام الجمهوري)، في هذه الأثناء ظهر نابليون بونابرت كقائد عسكري محنك استطاع أن يلحق العديد من الهزائم بالتحالفات الأوروبية المتتابعة ضد فرنسا[4].

وبعد الحملة الفرنسية على مصر سنة 1789م، كانت هذه الحملة سببا قويا في تدهور العلاقة بين فرنسا والدولة العثمانية[1]، وفي هذه الظروف سعت انجلترا لتأليب الرأي العام الاسلامي ضد الفرنسيين،

---

[1] فريد بنور، **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830م**، مجلة وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص 161.

[2] Albert Devoulx, **Les Archives de consulat général de France à Alge**r, bastide libraire, Alger, 1865, p 136.

[3] Déhérain Henri, " La mission du commissaire général Dubois Thain-ville, auprès du dey d'Alger an 1800-1801", **Revue de l'histoire des colonies françaises**, T19, 1926, p83.

[4] PH Boucher, **La révolution de la justice**, édition jean pierre de manza, paris, 1989, p33.

وبذلك أصبحت الجزائر تحت ضغط الرأي العام المحلي والخارجي من دول إسلامية وعربية، عندها تلقى الداي مصطفى القفطان والسيف التقليدي2 من السلطان العثماني يوم 16أكتوبر من سنة 1798م، وتلقى الأمر معه بإعلان الحرب على فرنسا، لكن بكري و بوشناق مارسا ضغطا كبيرا على الداي جعله يتلكأ في إعلان الحرب3، وبعد ذلك جاء أمر ثاني من السلطان العثماني في 22نوفمبر 1798م بضرورة قطع العلاقات مع فرنسا[4]، وإعلان الحرب عليها مرة ثانية[5]، فقام الداي عندها بسجن القنصل مولتيدو يوم 21ديسمبر من سنة 1798م [6]، و ليتم إطلاق سراحه بعد أسابيع من ذلك التاريخ، وهذا بضغط من بكري وبوشناق[7]، وحتى حين رفض الداي طلب السلطان اعلان الحرب على نابليون وكان ذلك بضغط من اليهود، ويظهر أثر ذلك في توجيهاتهم له حين استقبل القنصل ديبوا تانفيل وعبر له عن نواياه الخالصة تجاهه وتجاه رعاياه، ثم أعقب ذلك بكتابة رسالة إلى نابليون في 13افريل 1801م اعتذر له فيها عن إعلانه الحرب مرة أخرى على فرنسا[8]، ويتبين مما سبق أن تعيين هذا القنصل جاء في ظرفية

---

[1] محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، المرجع السابق، ص 224.

[2] هو الداي مصطفى الذي تولى الحكم بعد وفاة خاله بابا حسن يوم 14 ماي 1798م، وقد مات مقتولا سنة 1805م وفي عهده بنى جنان مصطفى باشا و باب عزون والقى القبض على القنصل الفرنسي ثم أبرم السلم مع فرنسا سنة 1802م مع السيد ديبوا تانفيل وفي عهده أيضا اجتاح الجراد البلاد وضربت مجاعة الإيالة كذلك جراء الجفاف، ينظر العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، المرجع السابق، ص 224.

[3] كمال بن صحراوي، **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر عهد الدايات**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف دحو فغرور، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، الجزائر، 2007-2008، ص 111.

[4] أرزقي شويتام، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي 1519-1830**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص 89.

[5] A Berbrugger, "La régence d'Alger sous le consulat et l'empire", **in R A**, N° 19, 1872, é d Jourdan, Alger, p p 2-3.

[6] بليل رحمونة، **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية 1564-1830**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2010-2011، ص 180.

[7] تدخل بكري وبوشناق لآجل إطلاق القنصل والرعايا الفرنسيين كان ذلك في سبيل الحفاظ على مصالحهم التجارية وحماية شركتهما من الإفلاس ومحاولة استرجاع ديونهم المترتبة على فرنسا نتيجة تزويدهم بالقمح ومحاولة ربح صفقات تجارية جديدة لتزويد جيوش الحملة وجيوش الراين، ينظر: العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 125.

[8] Alfred Nettement, **Histoire de la conquête**, op cit, 1867, paris, p 125.

متوترة والغرض من تعيينه تطبيع العلاقات الدبلوماسية من جديد بين الطرفين إثر توجيه الحملة الفرنسية إلى مصر، وحسب استقرائي لبعض الوثائق المتاحة ومطالعتي لبعض المصادر والمراجع التي تناولت أحداث القنصل ديبوا تانفيل تبين لي أن التحاقه بمنصبه لم يكن بالأمر السهل، بل جاء بعد صعوبات وأخطار كبيرة تعرض لها، فقد فتشت السفينة الأمريكية التي كان يستقلها من اسبانيا إلى الجزائر من طرف الانجليز حيث خضع من طرف حاكم ماهون إلى تحقيقات قصوى، ولكنه نجا بأعجوبة كبيرة، حيث أستطاع إخفاء هويته وجنسيته وتغيير اسمه الحقيقي إلى اسم مستعار وهو دوبيسك (Dubosc)[1]، وبواسطة هذه الحيلة تم إطلاق سراحه من يد البحرية الانجليزية، ليتابع طريقه نحو الجزائر، فوصل أخيرا متنكرا على متن سفينة جزائرية[2]، ولا شك أن الظرفية التاريخية هي التي تفسر ذلك ونعني الصراع البريطاني الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط وفرض حصار على السفن الفرنسية التي تجوب المتوسط، وبعد كل الأحداث العصيبة التي وقعت للقنصل ديبوا تانفيل استقبل بكل حفاوة من طرف حكام الإيالة الجزائرية، أين تفهموا الظروف الحرجة التي تجابه فرنسا من طرف البلدان الأوروبية، خصوصا أنها شهدت ثورة ضد النظام الملكي والذي كانت تعتمده كل أوروبا بتلك الفترة، لهذا تغاضت السلطات الجزائرية عن مراسيم التشريفات التقليدية المتبعة في الأعراف الدولية، وسلم القنصل تانفيل الداي الرسالة المرسلة من طرف الإمبراطور نابليون[3].

وحسب ما توفر لدينا من معلومات موثقة فإن القنصل ديبوا تانفيل كلف بتأدية مهام محددة بالدرجة الأولى وعاجلة، أولها إبرام صلح جديد مع الجزائر في 19جويلية 1800م، وعلى إثر ذلك رأى الداي مصطفى أنها فرصة سانحة، حيث طلب من القنصل هدية قدرها ستة ملايين، لكن القنصل لم يمرر هذا الموقف بسهولة بل تصدى لهذا الموقف بحكمة وعناد في وجه الداي جراء طلبه للمال في أول لقاء،

---

[1] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 489.

[2] Charles Féraud, op cit, p 551.

[3] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 490.

وبعد تفاوض تم الاتفاق على هدية بقيمة 200000 قرش تعادل قيمتها (مليون فرنك)، كما طلب من القنصل بأن يتعهد لليهود بدفع مستحقاتهم، وتم التوقيع على المعاهدة النهائية في 30 سبتمبر، كل هذه الأحداث وقعت على الرغم من غضب وتهديدات الانجليز جراء خوفهم على مصالحهم القائمة مع إيالة الجزائر[1]، وثانيا نجح القنصل تانفيل في عقد صفقة لشراء كميات معتبرة من الحبوب ومواد التموين لإرسالها إلى الحامية الفرنسية بجزيرة مالطة، وباعتبار أن الانجليز أصبحت علاقاتهم وثيقة بالعثمانيين ولهم السيطرة شبه الكلية على حوض بحر المتوسط، فقد فقدت فرنسا كل اتصال مع قواتها بمصر، ولهذا عمل القنصل تانفيل بنصائح الإمبراطور نابليون لتكثيف جهوده لخدمة الجيوش الفرنسية خلال حملة نابليون على مصر، ومن هنا فهو يسعى لإيجاد منفذ جديد لإيصال المؤن، كذلك من بين ما سعى إليه القنصل تانفيل السعي لإطلاق حوالي سبعمائة وربما حتى ثمانمائة أسير فرنسي المحتجزين لدى إيالة الجزائر[2].

ومن المؤكد بعد تتبع أحداث وصول القنصل ديبوا تانفيل إلى إيالة الجزائر بتاريخ 24 نوفمبر 1801م، وبعد اللقاء الودي الذي جرى مع الداي، عادت المياه إلى مجاريها بين الطرفين إذ وحسب العرف المتبع في العلاقات الدبلوماسية يتم إرسال رسائل التطمين لفرنسا عقب تعيين القنصل وتكون إما لوزير الخارجية أو مباشرة للقنصل الأول نابليون فهو معروف عنه متابعته لأخبار قناصله ومبعوثيه أول بأول، ومن هنا جاء رد نابليون مجاملا الداي برسالة يقول فيها: "...لقد أرغمتكم على عداوتي وفق أسباب سياسية عليا، لكن الرسالة التي بعثتموها لي وتعاملكم اللبق مع القنصل ديبوا تانفيل منذ مغادرته

[1] ibid, p 490.

[2] Lettre du citoyen Dubois-Thainville au Directoire, le13 messidor an VIII, p 490.

ماهون ونزوله بأرض الجزائر جعلني أتفهم الأسباب التي تدفعكم لتلك التصرفات ولكن الماضي مضى وانقضى.."[1].

ولكن ما لم يحسب له حساب هو تحريض الانجليز للباب العالي والذي قد أصدر بدوره أمرا، يشجب فيها تلك العلاقة الودية بين الجزائر وفرنسا والتي تمت بتاريخ عقد معاهدة 30 سبتمبر 1800م، ويأمر كذلك باعتقال كل الرعايا الجزائريين في السلطنة العثمانية ومصادرة ممتلكاتهم، وهو ما أدى لخسائر فادحة مست الجزائريين، خلال هذه الأحداث تلقى الداي وعدا من القنصل ديبوا تانفيل بالتعويض ولذا طلب منه مبلغ مائتي قرش اسباني2، لكن مع الطلب المتزايد للمال من طرف الدأي، رد نابليون برسالة أخرى شديدة اللهجة هدد فيها بغزو الجزائر إذا لم يعدل عن المطالبة بهذه المبالغ[3].

وكل الأحداث التي جرت حول عملية غزو مصر و ترحيب الداي مصطفى بإعادة العلاقات مع فرنسا أجج الخلاف بين السلطة العثمانية وداي الجزائر مصطفى باشا حول حرب الفرنسيين حيث أرغم الداي مجبرا على سجن كل من القنصل الفرنسي بالجزائر والرعايا الفرنسيين[4]، لكنهم تلقوا معاملة حسنة وتم إطلاق سراحهم بموجب المعاهدات القديمة والامتيازات الفرنسية، ويعود ذلك وفق معاهدة 1790م، وتم أيضا استرجاع كل الأموال والبضائع الخاصة بالفرنسيين مع عدم أسر أي رعية فرنسية تحت أي ظرف

---

[1]Alfred Nettement, op cit, p127.

[2] سلمى عرفاوي، " الصراع الدولي في منطقة خلال الحملة الفرنسية على مصر 1798م و أوجاق الغرب دراسة وثائقية" ، **مجلة الملل الإلكترونية**، تركيا، 2018، ص 62.

[3]Abla Gheziel, "La politique des deys d'Alger a la veille de la conquête française 1730-1830", **Revue el mawaquif**, 2011, p4.

[4] كنزة بركات، صمرة زروخي، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال عهد الدايات 1671-1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: أبوبكر الصديق حميدي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016-2017، ص 64.

كان[1]، وأختار نابليون حلا دبلوماسيا مع إيالة الجزائر لحل كل المسائل العالقة، إما بإبرام اتفاقيات جديدة أو المصادقة على المعاهدات السابقة[2].

وفي اعتقادي أنه بعد تعيين القنصل ديبوا تانفيل عام 1800م قنصلا عاما بالجزائر[3]، كانت له رؤية نمطية ومدروسة لكسب ود حكام الجزائر والتعامل معهم بحذق لكسب عدة امتيازات سواء سياسية أو اقتصادية خاصة وأن فرنسا لها ظرفها الخاص بعد تغيير نظامها الإمبراطوري القديم بفضل الثورة الجماهرية وتفاقم عدواتها في الأوساط الأوروبية، لهذا أخذ أوامر نابليون بجدية لاستعادة السلم في المرتبة الأولى[4]، فكان يتردد على الحكام الأتراك ويعمل بحزم لعرض خططه على الديوان، فقد تعلم كيف يتعامل مع الداي مصطفى والذي كان يلقب في افريقيا بالجنرال الشيطان، وتم تقديم رسالة له مرسلة من قبل القنصل الأول نابليون بونابرت ليبرم هدنة بينهما عرفت بهدنة 18 جويلية 1801م، ولكنه سرعان ما تم كسر هذا السلام بناء على طلب انجلترا، وتم إعطاء الوقت للقنصل ديبوا ورعاياه للصعود إلى السفن الفرنسية والعودة لديارهم[5].

---

[1] خديجة حالة، **الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني 1700-1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار، 2012-2013، ص 35.

[2] قندوز عبد القادر، "المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر ما بين 1741-1802"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مجلد 6، عدد 14، 2018، ص 71.

[3] جباري قرايفة، عثماني شعيب، **يهود البلاط والاقتصاد في الجزائر العثمانية ودورهم في نهاية الإيالة 1791-1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: جباري عثماني، جامعة حمة الأخضر الوادي، الجزائر، 2017-2018، ص 49.

[4] نادية فتيسي، **أوضاع الجزائر من عهد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا 1766-1830 الأوضاع السياسية والاقتصادية نموذجا**، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف صالح فركوس، جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2017-2018، ص 398.

[5] الأرشيف الوطني الجزائري، خط همايون، عدد 5825، تاريخ 1215، تعريب فكري طونا.

بعد ذلك كتب الداي مصطفى رسالة اعتذار إلى الحاكم نابليون وأخبره أنه أجبر على ذلك[1]، وتم توقيع هدنة سلام جديدة[2] تنص على حرية التجارة وإلغاء العبودية الفرنسية بالجزائر، لكن هذا أيضا لم يدم طويلا، كذلك وجد انزعاج من حاشية الداي حول بداية العلاقة مع القنصل ديبوا تانفيل لعدم تقديمه للهدايا المعتادة والمبرمجة مع كل تعيين لقنصل جديد بالجزائر باعتبارها واجب مشروع لدى النظام العثماني ومعمول به في كل الإيالات العثمانية[3].

3: رسالة ديبوا تانفيل للوزير تاليران لطلب المستحقات المالية لرحلته للجزائر سنة 1798:

لقد جاءت رسالة ديبوا تانفيل في ورقتين ذات اللون البني مكتوبة بخط اليد وعليها شعار الثورة الفرنسية(عدالة، مساواة، حرية)، وهي بتوقيع القنصل ديبوا تانفيل، (أنظر الوثيقة في الملحق) وكان مضمون الرسالة يتكلم حول طلب مزيد من الأموال لتحقيق مهمة القنصل بإيالة الجزائر، فجاء نصها كالتالي:

كما هو معمول في الأعراف الدبلوماسية فقد راسل القنصل ديبوا تانفيل الوزير تاليران من مكان تواجده بجنوه في 27نوفمبر من سنة 1798م لإعلامه بكل جديد قبل ارتحاله لإيالة الجزائر، متسائلا حول النفقات اللازمة لمهمته بالجزائر، فيذكر أن هذه النفقات واجبة وضرورية لسير الحسن لنشاطه بمقر القنصلية، كذلك يطلب توفير نفقات الملبس والمعيشة، كما يطلب توفير نفقات الطريق والإقامة بجنوه، فحسب تقريره يشتكي من قلة حيلته المادية، فبعد وصوله إلى أنكونا يؤكد بأنه سوف يبدأ في الإعداد لرحلة طويلة ومكلفة عن طريق البر وهذا يتطلب منه شراء راحلة وزاد ودليل يساعده في الوصول إلى

---

[1] غالية بخاري، "*جان كريسكو في ضيافة المعهد الثقافي الفرنسي بوهران*" (القي كلمة حول علاقة نابليون والداي مصطفى)، **جريدة الجمهورية**، الجزائر، عدد1734، 24فيفري 2016.

[2] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 497.

[3] فاطمة الدرعي، " مجالات التعامل الدبلوماسي بين الجزائر وأوروبا خلال العهد العثماني"، **مجلة الحوار المتوسطي**، مجلد 10، عدد3، 2020، ص 178.

مقصده، وقد يخشى عدم كفاية الأموال المخصصة لهاته المهمة الصعبة، ومن هنا تحتم عليه اقتراض مبلغ مالي قدره خمسة ألاف فرنك من القنصل بليفيل بجنوه[1].

وكذلك فقد عبر ديبوا تانفيل عما يختلج في خاطره للوزير تاليران، مما جعله يشعر بالحزن كثيرا عند مغادرته فرنسا وهو يترك زوجته و أولاده، إلى أن تستقر أموره بالجزائر، كما تطرق في آخر الرسالة بتذكير تاليران أن مبلغ ستة ألاف الذي كان يتقاضاه في بلاد الشام لم يعد يلبي حاجياته عندما كان في مهمة رسمية دامت لحوالي ثلاث سنوات وبهذا فهو في انتظار إجابة مقنعة من الوزير تاليران قبل وصوله للجزائر[2].

4: الوساطة بين ديبوا تانفيل واليهوديان بكري وبوشناق:

يذكر القنصل ديبوا تانفيل أن بكري وبوشناق[3] هما الأسرتان الوحيدتان اللتان كانتا تتميزان بطموح واسع وتتمتعان بثقة حكام إيالة الجزائر، وهم شركاء في كل مكان، ومن بين ما قام به القنصل ديبوا تانفيل بعد تعيينه قنصلا عاما بالجزائر أخذ مشورة حكومته بشأن إعادة السلم مع الجزائر؛ لا بد من تحقيق عامل مهم، وحسب نظره سوف تكون له نتائج إيجابية تعود على فرنسا بالفائدة سواء منها

[1] Archives du Ministère des affaires étrangers mémoires et document Algérie http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr.

[2] Lettre de dubois Thainville a Talleyrand sur sa situation financiere N° 8 bis, CADN 22PO/1/33.

3 إن المعلومات التي أثبتتها مختلف المصادر تؤكد كون هاتين الأسرتين اليهوديتين بوشناق وبكري هما من أصل ليفورني بإيطاليا، استقرا بالجزائر خلال القرن 18م، فأسرة بوشناق هي الأولى التي استقرت بالجزائر في 1723م، ثم التحقت أسرة بكري بدورها بعد فترة، ارتبطت الأسرتان بأواصر المصاهرة، فزوجة نفطالي بوشناق الذي سيصبح سنة 1800م رئيس الطائفة اليهودية هي على ما يبدو ابنة بكري، وأخت يعقوب الذي سوف يترصد المكانة الأولى في مسالة الديون، وتشير الروايات إلى إقامة شراكة بين الصهرين، حيث أسسا شركة للتجارة في حدود 1783م، وأصبحت تلعب دورا بارزا في المعاملات التجارية بين الجزائر وأوروبا منذ هذا التاريخ. أنظر: منور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**، الجزائر، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص 292.

الدبلوماسية أو على الجانب الاقتصادي؛ وهي التواصل مع التاجرين بكري وبوشناق لمساعدته في إحلال السلام مع حكام الجزائر عبر ضغطهم على الداي وفق أساليبهم المعهودة ونظير خبرتهما الكبيرة بهذا البلد على كافة الأصعدة، وبعد تجهيز نابليون ديبوا تانفيل بأوراق اعتماد القنصل أين تم قبوله قنصلا جديدا بالجزائر، وعند الحديث عن العلاقات بين البلدين مع الداي مصطفى وديوانه، فكانت أول مسألة تناولاها هي مسألة ديون التاجرين بكري وبوشناق، حيث حاول القنصل ديبوا إقناع حكومته إعطائهم مستحقاتهم في أقرب الآجال[1]، وبذلك تعهد القنصل و مؤكدا أن بلاده ستعمل على استئناف تسديد الديون على أقساط وسيكون ذلك حالما ترجع العلاقات بين الجزائر وفرنسا إلى مجراها الطبيعي[2].

ومن المؤكد أن القنصل ديبوا تانفيل بتاريخ 29 جويلية لعام 1800م وبعد مقابلة أجراها مع التاجرين بوشناق وبكري؛ أحس ديبوا تانفيل أنهم راضيين عن وضع العلاقات بين الجزائر وفرنسا خصوصا وأنه قد عرف أن اليهودي بوشناق هو المستشار الرئيسي للداي، حتى أنه أطلق عليه لقب ملك الجزائر، وللتعبير عن حسن نيتهم للقنصل الفرنسي عمل التاجرين على دفع الإتاوة المفروضة على فرنسا بعد أن تعهد لهما القنصل بتسديدها لهم في باريس، و قال ديبوا تانفيل عن اليهود: "... هي الأسرة الوحيدة التي كانت تتميز بطموح واسع وتتمتع بثقة حكام الجزائر، فإنهم شركاء في كل مكان وفي كل شيء..."[3]، فالتاجرين لهم امتداد واسع عبر علاقات تجارية وسياسية من باريس إلى مرسيليا، عنابة، جنوه، ليفورن، مدريد، وهو ما ساعدهم على الاستحواذ على تجارة بلاد المغرب[4]، ولتطمين التاجرين استعمل بعض الدهاء، فعمد ديبوا تانفيل إلى تسبيق بعض من الأموال وليست كلها وذلك لطمأنتهما، لكن

---

[1] عبد الحميد أشنهو، " الدور الذي لعبته الجزائر خلال القرن السادس عشر"، ***مجلة الأصالة***، **مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية**، 2012، الجزائر، ص 302.

[2] Dahran H, "La mission du commissaire général Dubois thain-ville auprès du dey d'Alger", **Revue historique et des colonies**, 1926, p100.

[3] جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية، مرجع سابق، ص 115.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر في التاريخ في العهد العثماني**، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 78.

دون تصفية باقي الديون حتى يظلا كرهينة لفرنسا ويسهل الضغط عليهما متى شاء، لكن من خلال أحداث الحملة على مصر وجشع الداي، فقد عمد بوشناق إلى تقديم المزيد من الأموال لإرضاء الديوان والداي، وهو ما أدى القنصل الأول نابليون إلى رفض ذلك، حيث يعتبر ذلك عمل مهين للأمة الفرنسية وقد أنهى زمن تقديم التنازلات مع العهد القديم، وبالمقابل سوف تشاهد المدافع على الحصون تطلق البارود إعلانا للسلام ومن هنا يخبر القنصل ديبوا تانفيل الوزير تاليران عن إعجابه بالخطة المقترحة من طرف بوشناق عراب الداي وهو الآن في انتظار اقتراح الحكومة الفرنسية باستخدام وسائل أخرى أكثر نجاعة لتسهيل تطور العلاقات مع إيالة الجزائر[1].

وكذلك تذكر بعض المصادر أن الحكومة الفرنسية قد سجنت ممثلي اليهود في بلادها على إثر إعلان الحرب بين الدولتين الجزائر وفرنسا سنة 1798م، على أساس أنهم رعايا جزائريين ولم يتم إطلاق سراحهم إلا بعد انتهاء الحرب سنة 1801م، وقد تنفس اليهود الصعداء عندما وصل تاليران[2] إلى رئاسة وزارة الخارجية بفرنسا وذلك لسهولة مساومته وارتشائه وهذا ما جعل الحكومة الفرنسية تتراجع في كثير من الأحيان في قراراتها ضد اليهود بفعل تدخل تاليران وتحالفهم معهم لأنه كان يدرك أن مفتاح نجاح

---

[1] Alexandre De Laborde, **Au Roi et aux chambres sur les véritables causes de la rupture avec Alger et sur l'éxpédition qui se prépare**, chez truchy libraire, paris, 1830, p 11.

[2] تاليران : الملقب بالشيطان الأعرج كان دبلوماسيا مميزا وهو من الشخصيات الرئيسية خلال القرن التاسع عشر عمل على المساهمة في إسقاط الإمبراطورية وعودة أسرة البوربون للحكم، ولد سنة 1754 لأبوين لديهم دراية بالبلاط الملكي للويس الخامس عشر فهو لم يستطع التأقلم مع مهنة الجندي لعرج في قدمه بل مع انفتاحه على أفكار التنوير أصبح كاهنا سنة1775 م وحضر تتويج لويس السادس عشر، ثم عين اسقفا لكن هذا لم يدم طويلا ، وعند اندلاع الثورة انظم تاليران إلى الحركة الشعبية وشارك في صياغة إعلان حقوق الأنسان في 1789، هاجر إلى بريطانيا وأمريكا ثم عاد ليعين في عهد نابليون وزيرا للخارجية سنة1796م ينظر: **https://www.napopedia.fr/fr/biographies/Talleyrand.**

العلاقات مع الجزائر يتمثل في دور بكري وبوشناق خصوصا خلال هذه الفترة العصيبة ومحاولة تجييش عواطف اليهود ضد إنجلترا التي أرادت عزل فرنسا اقتصاديا[1].

وفي موضع أخر يقول القنصل ديبوا تانفيل عن علاقته باليهود الجزائريين: "... أنتظر الفرصة السانحة لي ولا أتركها تفلت من بين يدي بأي حال من الأحوال، كنت دائما أتجنب الوقوع تحت سلطة اليهود، وللحفاظ على كرامتي فقد تبنيت طريقة خاصة في المعاملة معهم بحيث أجعلهم في حالة تردد وفي قلق مستمر تجاهي، لقد كانوا دوما يسعون إلى الاطلاع على أسرار الدولة الفرنسية، ولهذا كنت أتحفظ منهم وأظللهم أحيانا..."[2].

ولقد كان بين اليهود والقناصل ضغينة كبيرة سببها المنافسة التجارية، وقد حاول الفرنسيون سنة 1690م أن يكون لهم نفس الامتيازات والتي يحظى بها اليهود في تجارة الجلود والشمع لما تدره من أرباح كبيرة، فتحولت المنافسة إلى خصومة فخرج من صفوف اليهود مخبرون دخلوا في خدمة الداي ونجحوا بفضل معرفتهم اللغات الأوروبية والعثمانية والعربية وربطهم الصلات هنا وهناك، لقد وجد اليهود في طائفة البروتستانت نوعا من التفاهم فكانوا الوسطاء بين إيالة الجزائر والدول الشمالية و في مقدمتها هولندا، وذلك لمحاربة غطرسة الملك لويس الرابع عشر، ومن بين أعمال اليهود أنهم كانوا يخرجون بمراكبهم خلف السفن الفرنسية فيدلّون البحارة الجزائريين على حمولتها واتجاهها، كما كان يهود مرسيليا

---

[1] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 491.

[2] لقد أدى النفوذ السياسي والتجاري المتزايد لليهود إلى غضب الأهالي وسخطهم فقاموا بعدة ثورات ضدهم في القرن التاسع عشر، وكانت أخطرها التي وقعت في سنتي 1804-1805إذ قتل أحد الانكشاريين اليهودي نفطالي بوشناق عند خروجه من الجنينة وتبع ذلك نهب لممتلكات اليهود وقتل الداي مصطفى وقد نتج عن ذلك هجرة المئات من اليهود مما أدى إلى تناقص عددهم بشكل محسوس. أنظر :
Mainz Ernest, **Les juifs d'Alger sous la domination turque**, Journal asiatique, T CC XL, 1952, p203.

همزة وصل بين الجزائر وهولندا في المفاوضات والمراسلات وتهريب الأسلحة، حتى تذمر ملك فرنسا من اليهود المقيمين في مرسيليا ووبخ نوابهم وأمر بطرد اليهودي أنطوان لوبيس[1].

5: تقرير القنصل ديبوا تانفيل للوزير تاليران حول مناورات الأدميرال الإنجليزي كيث لدى مجلس الداي سنة 1800:

لم يكن عمل القناصل الفرنسيين مقتصرا على تحرير الرسائل الدبلوماسية والاخبار عن كل المستجدات ببلد الاستقبال بل عمد بدوره إلى تحرير أصناف أخرى من الكتابات القنصلية "التقارير"، ولقد جاء هذا التقرير حول مناورات الأدميرال كيث في ورقتين تحمل الرقم 44و 54 وهي باللون الرمادي ومكتوبة بالخط البني ولا تحمل أي إمضاء من القنصل ديبوا تانفيل، ربما تكون صفحات التقرير منقوصة، (أنظر الوثيقة في الملحق)، وجاء محتواها كالتالي:

وبعد الحملة على مصر من طرف الفرنسيين شهد حوض البحر المتوسط حربا غير معلنة بين الفرنسيين والانجليز وخصوصا لدى حكام إيالة الجزائر[2]، وهذا لأجل الحصول على امتيازات معتبرة مع تسهيل مهمة التجار لكل منهما، كما لم تقف انجلترا من جهتها مكتوفة الأيدي بل كانت تسعى إلى جر الجزائر إلى القطيعة مع فرنسا[3]، وفي سبيل ذلك عمل كل طرف بوسائله الدبلوماسية الخاصة المشروعة

---

[1] مولاي بالحميسي، "جانب من جوانب الصراع الجزائري الأوروبي الجوسسة الغربية في الجزائر العثمانية"، **مجلة الباحث**، عدد3، الجزائر، 1985، ص 26.

[2] في ظل الصراع الفرنسي الإنجليزي لم تعد فرنسا قادرة على التواجد بقوة في حوض البحر الأبيض المتوسط لحماية سفنها التجارية فأسندت الأمر إلى الإيطاليين والنابوليتنيين والجونيين لاستغلال مؤسساتها في الشرق الجزائري، وهذا ما أغضب الجزائر باعتبار أن هاته الدول في حالة حرب معها، وكرد فعل انتزعت هاته الامتيازات وسلمت إلى إنجلترا، ينظر: كمال بن صحراوي، **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر**، المرجع السابق، ص 94.

[3] **LETTRE DE DUBOIS THAINVILLE A TALLEYRAND DU 4 FRUCTIDOR AN VIII [22 AOUT 1800] SUR LES MANOEUVRES DE L'AMIRAL ANGLAIS KEITH-CADN 22PO/1/33.**

منها والغير مشروعة لإرضاء حكام الجزائر[1]، وفي خضم هذا الصراع يتطرق القنصل ديبوا تانفيل في رسالة موجهة للوزير الفرنسي تاليران بتاريخ 22 أوت من سنة 1800م يتحدث فيها بإسهاب عن المناورات السرية للأدميرال الانجليزي كيث[2] لزعزعة الثقة بين الفرنسيين والداي مصطفى، وذلك لخلق جو مشحون بالتوتر والشك في كل نوايا فرنسا وخصوصا قنصلها الأول نابليون بونابرت، فقد تطرق إلى رسو فرقاطة تابعة للبحرية الانجليزية بميناء الجزائر، أين سلم مبعوث للأدميرال كيث رسالة مطولة إلى الداي جاء في محتواها الذي يعبر عن دهشة كيث فيقول لسان حاله: "... كيف يكون لسفير الأمة الفرنسية – وهو اللقب الذي أعطاه للقنصل ديبوا تانفيل – وهو أكبر عدو لحكومة الداي، لكن بفضل الهدايا المقدمة والأموال المسلمة للداي استطاع القنصل ديبوا إبرام هدنة غير محدودة مع الإيالة..."[3].

ومن جانب أخر يدعي الأدميرال كيث بقوله:"... أن هذا المسعور ويقصد به القنصل ديبوا تانفيل والذي يدعي أنه من أمة قوية جدا، فقد اعتمد طريقة للتخفي باستعمال اسم مستعار لخداع حاكم ماهون وهذا على عكس ما يتصف به سفراء بلادنا..."، فمن خلال رسالة كيث الموجهة للداي يخبره فيها بوصول هذا العميل الفرنسي في ظروف غامضة إلى مدينة الجزائر وعلى متن سفينة تجارية بائسة ويريد من الداي أن يحمل السلاح ضد فرنسا، و من خلال هذا التقرير يؤكد القنصل ديبوا تانفيل عن نية كيث في طرده و وضعه محل شبهة لدى الداي، وهو شرط وضعه الأدميرال كيث في سبيل إرجاع سفينة جزائرية مصادرة في ماهون[4]، لكن رد الداي كان صادما على كل ما جاء في رسالة الأدميرال كيث حيث قال: "... إنني سيد في بلادي وأنا حاكم الجزائر مثل الملك جورج حاكم لدن..."، و توعد الداي بالرد

---

[1] جمال قنان، عبد مقلاتي، " نظرة حول العلاقات الجزائرية الاوروبية في العصر الحديث 1830/1550"، **مجلة المصادر**، مجلد 10، عدد2، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2008، ص24.

[2] Albert Devoulx, **Les archives**, op cit, p 141.

[3] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 494.

[4] Alexander de Laborde, **Aux rois et aux Chambres sur les véritables causes de la rupture avec Alger**, truchy libraires, Paris, 1830, p 12.

على رسالته في أقرب الآجال، وفي نفس اليوم كان هناك لقاء بين القنصل ديبوا تانفيل و اليهوديين بكري وبوشناق[1]، حيث وجد معهم نائب القنصل الانجليزي فكانت علامات القلق بادية على وجوههم، وقد أكد ديبوا تانفيل للوزير تاليران أن رسالة الأدميرال كيث هي رسالة بغيضة ضد الدولة الفرنسية[2].

وبعد أن تواصل القنصل ديبوا تانفيل مع الداي وعرفه عن قرب أيقن أنه لن يقوم بمهاجمة أي مبعوث للدولة الفرنسية، بغض النظر عما يقوله الأدميرال كيث ومع ذلك يعترف ديبوا تانفيل بقوة البحرية الانجليزية وتطورها، ولهذا حذر وزيره تاليران منهم خصوصا في هذه الظروف، ويؤكد ديبوا أن بوشناق وبكري سوف يغيران من وجهة نظرتهما حول فوضى تهديدات الأدميرال كيث، وعبر له أنهما سيقومان بمساعدته في كل الأحوال[3].

كذلك لم يتدخل الداي في الصراع بين فرنسا وانجلترا وهذا ولد استياء لدى هاته الأخيرة، فعمد القنصل الانجليزي لإحضار النساء المسلمات لمنزله لاختلاق مشكلة، وإزاء ذلك قام الشواش باقتحام منزل القنصل واخرجوا جميع النساء من بيته، وعمدوا إلى إهانته بالضرب وحمل على أول سفينة مغادرة للجزائر باتجاه أوروبا، وبعد ذلك قدم الأميرال نلسون إلى الإيالة برفقة أسطول بحري كبير، وبدأ في تهديد مدينة الجزائر، إذ لم تقم بتقديم الترضية وطلب تقديم الاعتذار من القنصل الانجليزي فما كان من الداي إلا أن رد عليه، إذا كنت تريد الحرب فنحن مستعدون، عندها هرب كل قناصل الدول الأوروبية إلى المصايف، لكن الأسطول الانجليزي لم يحقق أي نتيجة، فرفع مرساته ورحل عن البلاد، أما عن قنصلهم فالكون Falcon فلم يغفروا له إساءته، فعزلوه من منصبه وعينوا مكانه القنصل ماكدونيل Mackdonel،

---

[1] بليل رحمونة، **القناصل والقنصليات**، المرجع السابق، ص 181.

[2] http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/hy526tonsmh 45 MIOM 21, GGA 1AA 33.

[3] رشيد مريخي، **الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا 1212-1220هـ/ 1798-1805م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2011/2010، ص 54.

وهنا وجب تقديم الترضية للداي في كل مرة يتم فيها تغيير للقنصل، ويذكر ديبوا أن الانجليز عندما يعجزون عن تحقيق أي هدف يعمدون إلى إتباع أساليب مخادعة ولهذا سعوا إلى خلق مشكلات للداي، ومثال ذلك تحريضهم لبعض القبائل[1] على التمرد والعصيان عن سلطة الداي مصطفى ومدهم بالسلاح والعتاد، ويعتقد أن جميع المؤامرات التي حيكت ضد الداي كان للانجليز يد فيها، فقد تعرض الداي إلى طلقات نارية أصبته رصاصتين منها من أحد الانكشاريين أثناء زيارته لمركز الأوجاق لكنه نجا منها بأعجوبة[2].

6: تقرير القنصل ديبوا تانفيل حول وضعية الأسرى

6-1: تقرير ديبوا تانفيل حول أسرى وهران سنة 1800:

لقد جاء هذا التقرير مدون في خمس صفحات ذات اللون الرمادي ومكتوبة بخط اليد وباللون الأسود، خالية من أي شعار عدا اسم الوزير تاليران وتاريخ الإرسال والعنوان وبها بعض الكلمات تم شطبها ربما لخطاء في التعبير أو المعنى وفي ختام الرسالة تم ذكر عدد الأسرى وفق جنسياتهم وعددهم الكلي، وتم فيها شرح الوضعية المزرية للأسرى الفرنسيين العاملين بحامية وهران ويتبعون الدولة الإسبانية، (أنظر الوثيقة بالملحق)، وقد جاء مضمون محتواها كالتالي:

" وفي اعتقادي أن أهم مشكلة تؤرق الجانبين الفرنسي والجزائري ضمن العلاقات السياسية والدبلوماسية مسألة الأسرى باعتبارها من العوامل الفاعلة على مستوى السلم والحرب وهو ما أدى في كثير من الأحيان إلى عواقب وخيمة تنتهي دوما بحملات بحرية و رشقات متبادلة بالمدافع، مما ساهم كثيرا في زيادة التوتر وغياب الحلول السلمية. ومن بين قضايا الأسرى، قضية الأسرى الفارين من حامية وهران

---

[1] زينب جعني، " ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق 1800-1807"، **مجلة العصور الجديدة**، مجلد5، عدد 18، وهران، 2015، ص 131.

[2] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 580.

قبل الجلاء الإسباني عنها، لقد فضل هؤلاء الأسرى الفرار والوقوع في الأسر عند الجزائريين على البقاء في خدمة الاسبان، و السبب الرئيسي الظروف المعيشية الصعبة التي لم يتحملها هؤلاء الجنود، فقد أرسل الأسرى الفرنسيون الذين كان عددهم يقارب مائتي جندي، رسالة التماس إلى جمعية الوفاق الوطني يرجون فيها فك أغلالهم من العبودية[1]، فهم تحت الأسر منذ مدة دون أن يظهر بريق أمل في تحريرهم التام من الأسر، فجل هؤلاء الأسرى من أصل فرنسي، حيث حاولت السلطات الفرنسية سابقا أن تجد لهم حلا يخلصهم من المعاناة، لكن عندما تبين لهم أن ذلك يتطلب مبلغا كبيرا من المال لافتدائهم، ظلت مترددة"[2].

كما أن الرسالة الموجهة إلى المديرية التنفيذية الفرنسية حول هذه المسألة أكدت أنه لا يمكن فرزهم بين من هو حسن الطباع، ومن يتصف بالمشاكسة، لأن فرنسا تتخوف من نقل جنود مشوشين ربما تكون في غنى عنهم، لهذا وجب إما تحريرهم جميعا أو تركهم كلهم، ونظرا للظروف المالية الصعبة لفرنسا في تلك الحقبة فقد أوصى التقرير بتأجيل المسألة إلى نهاية الحرب وعودة السلم مع الجزائر، كما سعى الجانب الجزائري في محاولة إقناع إسبانيا بافتداء هؤلاء الأسرى، لكن إسبانيا لم ترد على هذه المسألة[3].

وفي عهد سابق قبل تنصيب ديبوا تانفيل بالجزائر، تم عقد اجتماع بخصوص الأسرى بين الداي والقنصل مولتيدو، فنجد أن الداي يعتذر عن تسليم هؤلاء الأسرى، فالداي لا يعتبرهم فرنسيين لأنهم كانوا

---

[1] جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية، المرجع السابق، ص 53.

[2] الهوارية بوطيب، "منهجية يحي بوعزيز من خلال كتاباته التاريخية (المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد انموذجا) "، **مجلة البحوث التاريخية والاجتماعية**، مجلد1، عدد1، جامعة معسكر، ص 123.

[3] LETTRE DE DUBOIS THAINVILLE A TALLEYRAND DU 18 BRUMAIRE AN IX [9 NOVEMBRE 1800] SUR LES ESCLAVES D'ORAN – CADN 22PO/1/33.

في خدمة الاسبان، لكن بعد تحرير وهران سنة 1792م وأسر هؤلاء الجنود الذين أصبحوا من ممتلكات الداي، أرسلت فرنسا المبعوث دي لاهورا M de Lahoras للتفاوض مع الداي لأجل استبدالهم مع أسرى أتراك، لكن هذا الوكيل لم يجد كافة الصلاحيات التي تؤهله لذلك، فأحال الأمر إلى الحكومة الفرنسية مجددا مع خطاب يشرح فيه كل التفاصيل[1].

وبناء على ما جاء سارع القنصل ديبوا تانفيل بإعطاء أمر إلى القنصل الفرنسي بمدريد للعمل على إيجاد حل في القريب العاجل لقضية الأسرى، ومحاولة منه إقناع المبعوث دي لا هورا بالإسراع في تحرير الفارين الفرنسيين من وهران، وقبل ذلك فقد تعهد الداي إلى المواطن هيركولايس بأنه سيعمل كل جهده من أجل أي عملية فداء لكل فرد من الدولة الفرنسية، وهو مدين لنفسه بمطالبتهم من إسبانيا واستردادهم جميعا دون تمييز[2].

وفي رسالة أخرى أكد فيها القنصل ديبوا تانفيل للوزير تاليران؛ أن الأمر سهل جدا لإقناع الداي بمطالبة حكومة مدريد تخليص أسرى وهران من الأسر، فالقنصل هنا ربما يعول على بكري وبوشناق في سبيل محاولة إقناع الدأي، ونحن نعرف أن حكام الجزائر الأتراك صعاب المراس، ومن جانب أخر ربما يعول على العلاقات الدبلوماسية الجيدة والحديثة نسبيا بعد تحرير وهران الثاني سنة1792م بين اسبانيا والجزائر، حيث رجعت العلاقات بينهما إلى مجراها الطبيعي، لكن إسبانيا ترفض البت في هذا الموضوع باعتبار أن هؤلاء الأسرى ليسوا أسبان بالدرجة الأولى، وثانيا لأنهم فرو بمحض إرادتهم، فقد كانت حالة الأسرى مزرية كثيرا وهم مكبلين بالحديد مع اجتياز حوالي ستة عشر عاما من العبودية في الجزائر، ففي العام الماضي استولت بحريتنا على قبطان جزائري ومائة وثمانون رعية من شمال إفريقيا وبيعوا كلهم في

[1] Plantet, correspondance, T2, op cit, p 492.

[2] Guillaume Calafat A, " Nest of pirates, consuls and diplomatic intermediaries in Algiers during the 1670s", N° 84/02, **dipartimento di storia culture**, religio, spainza, 2018, p534.

مدريد، وقد طالب بهم الداي بحجة أن الفرنسيين حلفائهم، ويؤكد القنصل تانفيل قيام بلاده بالتفاوض مع الاسبان، لأجل فك أسر هؤلاء الأسرى الجزائريين [1].

6-2: تقرير ديبوا تانفيل حول الأسرى الفرنسيين بتونس 1800:

من خلال الرسالة الموجهة بتاريخ 6 أوت من سنة 1800م إلى الوزير تاليران والتي يتحدث فيها القنصل ديبوا تانقيل إليه، عن أحوال الأسرى الفرنسيين الذين تم أسرهم من قبل القراصنة وتم بيعهم في إيالة تونس، يصف حالة هؤلاء الأسرى باليأس الذي وصل إلى حد الذروة، حيث تلقى أخبارا من القنصل ديفواز Devoise والذي يشتغل قنصلا بتونس، فيذكر له الوضع الرهيب الذي يتعرض له الأسرى الفرنسيين، وقد أصر القنصل ديبوا تانفيل على إطلاق سراحهم بدون قيد أو شرط، وبمساعدة اليهوديين بكري وبوشناق استطاعا التوسط لدى الداي لحل مسألة الأسرى الفرنسيين وذلك عن طريق مراسلة داي تونس لتسهيل المهمة، كما تم استلام أمر من الداي لإطلاق سراح حوالي مائتين وخمسين جنديا من الذين تم أسرهم بجزيرة كورفو وتسليمهم إلى البحرية الفرنسية، أين تم تحريرهم من الأغلال، بعد ذلك تم لقاؤهم بالقنصل ديبوا تانفيل، و كم عبر عن سعادته الكبيرة جراء رؤيتهم أحرارا[2].

6-3: تقرير ديبوا تانفيل حول حادثة الاعتداء على السفينة الفرنسية الجانحة قرابة السواحل الجزائرية:

على الرغم من الجهود المبذولة من قبل حكومة الداي مصطفى لعدم التعرض للسفن الفرنسية قبالة السواحل الجزائرية، مع توجيه الأوامر لكل رياس البحر بعدم أسر الركاب الفرنسيين وحجز ممتلكاتهم، إلا أن بعض الأحداث العرضية قد تحدث من حين لآخر، وخصوصا ونحن نعلم أن السلطة التركية في

[1] LETTRE DE DUBOIS THAINVILLE A TALLEYRAND DU 18 BRUMAIRE AN IX [9 NOVEMBRE 1800] SUR LES ESCLAVES D'ORAN - CADN 22PO/1/33.

[2] **http://dakerscomerle.blogspot.com/2009/11/charles-francois-dubois-thainville.html**.

الجزائر ليس لها نفوذ قوي على القبائل، باعتبار أنها عادة ما تكون خارجة عن قانون سلطة الإيالة، عدا جمع الضرائب من حين لآخر، ويكون ذلك عبر المحلات العسكرية المهيأة لهذا الأمر، و في سنة 1802م شهدت العلاقات الجزائرية الفرنسية توترا حادا جراء حادث عرضي قرابة السواحل الجزائرية وكانت مجريات الحادث تدور أحداثها حول رحلة السفينة لابانيل LE Banel[1]، والتي كانت متوجهة من ميناء طولون نحو سانت دومنيغ و بقيادة القبطان كالموند Callamand[2]، فقد كانت تحمل على متنها حوالي مائتي بحار، وخمسمائة وتسعة جندي وثلة معتبرة من المسافرين من بينهم تسعة نساء، كما احتوت على بضائع مختلفة منها ذخائر ومؤن[3] و أثناء إبحارها هبت عاصفة هوجاء أدت إلى جنح السفينة إلى السواحل الغربية للجزائر وبالضبط عند رأس تنس، وأثناء محاولة ركاب السفينة النجاة والوصول إلى بر الأمان، فمنهم من حاول النجاة سباحة ومنهم من استعمل قوارب النجاة الصغيرة التي كانت بظهر سفينة البانيل[4]، في هذه اللحظات العصيبة تعرض لهم سكان القبائل العربية من ساكني جبال هذه المنطقة ولاحقوهم، إلى أن تعرضوا لهجوم شرس فقدوا على إثره زوارقهم وتم قتل حوالي مائتي فرد من ركاب السفينة وأسر الناجين منهم بعد نهب ممتلكاتهم[5].

---

[1] https://www.vitaminedz.com/fr/Algerie/naufrage-du-banel-dans-la-baie-22090-Articles-0-14170-1.html.

Introduction, Le naufrage du " Banel " dans la baie de Goussine : 15 janvier 1802.

[2] حسب تحليل المؤرخ جمال قنان يرى أنه من الغريب أن تقذف الرياح سفينة كانت متجهة إلى أمريكا إلى الشواطئ الجزائرية، فربما كانت متهة إلى أحد المراكز التجارية بسواحل الجزائر وعند اكتشاف أمرها أكدت السلطات الفرنسية أنها كانت متجهة إلى سان دومنيق لإخفاء وجهتها الحقيقية، انظر جمال قنان، المعاهدات، ص 238.

[3] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 498.

[4] فريد بنور، "الجواسيس، المرجع السابق، ص 240.

[5]Bignon M, **Histoire de France depuis le 18 brumaire(Novombre1799) jusqu'à la paix de tilsitt juillet1807**, T2, édition originale, paris, 1832, p259.

لم تكن هذه الحادثة قد حدثت في سرية تامة، بل كل الأخبار التي وصلت إلى الوزير تاليران عن طريق القنصل ديبوا تانفيل والمعين منذ مدة ليست بالبعيدة بالجزائر، وبعد ذلك قام تاليران بإرسال مذكرة احتجاج إلى الداي مصطفى[1] يستنكر فيها هذا العمل المخزي ومنددا بالأعمال الهمجية ومذكرا الداي مصطفى بالمعاهدات المبرمة بين البلدين وخصوصا معاهدة السلم المئوي التي عقدت عام 1689م، والذي ينص البند الرابع عشر منها على أنه إذا جنحت أي سفينة فرنسية على الشواطئ التابعة للإيالة الجزائرية، إما بسبب الأحوال الجوية أو بسبب مطاردتها من طرف جهات معادية ستقوم البحرية الجزائرية بتقديم العون لها ومساعدتها على الإبحار مجددا، مع تحميل حمولتها دون التعرض لضريبة على السلع المفرغة والمعبئة، كما تعوض السلع التي تم بيعها في أسواق الإيالة، وفي ختام الرسالة طالب الوزير وطبقا للتعليمات الصادرة عن نابليون بونابرت القنصل الأول للجمهورية الفرنسية معاقبة المجرمين عقابا رادعا[2].

ولكن على حسب الواقع السياسي المعاش في الجزائر لا يستطيع الداي اتخاذ أي إجراءات عقابية ضد القبائل المتمردة، فقد كانت مستقلة في قراراتها خصوصا أواخر العهد العثماني، حيث بدأت الحكومة الجزائرية تفقد بعض من زمام سطوتها على القبائل، كما شهدت العديد من الثورات قادها زعماء وشيوخ القبائل[3]، وفي المقابل هنأ الوزير تاليران القنصل ديبوا على جهوده في عملية إنقاذ بعض ممن أسرو على

---

[1] تقرير مفصل بعث به الوزير تاليران إلى الباب العالي حول هذه الحادثة، الأرشيف الوطني خط همايون، عدد 5731، تاريخ 1216هـ، تعريب فكري طونا.

[2] Plantet, **Correspondance**, op cit, T2, p 498- 499.

[3] في عهد الداي مصطفى باشا قامت عدة ثورات منها ثورة بن الأحرش ودرقاؤه ينظر: الشريف الزهار، **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار**، تح احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص-ص71-89.

ظهر السفينة، فقد أستعمل القنصل ديبوا تانفيل كل جهوده بالاتصال بالوساطات النافذة والمقربين من الداي لأجل حل هذه الأزمة في القريب العاجل[1].

ولقد عبر الداي على أن الحادث عرضي ووعد تانفيل بالبت في الموضوع وأن تأخذ العدالة مجراها لمعاقبة الفاعلين مرتكبي هذه الجريمة، فكان رد القنصل وبتفاخر: "... أننا أصبحنا في زمن القنصل الأول نابليون، ولم نعد نشتري السلم بالتضحيات والأموال الباهظة..."، كل هذه الأحداث زادت من غضب نابليون أين عزم على تدمير كل المقاطعات البربرية والتي كانت جزء من مخططه الشامل لجعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية حتى يسهل عليه الوصول إلى الهند عن طريق مصر وبلاد فارس، وبعد عدة هجمات بحرية لقراصنة جزائريين على سفن فرنسية، أقر نابليون على وزيره تاليران أمرا مستعجلا موجها إلى القنصل ديبوا تانفيل يقول فيه: "... أُفضل أن يكون لدي استراحة في الجزائر لاعطائها درسا جيدا حتى لا يعود هؤلاء اللصوص إلى القرصنة ويحترمون الراية الفرنسي..."، من هذا المنطلق نلاحظ أن القنصل الأول نابليون دائما ما يوجه تهديده بغزو الجزائر أو بقيامه بحملة تأديب في حق حكام إيالة الجزائر، الذين لا يتوانون عن القيام بابتزاز فرنسا ماديا وسياسيا كلما سنحت لهم الفرصة[2]. ويحيل ذلك دون شك إلى أن ميزان القوى كان لصالح فرنسا آنذاك وأن العلاقات الثنائية الدبلوماسية بين الطرفين كانت غير متكافئة.

والغريب في الأمر أن نابليون بونابرت قام بتنفيذ وعده، ولم تكن حملة عسكرية بل هي رسالة تهديد واضحة المعالم فهو لم يستسغ عملية الهجوم على السفينة و أرسل في السابع أوت سنة 1802م أسطول

---

[1] Plantet, correspondance, T2, op cit, p 500.

[2] **Correspondance de Napoléon** 1er, publiée par l'empereur Napoléon III, volume 7, paris, M D C CCL XI. Lettre N° 6124, p488.

بحري قرابة سواحل الجزائر بقيادة الأدميرال ليسيج Leisségues[1]، حيث كان الأدميرال مسئولا عن تسليم رسالة من بونابرت إلى الداي مصطفى، جاء فيها على لسان نابليون: " لقد دمرت دولة المماليك لأنهم لم يحترموا الإمبراطورية الفرنسية وتجرّؤوا على طلب المال لأجل الترضية، وإذا لم يرشدك صوابك فأعلم أني عازم على هلاككم[2]، وإن رفضت إرضائي فإنني سأحط ب ثمانون ألف رجل على سواحلكم وقراري غير قابل للتغير"، لقد كان نابليون عازما بالفعل على هذا الأمر، فقد سلم وزير البحرية ديكري Décrés الأوامر بتجميع أسطول بحري يظم حوالي خمسة عشرة سفينة مجهزة بكامل العتاد العسكري على الاستعداد الكامل للعمل حسب الظروف المناسبة[3]، وتم إبلاغ سفير الباب العالي في باريس محمد غالب أفندي رسميا بالمظالم التي وقعت لفرنسا جراء وقاحة القبائل المتمردة عن السلطة العثمانية[4].

والمتأمل في وثائق الفترة المدروسة يلاحظ دون شك أن سياسة نابليون ارتكزت اتجاه الجزائر وخاصة سنة 1802م على محورين اثنين، أولا العمل الجاد حول جمع أكبر قدر من المعلومات المختلفة عن مملكة الجزائر منها التي تخص عدة جوانب منها الطوبوغرافيا، الجانب العسكري، الإحصائي والبحري، ولهذا فقد كان شديد الحرص على توجيه رسائله بدقة إلى القنصل ديبوا تانفيل سواء مباشرة أو عن طريق وزيره الأول تاليران للقيام بكتابة التقارير الإخبارية و الاستخباراتية دوريا في كل مناسبة وغير مناسبة، وبدقة وأكثر تفصيل حول الإيالة الجزائرية، ثانيا عمدت فرنسا على إرسال بعثة دبلوماسية إلى الداي

---

[1] **Rapport fait au premier consul**, **pièces curieuses ou Alger en 1802**, libraires plais royal, paris, 1830, p 9.

[2] Gillian weiss, "Captives and corsairs France and slavery in the early modern Mediterranean", **press Stanford**, California, 2011, p 150.

[3] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p501.

[4] Augustin Bernard, **Histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France**, T2, l'Algérie, librairie Plon, paris, p87.
http://aj.garcia.free.fr/site_hist_colo/livre1/L1p86.htm#1.

مصطفى لأجل المطالبة بتقديم واجب الترضية حول كل تلك المظالم التي وقعت للأمة الفرنسية جراء القرصنة[1].

7: مشاريع القنصل ديبوا تانفيل في القرن التاسع عشر لخدمة المشروع الاستعماري

7-1: المشروع الأول:

خلال تواجد القنصل ديبوا تانفيل في مدينة إليكانت الاسبانية حرر مذكرة تحمل عنوان : مختصر عملياتي بافريقيا "Précis de mes opérations en Afrique" وتم إرسالها إلى الإمبراطور نابليون بونابرت بباريس وكان ذلك في تاريخ 8 تارميدور من السنة التاسعة للجمهورية الفرنسية الموافق ل 9 جويلية من سنة 1801م، ويرجع سبب إعداد هذا المشروع إثر العلاقة العدائية بين الداي وفرنسا وما وقع من قطيعة جراء الحملة العسكرية على مصر وتهديدات نابليون بونابرت للداي بين الحين والأخر، مما جعل الداي يعتمد الصرامة في التعامل مع القنصل ديبوا تانفيل، كذلك بعد هزيمة فرنسا في مصر فقد حاول القنصل ديبوا من خلال هذا المشروع إظهار نقاط الضعف للإيالة الجزائرية، ولإعادة الاعتبار للجيش الفرنسي واسترجاع هيبته العسكرية لابد من القيام بحملة مماثلة على الجزائر تمحو فشل الحملة على مصر، لقد جاءت تسمية افريقيا على هذا المشروع وكان يقصد بها الجزائر تحديدا لأنه لم يتطرق ابدآ إلى بلدان أخرى من بلدان الشمال الإفريقي، كذلك من بين الموضوعات التي تطرق لها في هذا التقرير[2].

أولا: تطرق القنصل ديبوا تانفيل إلى ذكر طبائع الحكام الأتراك وكيفية تعاملهم مع البلدان الأوروبية وكذلك معاملاتهم مع مجتمعاتهم.

---

[1] فرنسوا جورج دريفيوس وأخرون، **موسوعة تاريخ أوروبا والعالم، (أوروبا من عام 1789الى أيامنا)**، ط1، ج3، ترجمة حسين حيدر، منشورات عويدات، بيروت، 1995، ص 138.

[2] فريد بنور، المخططات الفرنسية، المرجع السابق، ص 168.

ثانيا: تأثير اليهود في الحكم وسيطرتهم على توجه سياسة الداي من خلال مساعداتهم الممنوحة له في الأزمات المالية خصوصا عند مطالبة الجند برواتبهم، كذلك أثرهم البالغ في الوضع التجاري للبلاد حتى أنه يذكر أن أية مبادلة تجارية تتم بواسطة اليهود، ولهذا طالب القنصل ديبوا تانفيل من الإمبراطور نابليون تخليص الأهالي من النير التركي، لقد وصف ديبوا تانفيل كل من الداي، الخزناجي، ووكيل الحرج بالجهلاء، فقد كان الديوان ينصب الحكام الذين يعملون في المهن الوضيعة والذين لا يفقهون في السياسة شيئا، فالداي فض في معاملاته وجشع لا رغبة له سوى جمع المال وتكديس البضائع الثمينة من خلال برنامج القرصنة المنظم، لكن في بعض المرات يكون حسن المعاملة مع الفرنسيين، باستثناء وكيل الحرج يوسف باشا فقد كان رجل مثقف، نشيط وملتزم، غير أن عيبه الوحيد يكره الأوروبيين وخاصة الفرنسيين منهم ويكن لهم حقدا كبيرا، فقد كان الداي مصطفى يتعامل مع اليهود ولا يتعاط أي نشاط سياسي ولا يتخذ أي قرار بدون استشارتهم[1].

كذلك لعب اليهود دورا مهما في المجال البحري، فقد اشتروا السفن وجهزوها وأشرفوا على التسليع البحري وهيئوا العمارات للحرب ولهم دراية بالفصول الملائمة للقرصنة ووفرة المغانم، كما يذكر روزي Rozet خلال رحلته إلى الجزائر بأن الفرد الجزائري لا يستطيع بيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود[2].

كذلك تطرق القنصل ديبوا تانفيل في مذكراته عن التسليح البحري في إيالة الجزائر، خصوصا وانه يدرك تماما أن قوة الجزائر البحرية لها صيتها في أعالي البحار وليس بالبحر المتوسط فقط، و بالحديث عن الأسطول و بأدق التفاصيل، يقول: " أن القوات البحرية الجزائرية تتكون من فرقاطة ذات صنع

---

[1] Léspés René, **Alger étude de géographie et d'histoire urbaines**, Felix Alcan, paris, MCM, XXX, p 147.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2012، ص 46.

أمريكي تحمل على متنها ستة وثلاثون مدفعا وستة شبابيك ذات (34- 32- 26- 24- 14- 11) مدافع وبريغونتينية brigantin تحمل (32) مدفعا وثلاث سفن أمريكية من نوع شونيرس Schoners 1تحمل(20- 18) مدفعا وسفينة من نوع كوتر Cutter تحمل ستة عشر مدفعا، وسفينتين بولاكر Bolaker تحمل عشرون مدفعا، وغليوطة من خمسة مدافع فالمجموع هو خمسة عشرة سفينة حربية كبيرة "[2].

ويذكر ديبوا تانفيل بأنه خلال الفترة التي غادر فيها الجزائر كانت توجد ورشة لتصنيع السفن من نوع الفرقاطة Friguatte ذات 34مدفعا وهي مهيأة للإبحار، كذلك تم بناء حوالي خمسون زورقا مسلحا بالمدافع بالإضافة إلى الأسطول القديم، وللاقتصاد في المورد الخشبي استعمل الجزائريين حطب السفن التي لم تعد صالحة للإبحار بحكم قدمها، كما قدم القنصل أخبارا بالغة الأهمية تتعلق بالأسطول الجزائري وتجهيزاته الحربية، وهذا إن دلنا فهو يدل على الأخذ بتوصيات القنصل الأول نابليون بالإلمام بكل ما يتعلق بالإيالة عسكريا ومدى استعدادها الحربي، فالقنصل لا يتردد في إخبار الإمبراطور نابليون بكل المستجدات التي تمكن من جمعها بنفسه أو بواسطة أصدقائه، والمعروف عن رياس البحرية الجزائرية بالقوة و نشر الرعب في الحوض الغربي للبحر المتوسط فأضحت كل سفينة تجوب بحيرة المتوسط تخشى الوقوع تحت رحمة هؤلاء القراصنة، فمصيرهم معروف مسبقا بين الأسر الرهيب وحجز الممتلكات وبين قتل بعض من يمانعون ذلك وفي هذا الشأن ألمح القنصل ديبوا تانفيل إلى تدهور

---

[1] لقد كانت أول معاهدة سلم وصداقة بين الجزائر وأمريكا في سبتمبر 1795م احتوت على 22مادة منها تبادل الأسرى والتبادل التجاري وجوازات السفر، كما تعهدت أمريكا في سنة 1796م ببناء سفن للجزائر فقدمت لها السفن التالية: الهلال – حسن باشا– لالا عائشة – حمد الله – وأخيرا سكجولد برند Skjo ledebrande وهو اسم قنصل السويد بالجزائر الذي كان له الفضل في الوساطة بينهما في المفاوضات انظر : أبو القاسم سعد الله، " العلاقات الدبلوماسية الجزائرية الأمريكية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1776- 1830م" ، **مجلة المعرفة**، عدد 15، الجزائر، 1964، ص 15.

[2] سارة العيدودي، نبيلة عبايدية، **التنظيم العسكري العثماني في الجزائر 1518- 1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: بوبكر حفظ الله، جامعة تبسة، 2008/2007، ص29.

الأسطول الجزائري بل أكد على ضعفه، معلقا على ذلك بأن خضوع الدول الأوروبية التي تدفع الإتاوة والهدايا الإلزامية لحكام الجزائر يعود إلى جهلها بحقيقة الوضع العسكري البحري للإيالة الجزائرية فالاعتقاد السائد بأن الجزائر قوة بحرية لا تقهر هو اعتقاد خاطئ، إذ لو عمدت أوروبا إلى المجابهة الحقيقية مع القراصنة لتأكدت من درجة الضعف التي وصلت إليه[1].

وأما فيما يخص القوات البرية فتتمثل في ثلاثة معسكرات وهو المعسكر الغربي بقيادة باي وهران ويضم حوالي ألف وخمسمائة جندي تركي و خمسة ألاف من الحضر، المعسكر الشرقي ويقوده باي قسنطينة والمعسكر الجنوبي بقيادة باي التيطري[2]، كما قدر ديبوا تانفيل عدد الجنود في تلك الفترة بأكثر من سبعة ألاف جندي وهذا العدد بداء في التناقص المستمر حتى أصبح من الصعوبة تجنيد الجيش من ناحية الشرق لمدينة الجزائر، ويذكر ديبوا أن مهمة الجيش البري تكمن في جباية الضرائب عبر المحلات الداخلية[3]، وقمع الثورات التي تندلع ضد السلطة من حين لأخر[4].

وهذه المذكرة جاءت متحدثة عن أوضاع الإيالة سنة 1801م أكثر منها تقرير عسكري، كما أن القنصل ديبوا تانفيل لم يرسم مخطط حربيا أو يدعوا إلى تجريد حملة على الجزائر، لكن المتتبع لهذه

---

[1] يذكر المؤرخ مورغن أن الجزائر كانت قوية في الميدان البحري طيلة الفترة الحديثة عكس ما كان يتصوره القنصل ديبوا تانفيل فقد كانت الإيالة تسعى إلى الحفاظ على مكانتها المرموقة فقد كانت تقوم بتعويض كل سفينة يتم إغراقها أو سلبها بسفينة أخرى، انظر:

Morgan j, **Histoire des etats barbaresques qui exercent in piraterie**, T2, chaubert et hérissant, paris, M. D CC, L V II, p4.

[2] Vayssettes E, " Histoire des derniers beys de Constantine depuis 1793 jusqu' à la chute d'Hadj Ahmed", **in R A**, N° 4, 1858, p 123.

[3] لقد كان الجيش البري أداة قمع للسكان وحسب رأي القنصل ديبوا تانفيل أن المخلص الوحيد للمجتمع الجزائري هو الإمبراطور نابليون بونابرتن والذي سوف يستقبل بكل حفاوة مضيفا بأن اسم بونابرت أصبح على لسان جميع قاطني هذه الخيام ويحذى باحترام وبتبجيل كبيرين: أنظر:

ناصر الدين سعيدوني، "الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية نموذج مقاطعة دار السلطان"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، عدد 5-6، 1992، ص 257.

[4] Rinn louis, **"** Le royaume d'Alger sous le dernier dey **", in R A**, 41eme, N° 225, 1897, p 136.

المذكرة "المختصر لعملياتي بإفريقيا" المفهوم منها هو محاولة حث فرنسا على القيام بحملة تأديبية ضد الجزائر، كما يعد القنصل ديبوا هو أول من ساهم بإعداد مشروع استعماري بداية القرن التاسع عشر يحث فيه بالهيمنة والتسلط على بلد إسلامي بعد الحملة على مصر، وتفنيدا لادعاءات ديبوا تانفيل أنه قدم للجزائر لأجل السلام، وفي مواضع أخرى كثيرا ما يتهم القنصل ديبوا الداي مصطفى بالجهل وعدم الكفاءة الدبلوماسية، لكن الأحداث التاريخية تثبت عكس ذلك، لقد كان الداي مصطفى دبلوماسيا حذقا ومحنكا وعامل فرنسا باللين في شدتها من خلال المساعدات الاقتصادية حين تخلت عنها الدول الأوروبية، وفي وقت أتت الأوامر من الباب العالي بقطع كل العلاقات مع فرنسا جراء حملتها على مصر، فاعتبر القنصل ديبوا تانفيل هذه التسهيلات والمساعدات ضعفا وتخاذلا، فجل المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها تفند تلك الأخبار على الرغم من المعاملة الجيدة التي تلقاها من طرف الداي عندما حل بالإيالة حيث استقبل بكل حفاوة[1]، ومثال ذلك عند صدور الأوامر بمغادرة القنصل للمرة الأولى إيالة الجزائر تمت معاملته بالحسنى، وهيئت لهم كافة السبل ليجهز نفسه للإبحار هو ومن معه من الفرنسيين، وبعد عشرة أيام من وصول القنصل والفرنسيين الذين معه إلى إليكانت، راسل الداي الإمبراطور بونابرت يخبره على أن العمل الذي قام به لم يكن محض إرادته بل كان مجبرا من طرف الباب العالي[2].

من ناحية ثانية يلاحظ القنصل ديبوا، أن القضية الحساسة والجوهرية والتي تعتبر المانع الوحيد في إلحاق الجزائر بفرنسا، هي قضية الدين الإسلامي الذي يدين المجتمع الجزائري به، إذ يرى فيه سبب فشل الحملة على مصر، و من هنا نرى أن نابليون عندما أراد بسط سيطرته التوسعية على المشرق العربي تظاهر بالرغبة في اعتناق الإسلام أمام شيوخ الأزهر، لكن محاولته باءت بالفشل حسب ما ذكره

[1] H Garrot, **L'histoire générale de l'Algérie**, imp crescendos voutes, Algérie, 1910,

[2]Charles roux François, " Bonaparte et l'indigène d'Egypte, Bonaparte à Alexandre", **in R études Napoléoniennes**, Tome XXIII, Juillet décembre, 1924, p 161.

نابليون في مذكراته التي كتبها في سانت هيلانة سنة 1816م، وأعتبر نابليون، الدين هو العقبة الكبرى التي حالت دون بسط النفوذ الفرنسي[1].

7-2: المشروع الثاني:

بعد موت الداي مصطفى وتسلم الداي علي باشا زمام الحكم مكانه سنة 1809م أستاء من القنصل الفرنسي ديبوا تانفيل من عدم تقديمه الهدايا كما هو معتاد، ولهذا ارتأت فرنسا استدعاء قنصلها للتشاور، و بحلول شهر جوان من نفس السنة دخل القنصل ديبوا إلى فرنسا، فترك مكانه للسيد راغيسوا دولا شيناي Roguesseau chainaye لينوب عنه في فترة غيابه[2].

وبوصول ديبوا تانفيل إلى باريس شرع في إعداد مذكرة ثانية تحمل العنوان التالي "حول الجزائر"[3]، وبعد الإنهاء من تدوينها بتاريخ 18 نوفمبر سنة 1809م سلمها مباشرة إلى وزير العلاقات الخارجية دي شامباني De champagny، حيث احتوت هذه النسخة على ستة وعشرين ورقة مكتوبة باليد مقروءة و واضحة[4]، وقد نشرت هذه الوثيقة بمناسبة اقتراب الاحتفال المئوي عام 1927م ضمن جمع الوثائق غير المطبوعة حول الجزائر بعد عام 1830م[5].

والمرجح أن ديبوا تانفيل كان على علم بأن نابليون بونابرت، قد عقد العزم في عهد القنصلية على إرسال حملة عسكرية ضد الجزائر، والذي طالما راوده هذا الحلم أيضا وفكر فيه بجدية في عهد

---

[1] ibid, p23.

[2] عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 596.

[3] Archives du minister des affaires ET estrangers, **Memoirs et Documents Algerians**, volume 10, fol 261-286.

[4] فريد بنور، المرجع السابق، ص 187.

[5] Gabriel Esquer, **Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger (1808) des Mémoires sur Alger (1791), (1809) par le chef de bataillon Boutin par les consuls de Kercy et Dubois-Thainville** , H Champion, paris, 1927, p55.

الإمبراطورية، فأرسل الضابط بوتان للاستطلاع على هذه المدينة واكتشاف ضواحيها ومكوناتها العسكرية، حيث استقبل من طرف القنصل ديبوا تانفيل عند حلوله بالإيالة عام 1808م، وسهل له القيام بهذه المهمة على أحسن وجه، وعلى حسب اتباعنا لمسار القنصل ديبوا والمدة الزمنية المعتبرة التي قضاها بمدينة الجزائر، فقد أصبح عارفا بعديد الخبايا ومنها قصر الجنينة وجغرافيا المدينة مما جعله يسهل عملية تنقل الضابط بوتان في أرجاء الإيالة وبسرية تامة، ومن هذا المنطلق يبدو أن القنصل ديبوا تانفيل غير راض بالمذكرة الأولى التي كتبها سنة 1801م، " مختصر لعملياتي بإفريقيا"، إذ تبين له بعد التسع سنوات التي قضاها في الجزائر أنها كانت منقوصة من حيث المعلومات التي تم ذكرها مسبقا وعدم دقتها مع الإطناب في بعض جوانبها، ولهذا فكر مليا بعد العودة إلى فرنسا بضرورة تحرير وثيقة أخرى أكثر دقة وتحمل تخطيطا موضحا للحصون والمراكز العسكرية[1].

ويبدو أن النية كانت مبيتة في عملية الاحتلال فالإمبراطور نابليون بونابرت له رغبة كبيرة وجامحة في تجييش حملة كبيرة لضرب إيالة الجزائر والقضاء كليا على وكر القراصنة كما يدعي نابليون ومعظم الدول الأوروبية، من هنا جاء اهتمام السلطات الفرنسية لمعرفة كل كبيرة وصغيرة عن الإيالة الجزائرية، كذلك بعد الاطلاع على نوايا بوتان في السعي لتحقيق عملا أكثر دقة ووضوحا، مبرزا فيه نقاط ضعف مدينة الجزائر، واعتبارا لهذه الأسباب، شرع القنصل تانفيل في إعداد هذا التقرير محاولا استغلال كل تجاربه الدبلوماسية والسياسية وحتى الاستخباراتية لتدوين كل واردة وشاردة من المعلومات المتحصل

[1] Said boutarfa, **Colonisation de l'Algérie et symbolisme coloniale aux origines de la discorde**, librairie Gallimard, paris, 2015, p 4.

عليها من أعوانه أو حتى التي جمعها بنفسه حيث تكون دقيقة ومستمدة من الواقع المعاش تحت نظره بالجزائر[1].

وفي مشروعه الثاني تضمن العديد من المواضيع وقد رتبها في موضوعات على النحو التالي:

1- موقع الجزائر وتقسيمها الإداري

2- المدن الرئيسية والأقاليم الأخرى

3- شكل الحكومة

4- السكان ومختلف شرائحهم

5- القوات العسكرية (البحرية – البرية)

6- مصادر الدخل ووجوه الإنفاق

7- علاقات الجزائر مع الدول الأوروبية

8- التجارة الخارجية والداخلية وسك النقود

9- الدعوة إلى استعمار الجزائر

10- الوسائل المستعملة لإخضاع السكان وتطويع المجتمع

11- فوائد الاحتلال

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، دار الأمة، الجزائر، 2007، ج2، ص 214.

وأكثر ما أثار انتباه القنصل ديبوا تانفيل أن الجزائر عبارة عن مملكة مستقلة بذاتها ولها كيانها الخاص وما تبعيتها إلى الباب العالي إلا اسميا ومجاملة للسلطان العثماني، فالقنصل خبر ذلك جراء المدة التي قضاها بمدينة الجزائر واصبح يفقه الطابع السياسي والعسكري الذي يعتمد عليه حكام الجزائر[1]، فديبوا تانفيل يعتبر قنصلا في خدمة المشروع الاستعماري، والذي كانت فرنسا تسعى إليه منذ مدة ولهذا كانت مهمة جل قناصل بداية القرن التاسع عشر تتمثل في تعبيد الطريق نحو الاستعمار. وبالعودة للحديث عن مشروع تانفيل ابتدأ تقريره بتحديد الموقع الجغرافي وذلك اعتمادا على الخرائط والرسومات المحددة للمواقع كما أشار إلى امتداد هذه المملكة من وادي الزين بالقرب من مدينة القالة شرقا إلى مدينة ندرومة التي تبعد عن تلمسان بعشرة فراسخ [2]، كما يحدها شرقا مملكة تونس وبلاد الجريد ومن الناحية الغربية يحدها المغرب الأقصى وفاس، أما من الجهة الجنوبية حيث الصحراء فلم يستطع تحديد حدودها، وبالنسبة للأقاليم الثلاث المكونة للمملكة يصعب تحديد حدودها بدقة فقد أعطاها التسميات فقط "مقاطعة الشرق ومقاطعة الغرب و التيطري"، باستثناء مدينتي قسنطينة وتلمسان، فإن المدن الرئيسية حسب ديبوا تانفيل، هي تلك المدن التي تقع على الساحل ومن ضمنها مدينة الجزائر

---

[1] حسان كشرود، **رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف فاطمة الزهراء قشي، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007، ص 17.

[2] الفرسخ: قيل أن فرسخ كلمة فارسية معربة أصلها فرسنك، وقيل إنها كلمة عربية حيث يقال: انتظرتك فرسخا من النهار(أي طويلا).وقيل أن الفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع، وقيل: يعادل في عرف العصور الوسطى 3.25 ميل إنجليزي، :تعادل كل عشرة فراسخ مسيرة يوم، وقيل: الفرسخ أربعة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع، أي أن الفرسخ يساوي اثنا عشر ألف ذراع أي أن الفرسخ نحو6 كيلومترات، وقيل: إن الفرسخ 10.000 ذراع، واعتبره اليهود قديما21.000قدم، كما قيل: أن الفرسخ سبعة آلاف خطوة. يقول ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك:".. فمن البصرة إلى جزيرة خاراك خمسون فرسخا، وهي فرسخ في فرسخ، انظر: أبي القاسم بن عبد الله (بن خرداذبة)، **المسالك والممالك**، مطبع بريل، ليدن، 1889، ص 19.

فهي العاصمة ومقر الحكومة ويتراوح عدد سكانها ما بين سبعة وخمسين ألف نسمة إلى ثمانون ألف نسمة ومن بضائعها الجلود والشمع والصوف[1].

بعد الحديث عن مدينة الجزائر ينتقل للحديث عن المدن الواقعة غرب الجزائر ومنها تلمسان التي تشتهر بصناعة الزرابي ثم وهران مقر إقامة باي الغرب والتي قد دمر منها حوالي الثلثين، حيث شهدت مدة احتلال طويلة نسبيا من طرف إسبانيا[2].

وبالحديث عن التجارة يطلعنا القنصل ديبوا أن الإيالة لم تتمكن من إنعاش حركتها التجارية مع المغرب الأقصى وجبل طارق، و إسبانيا ثم مستغانم المدينة الصغيرة التي لا تمتهن التجارة، ، أما عن مدن الوسط، فقد ذكر لنا مدينة دلس التي تمتهن تجارة الحبوب والفواكه مع مدينة الجزائر، ثم يعرج إلى مدينة بجاية فيصفها بأنها مدينة من مدن الشرق التي تزود العاصمة بكميات معتبرة من الزيت، ويتم تصدير بعض منه إلى مصانع الصابون بمرسيليا، وقد منح امتياز تصدير الزيت في تلك الأثناء إلى اليهودي الجزائري بكري مقابل دفع ضريبة سنوية، كما تزود مدينة جيجل الإيالة ببعض الحبوب والفواكه

---

[1] يقدر الجغرافي سانصون دابو فيل طول مملكة الجزائر من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق بحوالي ثلاثمائة فرسخ وأما عرضها من ساحل البحر المتوسط إلى جبال الأطلس الصحراوي ما بين خمسون وخمسة وسبعون فرسخ، أنظر:

D'abbeville sanson, **l'Afrique en plusieurs cartes nouvelles et exactes et en divers traités de géographie et d'histoire**, paris, 1656, p1.

[2] في نهاية القرن الثامن عشر تضررت وهران كثيرا من الكوارث منها المجاعة والطاعون الذي فتك بعدد كبير من الأفراد فتناقص عدد السكان تناقصا ملحوظا، ويطلق على هذا المرض في مقاطعة الغرب اسم (حبوبه المجاد) وتعرف السنة التي استلم فيها الباي محمد الكبير حكم وهران بعام الشر، كذلك تدمير الإسبان لعدد كبير من الحصون وتخريبهم للمدينة عندما أدركوا بان نهايتهم اقتربت، كذلك الزلزال الذي ضرب المنطقة في عام 1792م مخلفا خسائر كبيرة في المباني والأرواح. ينظر:

Esterharzy Walsin, **De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Charles Gosselin, paris, 1840, p 189.

الجافة والصابون على شكل سائل، ومدينتي القل والقالة تم تحطيم المراكز التجارية للشركة الإفريقية وطرد الفرنسيين منها، بسبب سوء العلاقة وتعكير مسار السلام بين فرنسا والجزائر[1].

وبالحديث عن مدينة عنابة فالقنصل ديبوا تانفيل يعتبرها معبرا رئيسيا للسلع و سوقا للجلود الشمع، الصوف، والحبوب، وأخر مدينة تطرق لها القنصل في مشروعه الثاني هي قسنطينة عاصمة مقاطعة الشرق ومقر الباي، وتعتبر مدينة كبيرة وقوية جدا وتبعد عن البحر بحوالي خمسة وعشرون فرسخا، ولقد عانت هذه المدينة من الاضطرابات الأخيرة التي كانت مسرحا لها[2]، وأقرب ميناء لها على السواحل الجزائرية[3] هو ميناء مدينة عنابة وجيجل[4].

والتقرير يتحدث كذلك عن وجود قبائل في إيالة الجزائر يسكنون الخيام منقسمين على بعضهم البعض في حالة حرب دائمة ضد بعضهم البعض[5]، وبالنسبة للسكان فقد قسمهم القنصل ديبوا تانفيل إلى

---

[1] في سنة 1807م توترت العلاقات بين الجزائر وفرنسا بسبب وقوع بعض الحوادث عندئذ قررت إيالة الجزائر انتزاع امتياز استغلال الباستيون من أيدي الفرنسيين ومنه إلى الإنجليز الذين ازداد نفوذهم في البحر المتوسط بعد الانتصار الذي حققوه على فرنسا في معركة الطرف الأغر، لقد قبلت بريطانيا شروط الداي في دفع ما قيمته خمسون ألف قرش سنويا وهي الضريبة التي لم يكن في استطاعة الإمبراطورية الفرنسية دفعها، أنظر

Gaffarel Paul, **l'Algérie, histoire, conquête et colonisation**, Firmin didot, paris, 1883, p41.

[2] عرفت قسنطينة في عهد الباي عثمان مجاعات خطيرة شملت كل أنحاء المقاطعة وكان سببها القحط الشديد الذي دام ثلاثة سنوات من 1805الى 1807م مما أدى إلى الغلاء الفاحش للحبوب، أنظر: صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تقديم وتحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 27.

[3] Blismon, **Topographie et histoire du royaume de la ville d'Alger**, suivie d'une notice très détaillée sur les opérations de l'armée expéditionnaire jusqu'à la prise d'Alger en 1830

chez castiaux libraire, paris, 1830, p p 54- 60.

[4] Clermont Fernand, **Notice statistique et historique sur le royaume et la ville d'Alger**, Thibaut haudroit, paris, 1830, p8.

[5] Rin L, "Carte du royaume d'Alger sous le dernier dey", **in R A**, T43, 1899, p 151.

عدة فئات وطبقات متمايزة عن بعضها البعض، كما يلاحظ في تصنيفه أنه أدرج الأسرى المسيحيين وكذلك الزنوج العبيد ضمن المجتمع الجزائري وفي مقدمة هذه الفئات الاجتماعية طبقة الأتراك المجندين من موانئ الشرق[1]، ويذكر انهم كانوا متابعين قضائيا، ولهذا يلجئون إلى الجزائر، ويقدر عددهم بحوالي ألف نسمة، ويتمتع هؤلاء دون غيرهم بحق الارتقاء والتدرج في المناصب الحكومية، وفي السنوات الأخيرة قل تجنيد الانكشاريين نحو الجزائر، يعود سبب ذلك كما ورد في التقرير لعدم قدرة الحكومة على دفع الأجور المتزايدة للأوجاق وتراجع النشاط البحري، وهو ما أدى إلى استنزاف موارد المقاطعات الثلاث[2].

بعد التطرق بالحديث عن الأتراك يعرج مباشرة للتعريف بفئة الكراغلة ويقول عنهم أنهم مولدون من أباء أتراك وأمهات جزائريات، أين كان الحكام الأتراك يتخوفون من ازدياد نفوذهم، لأن ذلك يجعل وجودهم مهددا لكيان الفئة الحاكمة، وخصوصا أنه أصبح يحق لهم الالتحاق بالجيش[3]، أما العرب فقد جاء ذكرهم في المذكرة بوصفهم سكان المناطق الجبلية، ويعتقد ديبوا تانفيل أنهم انحدروا من قبائل الجيتول النوميديين ومن الشعوب البربرية، فمساكنهم كانت الخيام وحرفتهم الزراعة، أما الأعلاج فعددهم قليل بالنسبة للجزائريين في حين أن عددهم بوهران كبير جدا، وبالحديث عن اليهود فيحدد القنصل عددهم في الجزائر بحوالي اثني عشرة ألف نسمة، موزعون على كامل الإيالة ويمارسون مهنة التجارة، وحسب بعض المؤرخين يظنون أن هذا الرقم مبالغ فيه وان عدد اليهود كان دوما في تقهقر مستمر

---

[1] Colombe marcel, "Contribution à l'étude du recrutement de l'odjak" ,**in R A**, Algérie, 1945, p 172.

[2] حسان كشرود، المرجع السابق، ص68.

[3] يقدر عدد الكراغلة الذين يتقاضون أجور الجند من سبعة ألاف إلى ثمانية ألاف جندي ولكن ليس لهم أي نفوذ في الجيش ولقد أستطاع هؤلاء في بعض الأحيان أن يعتلوا إلى منصب الباي في المقاطعات وكذلك الحصول على بعض الوظائف الثانوية في الحكومة، أنظر المرجع التالي:

Boyer piérre, "Le problème kouloughi dans la régence d'Alger", in **Revue de l'occident musulman et de la méditerranée**, N° Spécial, II Emme congrès intentionnel, études nord d'africaines, 1970, p79-94.

خصوصا بعد الوباء الذي جاء سنة 1787م[1]، وأخر ما يقال عن المجتمع الجزائري هو من الصعوبة تحديد عدد السكان بدقة لأن الأتراك لم يقوموا بأي إحصاء في هذا المجال وليس لديهم سجلات للوافيات والولادات[2].

ويبدو أن القنصل اهتم بالنسيج السكاني ومعاملاته التجارية وبحكام المقاطعات بشكل ملحوظ ربما لإعطاء مشهد يعتمد عليه آنفا في التعامل مع القبائل والمجتمعات الحضارية أثناء الحلمة على الجزائر، وبالفعل هذا ما شهدناه بعد عملية الاحتلال، فقد قام الفرنسيون ومن بينهم الضباط بتدوين مؤلفات مهمة حول المجتمع الجزائري ومكوناته، أما عن وظيفة الباي فيقول ديبوا تانفيل: يعين الباي في إحدى المقاطعات الثلاث قسنطينة وهران، التيطري، حيث يرسل كل سنة قائده إلى مدينة الجزائر ليأتي له من هناك بجنود جدد إلى مقر البايلك، وجرت العادة أن يذهب الباي بنفسه إلى الداي كل ثلاث سنوات لتقديم اللازمة (الدنوش)، ويتخللها دفع هدايا ثمينة للداي ولأعضاء الديوان، ويتم عزل الباي في حالة ظهور منافس أخر، ويكون ذلك بدفع مبلغ من المال لتقلد المنصب الجديد، ومن هنا قد عمم ديبوا تانفيل شراء المناصب على كل الوظائف في الإيالة الجزائرية، و رأى فيها بانها الظاهرة التي أدت إلى تدهور معيشة السكان برغم غنى البلاد بمختلف الموارد الطبيعية، فسبب الحرمان والفقر يعود إلى فساد الجهاز الإداري ومن هذا المنطلق فقد تناول طبيعة العلاقة بين الحكومة والمجتمع ووصفها بالعدائية[3].

وأما علاقات الإيالة الدبلوماسية مع دول أوروبا فقد كانت فرنسا، انجلترا، اسبانيا، السويد، الدنمارك، هولندا و الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بتعيين قناصل لها في مدينة الجزائر، وتقدم كل من فرنسا،

---

[1] Eiesenbeth M, "Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque 1515-1830", in **R A**, 1952, p156.

[2] عبد الرحمان نواصر، **مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقة البلدين في أواخر عهد الدايات**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: مختار حساني، جامعة غرداية، 2010-2011، ص 56.

[3] Charles Féraud, **Histoire de la province**, op cit, p555.

اسبانيا، وانجلترا هدايا معتبرة من جواهر وساعات وأقمشة وكتان خصوصا أثناء تعيين قنصل جديد أو وصول مبعوث دبلوماسي، في حين تدفع السويد والدنمارك وهولندا وأمريكا الضرائب في كل سنة تتمثل في الذخائر الحربية والخشب الخاص ببناء السفن والحبال والزفت، لكن عدم وجود أمن في البحار، كانت تدفع الإتاوة نقدا وقدرت قيمة هذه الضريبة لكل سنة بحوالي عشرون ألف قرش إسباني والهدايا تقدر بحوالي خمسة وعشرون الف قرش إسباني[1].

وبالحديث عن مصادر دخل الإيالة الجزائرية، فقد أخبرنا ديبوا تانفيل، أن القرصنة تعتبر المصدر الأول للثروة في البلاد وكانت في فترات سابقة مدرة لأرباح كبيرة جدا، لكنها في الوقت الحالي عرفت ضعفا ملحوظا، وبعد القرصنة تأتي ضرائب البايلك ويتراوح مقدارها ما بين خمسة وسبعين ألف وثمانين ألف بدقة شيك تدفع سنويا ويدر بايات المقاطعات الثلاث ما قيمته سنويا مائتين وثلاثون ألف بدقة شيك[2].

كذلك يحدثنا القنصل ديبوا تانفيل عن عقود الإيجار ويعتبرها من المصادر المهمة للدخل وهي تخص تجارة بعض السلع بالموانئ مقابل دفع إتاوة، فمثال ذلك مؤسسة بكري تدفع ما قيمته مائة وخمسة وعشرون ألف بدقة شيك مقابل استغلال ميناء بجاية، أما الانجليز يدفعون مائتين وخمسة وعشرون ألف بدقة شيك لاستغلال مؤسسات الشركة الإفريقية في القالة، القل وعنابة، وفي هذه الأثناء أصبح استغلال الباستيون من نصيب الانجليز الذين يدفعون حوالي مائة وتسعون ألف فرنك سنويا[3].

وأضاف أيضا أن الجمارك تعتبر من المصادر الهامة للدخل المادي في البلاد فالسكان الأصليون يدفعون ما نسبته عشرة في المائة من حق دخول السلع للإيالة الجزائرية بينما الأوروبيون يدفعون ما

---

[1] مولود قاسم نايت بقاسم، المرجع السابق، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص114.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر**، المرجع السابق ص 81.

[3] وليام شالر، **مذكرات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**، تعريب وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 89.

نسبته خمسة في المائة، أما اليهود يدفعون أسبوعيا ما قيمته ألف بدقة شيك، أما الفدية فقد انخفضت قيمتها كثيرا والسبب هو تناقص عدد العبيد بمدينة الجزائر[1]، كذلك تتشكل في كل سنة وبالضبط مع حلول فصل الربيع ثلاث معسكرات كبرى برئاسة البايات لجباية الضرائب والتي تدفع عينيا أو نقدا ويصعب تقدير عدد الجند المكون للحملة لأن ذلك يخضع إلى طبيعة الحملة العسكرية وحسب حجم الانتفاضات الشعبية لدى القبائل المناهضة للحكم العثماني، والعدد المقدر حسب المعتاد يصل أحيانا إلى أربعة ألاف جندي[2].

وبالنسبة للأعمال البحرية فقد كان الأسرى الأوروبيون يقومون بأكبر قسط من الأعمال البحرية نظرا لكفاءتهم العالية في هذا المجال فهم من يسلحون السفن ويجهزونها بالعتاد الحربي ويصلحون الإعطاب وهو ما جعل القنصل ديبوا تانفيل يؤكد على عدم وجود أي بحار ماهر في إيالة الجزائر، وهذا ما لا يهضمه عاقل فإيالة الجزائر معروف بها رياس أقوياء جدا ومثال ذلك الرايس حميدو. وفي آخر المذكرة تطرق ديبوا تانفيل إلى كيفية تدمير هذه الإيالة، باعتبار أنه من أبرز السياسيين المؤيدين للاستعمار فرغم عيشه بالجزائر لمدة تسع سنوات، إلا أنه أشار إلى الاعتماد في الجانب العسكري على الوثائق التي أعدها الضابط بوتان، مع العلم أنه الوحيد الذي كان يعلم بمهمة بوتان السرية ولهذا قدم له كل التسهيلات وساعده بكل الوسائل في أداء هذه المهمة الصعبة وفي هذا الصدد يقول ديبوا عن المخطط العسكري وعلاقته بالضابط بوتان ما يلي: " ...لقد أعد السيد بوتان الضابط والمهندس مخططات لمدينة الجزائر وسلمها إلى وزير المستعمرات والبحرية، إذ الظروف الجيدة التي كنت فيها مكنتني من مساعدته

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، المرجع السابق، ص ص 95-96.

[2] Laugier de Tassy, **Histoire du royaume d'Alger**, chez Henri du zauzet, Amsterdam, 1725, p 300.

حول استطلاع المواقع بأدق التفاصيل، لقد علم الداي بالجولات التي قام بها بوتان مع نائبي بالقنصلية إلى رأس ماتيفو فهددهما بالدفن أحياء في حالة معاودة زيارة هاته الأماكن...."[1].

لطالما أعتقد القنصل ديبوا تانفيل أن الأهالي لن يناصروا أي دولة مسيحية غازية ويساعدونها في استرجاع حريتهم المسلوبة والانتقام من الأتراك المضطهدين للبلاد، فقد سعى إلى معرفة هذا السبب واستنتج أن السر الحقيقي وراء ذلك يكمن في رابط الدين الإسلامي لا غير، مستدلا في ذلك إلى الحملات الأوروبية المتكررة على الإيالة فالسكان كانوا دوما في مساندة الأتراك لصد كل عدو مسيحي، ويرجع ديبوا تانفيل ذلك إلى الجهل التام والتعصب الأعمى من طرف المجتمع ويذكر كذلك فمنذ ثلاثين سنة نزل الجزائريين من الجبال لمناصرة الأتراك في صد الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر ويرجع فشل الحملة على حد قوله:" إلى هؤلاء الأشقياء الجزائريين فهم يفضلون العيش تحت نير الجبروت العثماني على اختيار حكومة اكثر عدالة تؤسسها لهم أمة أوروبية أيا كانت"[2].

لقد فكر القنصل ديبوا تانفيل في إيجاد حل إذا نجحت الحملة على الجزائر، وذلك لتأسيس حكومة تعمل على تسيير شؤون هذه المستعمرة، فبعد البحث في هاته المسألة ودرسها جيدا من كل الجوانب اقترح على الغزاة الفرنسيين الإقدام على خطوتين وهما:

-الخطوة الأولى:

---

[1] عميراوي أحميده، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا انموذجا)**، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص 39.

[2] من الملاحظ أن الجزائريين لم يكونوا جهلة أو أغبياء على حد تعبير ديبوا تانفيل ، بل كانوا يعرفون ما ستؤول إليه أمور البلاد جراء الاحتلال الأوروبي فقد فقهوا معنى الاحتلال عبر التاريخ من الاحتلال الروماني والوند آلي إلى الحملات الإسبانية والجنوية على الموانئ والمدن الساحلية وما كانت تفرضه عليهم من ضرائب مجحفة و سرقة مواشيهم وسبي نسائهم و أطفالهم ، وخير دليل على ذلك يفند كل تكهنات ديبوا تانفيل هو الاحتلال الفرنسي للبلاد وما استحدثه من خراب للبلاد وتهميش للمجتمع أنظر:

وهو التظاهر بحسن النية تجاه المجتمع الجزائري والتصرف معهم بالتي هي أحسن وهذا لكي يتقبلوا الأمر الواقع عن طيب خاطر، فربما استساغ ديبوا تانفيل هذه الفكرة من نموذج حملة نابليون على مصر أين ادعى الإمبراطور نابليون أنه دخل الإسلام وجاء لتحرير البلاد المصرية من غطرسة المماليك الظالمين وإدخال الحضارة الغربية إلى البلاد.

-الخطوة الثانية:

وهي المرحلة الأساسية أين يتم فيها إسقاط القناع وإظهار الوجه الحقيقي للغزاة الفرنسيين والمتمثل في إقامة مؤسسات عسكرية على أطراف المدن الساحلية حتى يتمكنوا من فرض وجودهم بالقوة ثم تبدأ مرحلة التغلغل التدريجي للداخل الجزائري، وتتم فيها السيطرة الكلية للبلاد الجزائرية[1]، كذلك لم يتوقف القنصل ديبوا عند هاتين الخطوتين بل ذهب إلى أبعد من ذلك، ولضرب المجتمع الجزائري في العمق وإتباع مقولة – فرق تسد–فقد اقترح تكوين طبقة اجتماعية دينية موالية لتلك الحكومة التي يدعو لتأسيسها بالجزائر، فقد كان ديبوا حريصا كل الحرص بالاتصال شخصيا بالمرابطين في الأرياف[2]، وكان هؤلاء يقومون بزيارته في مقر القنصلية الفرنسية ومن خلال هذا الاحتكاك بالسكان، وأسفاره شرقا وغربا بإيالة الجزائر حيث أدرك أهمية الطرق الصوفية في البلاد الجزائرية ودورها الريادي الذي تلعبه الحروب، ومدى تأثيرها في نفوس الأهالي ومن هنا تكونت لديه قناعة بأن أحسن وسيلة لإخضاع العرب والقبائل هو التقرب من المرابطين وشيوخ القبائل، وإعطائهم أهمية كبيرة وتمييزهم عن باقي المجتمع، سواء بالجاه أو الرتب والتسميات، كالباشاغا، أغا العرب، والقايد، وقد نجح القنصل في تكوين شبكة علاقات اجتماعية بالجزائر، وبالفعل هذا ما نجحت فرنسا فيه بعد عملية احتلال البلاد، إذ نجدها قد قربت شيوخ القبائل

---

[1] عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694)**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف بالحميسي مولاي، جامعة الجزائر، 1984-1985، ص 158.

[2] Depont octave, Coppola ni Xavier, **La confrérie religieuse musulmane**, publié sous le patronage de M. j, combon, Adolphe Jordanne, Alger, 1897, p576.

والطرق الصوفية وأغدقت عليهم الرتب والمال ليكونوا عونا لها في كبح جماح الشعب وإفشال كل الثورات[1].

كما دعا ديبوا تانفيل إلى الهيمنة الفرنسية التامة على أراضي الوقف والسيبة وحتى الغابات لم تسلم من الاستغلال، لتكون البلاد زراعيا وصناعيا وتجاريا في خدمة الإنسان الأوروبي، ومن بين اهتمامات القنصل ديبوا ركز أيضا على الجانب الفلاحي فهو يشيد بخصوبة التربة واتساع الأراضي الصالحة للزراعة كمنطقة متيجة واعتدال المناخ، وفي هذا الجانب يعقب القنصل ديبوا قائلا: "...إن استطعنا إنشاء بعض المؤسسات التجارية واستدعينا المزارعين الأوروبيين، فإن لا أحد يعتقد بأن هذه المملكة سوف تزود فرنسا بكل أنواع المحاصيل، بل كل البلدان الأوروبية، كذلك حصولنا على ما تنتجه الجزائر من كميات وفيرة من الجلود والصوف والشمع والزيت والحبوب..."[2].

وأما فيما يتعلق بطرق المواصلات ووسائل النقل فكون الإيالة لا يوجد بها انهار داخلية فيمكن الاعتماد على الجمال لنقل البضائع مؤقتا، إلى غاية ما يتم إنجاز الطرقات وسكك الحديد، وهذا ما وقع بالفعل بعد عملية الاحتلال والاستحواذ على مقدرات البلاد بدأت فرنسا في تسوية الطرقات ومد سكك الحديد عبر كافة المناجم ومواطن الثروة، وفي نهاية هذا التقرير كتب القنصل ديبوا تانفيل قائلا: فإن عدد قليل من اللصوص الأتراك الذين جندوا في الشرق غير جديرين بامتلاك هذه المناطق الجميلة وبرغم عدم امتلاكهم أي وسيلة حقيقية للدفاع والهجوم، فقد استطاعوا أن يقهروا وبشدة نحو ثلاثة ملايين نسمة كما

---

[1] عن المرابطين وأهمية الزوايا ودور الطرق الصوفية: الشاذلية، العيساوية، الرحمانية، الشيخية، في الجزائر أنظر:

Rinn Louis, **Marabouts et khouane, étude sur l'Islam en Algérie avec une carte indiquant la marche, la situation et l'importance des ordres religieux musulmans**, Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p 552.

[2] محمد زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993، ص 52.

أنهم يعتبرون قراصنة ضد الأمم الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط، ومن هنا وجب القضاء عليهم تماما[1].

8: أهم الأعمال المميزة للقنصل ديبوا تانفيل بإيالة الجزائر:

إن أول ما ميز القنصل ديبوا تانفيل بإيالة الجزائر، اعتماده الدهاء السياسي في تلطيف الأجواء مع حكام الجزائر وبالذات مع الداي مصطفى، هذا في سبيل الوصول لعقد هدنة طويلة الأمد، لصالح فرنسا والتي كانت في أمس الحاجة لهذه الهدنة، فقد تم عقد اتفاقية جويلية سنة 1800م، فضمنت هذه المعاهدة إعادة السلم بين الجزائر وفرنسا مع استمرار العلاقات التجارية و الاستحواذ على امتياز الباستيون من طرف الحكومة الفرنسية[2].

وفي نظري اهتم القنصل ديبوا تانفيل بالعلاقات الودية مع مختلف قناصل الدول الأوروبية، وهذا حتى لا يتم عرقلة جهوده من طرف زملائه القناصل الأوروبيين، و خير دليل على ذلك وجود زيارات متبادلة خصوصا مع القنصل الانجليزي وزوجته، على الرغم من وجود مشاحنات بين دولة فرنسا وانجلترا حول كسب ود الجزائر للظفر بحق الامتيازات التجارية، حيث يتم إرسال مبعوثين بين الفينة والأخرى تعمل على زعزعة السلام الفرنسي الجزائري، ولتعكير صفوة العلاقات مع الداي مصطفى[3].

كما أننا من خلال تتبع مسار القنصل نجده قام بعمل جبار، على مستوى تحرير الأسرى فقد عمل القنصل ديبوا تانفيل جاهدا في هذا الجانب، فمن بين مهامه تحرير أسرى بلاده وحتى أسرى الدول الأوروبية الأخرى، ففي هذا الجانب نجد أن القنصل ديبوا له عدة جولات وصولات ومراسلات مع الوزير

---

[1] جيمس لوندر، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 14.

[2] Plantet, **Correspondance**, T2,op cit, p490.

[3] ibid, p 496.

تاليران، بخصوص أسرى السفينة لو بانيل، وكذلك الأسرى الفرنسيين من كانوا يتبعون الحامية الاسبانية بوهران، خصوصا أنه أبرم مع الداي اتفاقية طويلة الأمد، ومن بنودها عدم التعرض للمسافرين الفرنسيين على متن السفن الفرنسية والأوروبية[1]، لكن في جانب علاقاته مع اليهود بكري وبوشناق فقد كان تعامله معهم يشوبه الحذر، برغم عقد عدة جلسات معهم بخصوص موضوع الديون، والحديث معهم حول إمكانية التأثير على حكومة بلاده في سداد هذا الدين سواء بالنسبة لهم أو للداي مصطفى[2].

ومما تقدم يمكن الاحتفاظ ببعض الخلاصات:

وفي الأخير وتأسيسا على ما سبق حول مسار القنصل ديبوا تانفيل بإيالة الجزائر ، نلاحظ الدور الإيجابي والمحوري الذي لعبه في عملية السلام بين الجزائر وفرنسا، و إنهاء حالة القطيعة سنة 1800م وقيامه بتحقيق هدنة (1801م) طويلة الأمد ساهمت بشكل فعال في عدم تعطيل حملات نابليون بونابرت الأوروبية، فكانت مرتاحة الجانب من ناحية إيالة الجزائر حيث ربحت السلم معهم، وزيادة على ذلك ربحت الدعم اللامشروط للدولة الفرنسية بالمؤن الأموال، كذلك لاحظنا أن القنصل خلال مساره مع حكام الإيالة كان حذقا جدا، وهذا في سبيل تحقيق الأهداف المسطرة من طرف الإمبراطور نابليون، وكل هذا التميز الذي شهده القصل جاء بفضل تاريخه العسكري والسياسي الطويل وخبرته التي اكتسبها في المشرق العربي فنجده ساهم مساهمة فعالة في تطور العلاقات بين فرنسا وإيالة الجزائر، كذلك شهدت فرنسا في فترة تواجد القنصل ديبوا تانفيل تطورا ملحوظا في المعاملات التجارية مع يهود الجزائر، على الرغم أنه في قرارات نفسه لا يرغب في التعامل مع اليهود تجاريا لكن الظروف التي تمر ها فرنسا حتمت

[1] Plantet, **Correspondance**, T2,op cit, p 498.

[2] ibid, p 521.

عله التعامل معهم ولكن بحذر تام، وربما اعتمد على الوعود الكاذبة لسداد ديون التاجرين المسبقة على فرنسا[1].

وكذلك نستنتج سيطرة القنصل تانفيل على القرار الفرنسي في اتجاه الجزائر بسبب وجود ظرف اتسم بالحرب الدائمة التي كانت في مواجهة فرنسا من طرف الأوروبيين وعدم وجود سياسة خارجية واضحة ضد بلدان الشمال الأفريقي، بينما توجد رغبة من طرف بونابرت لاحتلال هذه البلدان، لكن العوامل الخارجية والتهديدات المضادة لكسر جماح نابليون وثنيه عن التوسع في القارة الأوروبية، اكتفى فقط بوضع مخططات للمساعدة في عملية الغزو على الجزائر والقضاء نهائيا على أوكار القرصنة التي طالما أرقت نابليون وأثقلت كاهله بالإتاوات والهدايا الإلزامية[2].

وبالنسبة لقضايا الأسر، فقد لاحظنا أن القنصل ديبوا تانفيل عمل مجهودا جبارا في عملية تحرير الأسرى وليس فقط الفرنسيين، بل تعدى ذلك إلى أسرى دول أوروبا، حتى أنه كان يقوم باستقبال الأسرى في بيته بمقر القنصلية ويغدق عليهم الأموال لشراء الملابس لهم و إطعامهم، مع القيام بمجهود كبير أيضا على المستوى السياسي لدى حكام الإيالة، تارة بدفع هدايا مغرية وتارة أخرى بتسليم رسائل تهديد ووعيد مسلمة من طرف القنصل الأول نابليون، في هذا الجانب نعرف أن ديبوا تانفيل حقق نتائج إيجابية بتحرير عديد الأسرى، ومن هذا المنطلق لسنا متأكدين، هل هو نتاج مجهودات القنصل ديبوا تانفيل، أم لسياسة اللين التي اعتمدها الداي مصطفى اتجه فرنسا على الرغم من تهديدات الباب العالي للإيالة الجزائرية بصد كل محاولات التقرب الفرنسي من الجزائر، ونحن نرجع ذلك إلى السياسة المتدلة التي كان ينتهجها الدأي مصطفى والذي لا يريد أن يخسر حليف استراتيجي وصديق للجزائر منذ مدة على الرغم من الخلافات الدورية والحملات المتتالية التي شهدتها الجزائر، لكن في كل مرة ترجع المياه إلى مجاريها،

[1] جمال قنان، معاهدات الجزائر وفرنسا، المرجع السابق، ص 190.

[2] المرجع نفسه، ص 191.

ويتم عقد معاهدات السلام، حتى أنها وصلت إلى السلام المئوي، كما عرف في هذه الأثناء الحوض الغربي للمتوسط تحولات سياسية كبرى مما أثر انعكاسا على العلاقات الفرنسية الجزائرية، فبعد تفوق البحرية الإنجليزية في معركة الطرف الأغر في أكتوبر 1805م أصبحت انجلترا سيدة البحر المتوسط حيث أبرمت اتفاق مع إيالة الجزائر حول حق استغلال المؤسسات الفرنسية بشرق الجزائر لمدة عشر سنوات، وبعدما عرضت على الداي مبلغ أربعة الأف قرش اسباني وهو المبلغ الذي عجزت فرنسا عن دفعه أمام الأزمات الخانقة التي واجهتها، لقد دفع الإنجليز مبلغا اكثر مما كانت تدفعه فرنسا، وقامت إنجلترا بتنصيب الإسباني سكديرو Escaderso وكيل لها، ثم تم تسليم الامتياز للمراكز التجارية بشرق البلاد في أول جانفي 1807م وبعد الاتفاق الموقع بين الداي احمد باشا والقنصل هنري بلانكاي حيث نص هذا الاتفاق على استغلال مراكز عنابة والقالة والتنازل عن مراكز القالة وجيجل مع حق استغلال صيد المرجان، لكن ما يهم إنجلترا هو إقامة قواعد عسكرية بشرق، وفي هذا الشأن لم يستطيع القنصل ديبوا تانفيل استرجاع هذه المراكز التجارية، و قد استرجعت إلا بعد قدوم القنصل دوفال واعتماده المكر والحيلة في ذلك[1].

ومن هنا يتم طرح التساؤل التالي: كيف كان مسار القنصل بيار دوفال وما ميزه عن غيره من القناصل؟

المبحث الرابع: مسار القنصل بيار دوفال (Pierre Deval) 1815- 1827:

حين نتطرق بالحديث في هذه الدراسة عن مسار القنصل بيير دوفال، تعود بنا الذاكرة مباشرة الى أحداث احتلال الجزائر والدور "المشؤوم" الذي لعبه القنصل دوفال، فمن ضربة مروحة حسب ادعاءات هذا القنصل، تطور الأمر إلى عملية احتلال مبيتة النية ومحسوب لها مسبقا ومخطط لها بكل دقة، ولقد

[1] بوشيبة ذهبية، **اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية**، أطروحة دكتوراه تاريخ، إشراف: حنيفي هلايلي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015، ص 597.

تم استبدال القنصل ديبوا تانفيل بالقنصل دوفال في زمن حرج جدا بالنسبة لإيالة الجزائر، والتي شهدت خسارة كبيرة لمعظم أسطولها البحري في عديد المعارك التي خاضتها مع الأسطول العثماني لمحاربة الدول الأوروبية، كذلك شهدت تراجعا نسبيا في عمليات القرصنة البحرية، حيث اعتمدت على فرض الضرائب على السكان، وهو ما أجج عليها عديد الثورات انتقاما لسياسة الحكم التركي بالجزائر، أما على الجهة الشمالية للبحر المتوسط، فنجد هناك توافق بين دول أوروبا، حيث يعتبر بداية عهد جديد وهو عهد عقد المؤتمرات الأوروبية، فقد بدأ التوافق والتقارب في وجهات النظر بينهم، لضرب كل ما هو معادي للتجارة الأوروبية، ومن هذا المنطلق يتسلم القنصل دوفال مهامه في إيالة الجزائر وفق تعليمات معينة، ففي نيته جاء لينقذ فرنسا من كل أشكال الإذلال المعهودة من قبل حكام إيالة الجزائر، وإستقبال القناصل الجدد أثناء تقديم وثائق اعتمادهم أو خلال تقديم التحية المعتادة أثناء الأعياد بصورة مشرفة، فقد شهد القنصل دوفال جوا مشحونا بالمشاكل منذ الوهلة الأولى، إن لم نقل بأن القنصل هو نفسه من بدأ بالأسلوب العدائي للداي حسين، ولم يقبل التماشي وفق البرتوكول المعمول به دبلوماسيا مع جميع الدول، وليس فقط فرنسا حتى أمريكا كانت تتماثل لهذا الإجراء المعتاد، وبما أنّ القنصل دوفال جاء بنية مبيتة و خطة مدروسة سلفا، و بأوامر من السلطات النافذة للساسة الفرنسيين، بدأ باختلاق المشاكل ولم يقبل القنصل دوفال بتفويت الفرصة على الداي جراء ما حصل له بعد مناوشته مع الداي وادعائه بلطمه بالمروحة، إلا بالاعتذار لشخصه ولفرنسا و وفق شروط محددة في ظاهرها مذلة، وهذا مالم يستسيغه الداي، الذي بقي على عناده إلى أن تم حصار الجزائر واحتلالها من طرف فرنسا[1].

والمرجح لدي وحسب تتبع أحداث قضية المروحة في المصادر والمراجع المختصة، منها الغربية والعربية وبحسب المؤرخين الجزائريين المختصين في تاريخ الجزائر الحديث، من أمثال جمال قنان وناصر الدين سعيدوني بأنه تم اختيار القنصل دوفال عن قصد، وبصفة مبيته، وهذا باعتباره قد أمضى

[1] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 522.

فترة طويلة في آسيا الصغرى وابن ترجمان السفارة الفرنسية باسطنبول، ومعروف عنه التعامل بالدسائس والالتواء والفساد، حيث شاعت سيرته المريبة عبر الموانئ المتوسطية، ولم يكن محل ثقة في الأوساط التجارية بمرسيليا، ويتطرق له بالقول حمدان خوجة على أنه:"... رجل لا يجيد التركية إلا كما أتكلم أنا الفرنسية ..."[1].

1: لمحة تاريخية عن القنصل بيار دوفال (1815-1827) :

ولد القنصل بيار دوفال2 في حدود سنة 1760م، ويذكر أحد الكتاب الفرنسيين أنه ولد بالشرق باسطنبول تحديدا، وهو ابن لمترجم فرنسي أسمه بيار فليبير كان يعمل بالسفارة الفرنسية باسطنبول لمدة أربعون سنة، مارس بيار دوفال النشاط الدبلوماسي في وقت مبكر، في عهد لويس السادس عشر وعمل قنصلا بدمشق، بعد ذلك اشتغل بالترجمة في القنصليات الفرنسية بصيدا سنة 1775م ثم بحلب والاسكندرية وأخيرا ببغداد من سنة 1786الى 1794[3]، وفي سنة 1815م أي عند عودة الملكية مباشرة عينه الملك لويس الثامن عشر قنصلا عاما بمدينة الجزائر[4]، وقد اتبع في عمله الدبلوماسي سياسة التعفن الاجتماعي والتوريط وخلف الوعود، كما كان يعتبر هذه الطريقة هي الوسيلة الكفيلة للنفوذ إلى مراكز القرار بإيالة الجزائر، وبالتالي التأثير عليهم وكسب ودهم، وقد استطاع بعد ظرف قصير من إقامته بالجزائر من أن يكون صداقات قريبة من الداي علي خوجة، واستطاع أن يقنع الداي بإلغاء البند

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر)**، تعريب : محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 142.

[2] بيار دوفال: أخر قنصل فرنسي في الجزائر قبل الاحتلال وقد كان تاجرا وتورط في العديد من القضايا مع اليهوديين بكري وبوشناق، ومما زاد الوضع تعفنا موقفه الشخصية الهمجية ضد الداي والديوان وهو مما زاد الوضع تعقيدا وأدى إلى القطيعة بين البلدين والحصار البحري والاحتلال. ينظر: Albert Devoulx, op cit, p 149.

[3] Plantet, correspondance, T2, op cit, p 523.

[4] Anne Mézin, "Les consuls de France au siècle des lumières 1715-1792", **imprimerie nationale**, paris, p237.

الإضافي الذي ألحق بمعاهدة استغلال الباستيون خلال عهد الداي عمر، ومنذ عام 1820م عمل القنصل دوفال على زعزعة القواعد والأسس التي ارتكزت عليها العلاقات الفرنسية الجزائرية، وعمل على إيجاد ذريعة للتدخل الفرنسي بالجزائر، وهو ما توصل إليه من خلال تمثيلية حادثة المروحة المزعومة في سنة 1827م[1].

ووفقا لما أكده كذلك المؤرخ دي غرامونت De Grammont في كتابه الجزائر تحت الحكم التركي، والمؤرخ ألفرد نوتمو Nettament Alfred في كتابه غزو الجزائر، حيث تطرقا إلى أنّ داي الجزائر طلب من الإمبراطور نابليون بونابرت أن يعمل على ترحيل القنصل ديبوا تانفيل، وذلك لعدم قدرته على تسليم الأسرى الجزائريين، كذلك عدم وفائه في إيجاد حل أو إدراج جدول زمني لإعادة الديون المترتبة عن فرنسا، لكن بعد نهاية حكم المائة يوم لنابليون بونابرت وتنازله عن العرش لأسرة البوربون تدهورت الأوضاع السياسية بين إيالة الجزائر وفرنسا والتي عمدت إلى إلغاء كل المعاهدات المعقودة مسبقا مع الجزائر من طرف واحد فقط، حيث لا علم للجزائر بما يشغل فكر ساسة فرنسا الجدد الذين بدورهم بدأوا يبحثون عن مخرج لبلادهم من مأزق الفوضى التي تشهدها فرنسا جراء سقوط نابليون ورجوع الأسرة الملكية القديمة لتزّعم حكم فرنسا من جديد ، كذلك البحث عن متنفس اقتصادي يدعم فرنسا في حالة تدهور حالتها المالية المنهارة جراء استنزاف نابليون للخزينة الفرنسية أثناء فترة حروبه على أوروبا وروسيا[2].

---

[1] فريد بنور، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 526.

[2] Alexandre De Laborde, **Au Roi et aux chambres sur les véritables causes de la rupture avec Alger et sur l'expédition qui se prépare**, chez truchy libraire, paris, 1830, p 27.

2: مهمة القنصل دوفال في ظل عودة أسرة البو ربون إلى السلطة:

بعد أفول حكم المائة يوم للإمبراطور نابليون بونابرت وزوال فترة حكمه عادت سلطة الدولة الفرنسية لأسرة البوربون من جديد؛ أين رجع عهد الإمبراطورية التقليدية للحكم في ظل هذه الأسرة فارتأت إلى مواصلة العلاقات مع الجزائر بكل حيثياتها، فهذا الاختيار لا مفر منه لِمَا تشهده فرنسا من تقلبات سياسية وجفاء دبلوماسي خارجي، فكان لابد من أصحاب القرار الفرنسيين الابقاء على شعرة معاوية مع الإيالة الجزائرية حتى يتبين الخيط الأبيض من الأسود، و قد اعتبرت الجزائر هذا التصرف بادرة خير في تجدد العلاقات دوريا، حيث خبرت الجزائر الفرنسيين عبر سنين طويلة بين المد والجزر وبين القطيعة تارة والحملات البحرية تارة أخرى، لكن مع كل هذا كانت كفة العقل والمصالح هي من ترجح من كلا الطرفين، لكن دون المساس أو تغيير في طرق المعاملة السياسية أو تبديل للمعاهدات والاتفاقيات السابقة فأسرة البوربون كان جل اهتمامها تثبيت جذورها في الحكم والقضاء على المناوئين فقط، وتركت التعامل الدبلوماسي مع باقي الدول وخصوصا السلطنة العثمانية وإيالة الجزائر على حاله[1].

وعلى الرغم من المشاكل العديدة التي كانت تتخبط فيها فرنسا، بداية من التواجد الأجنبي داخل البلاد والغرامات المالية الثقيلة المفروضة عليها في شكل تعويضات عن الأضرار الناجمة على ما خلفته حروب نابليون في أنحاء أوروبا قاطبة، إلى جانب الصعوبات الداخلية التي واجهت النظام الجديد والذي عاد إلى الحكم على عربة الأجانب وبحماية منهم، كل هذا لم يصرف النظر عن فرنسا بالاهتمام بملف علاقاتها مع إيالة الجزائر[2]، ومن الملفت للنظر أنه حظي ملف العلاقات مع الجزائر باهتمام كبير لدى المسؤولين الفرنسيين الجدد، حيث اندرج ضمن المسائل المهمة ذات الأولوية التي تتطلب التعامل معها

[1] anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/hy52, 45 MIOM 21, GGA 1AA 33.

[2] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 540.

بكل جدية لما فيها من مصالح تكون في خدمة فرنسا، وتم بالفعل الدعوة إلى استرجاع ممتلكاتها وامتيازاتها الأفريقية التي انتزعت من طرف الإنجليز أيام نابليون بونابرت[1].

وبعد الاتفاق المؤكد بين المسؤولين الفرنسيين، أوصت حكومة فرنسا قنصلها دوفال بعدم التسرع في إظهار النية الحقيقية لبقاء العلاقات على ما هي عليه إبان عهد نابليون اتجاه الجزائر، فالتوجيه الذي زُوِدَ به القنصل دوفال للبت في الامتيازات القديمة؛ هذا لا يعني العزوف عن موضوع الامتيازات بقدر ما كان يهدف للضغط على حكام الجزائر حتى لا يطالب بإتاوة مرتفعة ومرهقة، لقد كانت هناك مصاعب تقف حجر عثرة لهذا الطلب فالامتيازات لا تزال في يد الانجليز وهؤلاء لم يقوموا بأي عمل من شأنه الإخلال بالعقد المبرم حتى يتخذ كذريعة لسحب الامتيازات منهم[2].

وحسب اعتقادي لم يكن الطرف الجزائري مرتاحا للجانب الانجليزي، فقد أعطيا حق امتياز الباستيون للانجليز في لحظة غضب لحاكم الإيالة ربما جاءت جراء التصرفات المتعجرفة للفرنسيين سواء أكانت حملات بحرية على مدينة الجزائر أم لسلوك مشين من قبل أحد القناصل ولمعاقبة فرنسا وخصوصا إنها تعرف قيمة المراكز التجارية عند الفرنسيين، تعمدت الجزائر إلى التعاقد مع الانجليز أعداء الفرنسيين التقليديين، والمعروف عنهم أنهم يدفعون بسخاء للداي، وحتى هداياهم غالبا ما تكون هدايا معتبرة ومشرفة وتدفع عن طيب خاطر، لكن بعض أعضاء الديوان ومنهم الخزناجي ووكيل الحرج كانوا جميعا يجيبون القنصل دوفال عند إلحاحه بالمطالبة باسترجاع أملاك فرنسا، وعلى حسب قوله يعتبرها حق تاريخي لفرنسا ولا يحق لغيرها الانتفاع به، إنهم سوف يقومون بترضية حكومة باريس في أول فرصة تتاح لهم، كما صرح الداي عمر باشا إلى القنصل دوفال في أحد المرات أنه سوف يعمل

[1] Alexandre De Laborde, **Au Roi et aux chambres**, op cit, p 146.

[2] عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 111.

على افتعال الظرف الملائم إذا لزم الأمر، وأكد له أن ذلك لن يطول[1]، وبالفعل ففي اليوم الثالث من شهر سبتمبر من سنة 1816م، أي بعد أقل من أسبوع على الغارة الانجليزية ضد مدينة الجزائر وحرق الأسطول الجزائري في الميناء غدرا، أبلغت السلطات الجزائرية القنصل الانجليزي ماكدونالد بقرارها المتعلق بسحب كل الامتيازات من الانجليز وإلغاء التعاقد معهم نهائيا[2].

والشيء الملفت للنظر وما استدركته عبر تتبع مسار القنصل دوفال خلال بدايته الأولى بالعمل في قنصلية الجزائر، فهو لم يظهر أي ضغينة، وهذا حتى تتوضح له الصورة أكثر فأكثر، ويعمل على إنجاز وترتيب كل الصفقات لمراكز الامتياز ويضمن حقوقها وحقوق رعاياه بها، لكن مع طول المدة و انتظار القنصل دوفال الوقت الذي تقوم فيه حكومة إيالة الجزائر بعرض رد الامتياز للفرنسيين، فقد طال الانتظار ليستمر إلى أواخر شهر نوفمبر من سنة 1816م، ويبدو أن السلطات الجزائرية قد ترددت كثيرا قبل أن تقدم على هذه الخطوة الحاسمة، وبالفعل فالداي عمر باشا كان يأمل بأن تقوم الإدارة الجزائرية باستغلال هذه الموارد المهمة، لكنه تراجع عن هذه الفكرة وهذا ربما يعود إلى معارضة الديوان، وتعود الأسباب الحقيقية لتسليم الداي عمر حق الامتياز إلى فرنسا جراء القصف الانجليزي على الميناء والمدينة ووقوع بعض الأضرار الجسيمة التي طالت السكان[3].

وفي هذه الأثناء استدعي القنصل الفرنسي دوفال لمقر حكومة الجزائر في يوم 18 نوفمبر سنة 1816م ليسأله فيما إذا كان عازما بالفعل وله كل الصلاحيات لعقد اتفاقيات بشأن الامتيازات، فرد هذا

---

[1] مزهود سميرة، **التمثيل الدبلوماسي الأوروبي في الجزائر العثمانية 1830/1684 فرنسا نموذجا**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: شدري معمر رشيدة، جامعة أكلي محند الحاج، البويرة، 2019/2018، ص 90.

[2] كرميش عزوز، **الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بداية القرن العشر إلى الثلث الأول من القرن التاسع عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف حمدادو بن عمر، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة احمد بن بلة، وهران، 2016/2015، ص 130.

[3] بن أشنهوا، **الدولة الجزائرية في 1830**، ترجمة لعراجي نورالدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص 55.

الأخير بالإيجاب وفعلا بدأت المفاوضات بين الطرفين حول الموضوع، وفي لقاء القنصل بالمسؤولين بذل دوفال ما في وسعه لتثبيت فكرة كون الامتيازات لن تكون مفيدة للجزائريين بتاتا إلا إذا منحت للفرنسيين فهم من يحسنون استغلالها الأمثل وترجع بالنفع على كلا البلدين بالخير الكثير، وإنّ أحسن شيء تقوم به إيالة الجزائر تردها إلى فرنسا وهذا لضمان تنمية اقتصادية واستقرار سياسي دائم[1].

ولتوضيح السبب الذي دفع إلى رفع الإتاوة من طرف حكومة الجزائر، فقد شرح الخزناجي للقنصل كيف كان في الماضي قسم كبير من الإتاوة يخصص للرواتب، أما وقد ارتفعت الرواتب إلى مقدار الضعف، هذا حتما سيؤدي إلى زيادة في جميع الضرائب المفروضة ومن بينها الإتاوات المفروضة على الحصون التجارية وحقوق الامتياز لصيد المرجان[2].

3: زيارة القنصل دوفال لقصر الداي عشية العيد لتهنئته:

كما تجري العادة وكما هو معلوم في الأعراف الدولية فخلال يوم العيد يزور القناصل والسفراء قصر الجنينة في المناسبات الإسلامية لتهنئة الداي، فقد أجتمع قناصل الدول الأوروبية المعتمدين لدى إيالة الجزائر ومن بين الحضور الدبلوماسي نجد القنصل الفرنسي دوفال، وبإعتباره أخر القناصل الوافدين على إيالة الجزائر، وهذا الحدث وقع بتاريخ 30 افريل من سنة 1827م، فأغتنم القنصل دوفال الفرصة ليطلب من الداي تحرير سفينة الكرسي الرسولي، المستولى عنها من قبل القراصنة، بالرغم أنها كانت ترفع الراية الفرنسية، لكن الداي رد غاضبا من مطلب القنصل دوفال، ذلك نتيجة الدعم المقدم من طرف دول أوروبا لليونان للثورة على العثمانيين، كما انتقد الداي حسين القنصل دوفال حول موضوع الدائنين

---

[1] روابحية جهيدة، زعايمية سامية، **العلاقات العثمانية الفرنسية 1535-1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: محمد شرقي، جامعة8 ماي 1945، قالمة، 2016/2015، ص 92.

[2] رفعت الرواتب للجند الانكشارية في بداية عهد أحمد باشا 1805م بنسبة 100% فمن ثمانية ريالات ثقيلة في كل شهرين إلى ستة عشر ريال ، والريال الثقيل كما يسمى يساوي ثلاثون موزونة وهو ما قيمته ريال بوجو وربع.

والانحياز لهم، حيث يذكره بأنهم لحد الآن لم يدفعوا فلسا واحدا للإيالة الجزائرية، وجراء تعجرف القنصل دوفال بلفظ غير مناسب، هدده الداي بالسجن، هنا أصبح الحوار مفعما بالحيوية وأمتزج بالغضب لدى الطرفين، وبعد استجابة و رد حاد من طرف القنصل دوفال ضد الداي دفعه بطرف مروحته[1] التي بيده، وفي هذا القول عديد الآراء بين ما ينفي ذلك وما يؤكد الحادثة، من تلك اللحظة أصبحت تعرف بحادثة المروحة الشهيرة[2].

وبعد موجة عارمة من الغضب الشديد أثار الداي للقنصل الفرنسي قضية التحصينات والاستحكامات السرية التي أقامتها فرنسا من غير علم الحكومة الجزائرية حيث قال الداي : "...أعلموا إنني لا أقبل أن يكون هناك مدافع في حصن القالة، إذا كان الفرنسيون يريدون أن يمارسوا تجارة السمك فلا مانع عندي، وإلا فليذهبوا بلا رجعة، إنني لا أريد أن يكون هناك مدفع واحد للكفار في قطر الجزائر..."، وعند خروج دوفال من مقابلة الباشا، فإنه راح يشكوا أمره إلى بعض وزراء الداي فكان في رأيهم محاولة تدارك هذا الوضع، وتهدئة الداي مع إقناع القنصل دوفال بعدم تضخيم الأمور أكثر من حجمها الطبيعي، فهي مجرد زوبعة وستزول عندما يهدأ الداي[3].

وفي اليوم ذاته الذي وقعت فيه حادثة المروحة، حيث أرسل القنصل دوفال في المساء تقريرا مستعجلا إلى باريس أعلن فيه أنه ضرب من طرف الداي من غير أي ذنب، فجلب هذا الشيء انتباه حكومته في نهاية تقريره أن هذه الإهانة كانت موجهة إلى الشعب الفرنسي وحكومة الملك شارل العاشر، كما حاول دوفال أن يجلب إلى صفه بعض وزراء الداي، كما اعرب لقنصل سردينيا الكونت داتيلي عن

---

[1] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 563.

[2] Gossez Alphonse Marius, "Les Trois coups de chasse- mouches au consul Deval", in La révolution de 1848 et les révolutions du XIX siècle, T28, N° 138, **presse**, 1931, p 168.

[3] احمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار 1754-1830**، تحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 164.

العواقب السيئة التي يمكنها أن تصل إلى القطيعة بين البلدين، وربما حتى إلى تجهيز حملة لتأديب الداي، لكن من جانب أخر حملت الأوساط القنصلية في الجزائر وموانئ البحر المتوسط ومدينة مرسيليا هذا التأزم إلى سوء تصرف القنصل دوفال وأجمعت كلها على أن تصرفات القنصل هي سبب كل المشاكل[1].

وأما في باريس فقد اطلع مجلس وزراء فرنسا على تقرير دوفال الذي دهشت له الأوساط السياسية الحاكمة، فصرح دي داماس وزير الخارجية الفرنسي بما يأتي: "... إنّ هذا الاعتداء الجديد يزيد الطين بله ويستطرد الوزير قائلا: يجب علينا كأول خطوة أن نطلب بتعويض عاجل لما لحقك بشخصك من أضرار، وما لحق بشخص الملك وحكومته من تجريح..."[2]، وعلى إثر هذا التصدع الفجائي في العلاقات بين الجزائر وفرنسا وجه الداي رسالة في الموضوع إلى السلطان العثماني يشكوا فيها ما حدث بينه وبين القنصل الفرنسي دوفال، حيث يخبره في فحوى الرسالة بأن القنصل قد تفوها بكلمات نابية ومنافية للدين الإسلامي وتحط من شرف جلالة السلطان حامي حمى العالم الإسلامي[3].

4: أهم الأعمال المميزة للقنصل دوفال بإيالة الجزائر:

في غالب الأحيان اعتبرت علاقات القنصل دوفال مع الدي وحكومته سيئة للغاية، فقد اختلق العديد من المشاكل، ومن جانب أخر و بموجب تعليمات الوزارة الجديدة بفرنسا، كان على دوفال أن يرضي الداي والديوان، ويعمل على استعادة قيمة فرنسا مثل العهود السابقة والاقتداء بالقنصل الذي سبقه، القنصل ديبوا تانفيل، أين كان حذقا ويعرف متى ينتزع بعض الحقوق من حكام الجزائر، ووعد كذلك بتصفية ديون بكري وبوشناق القديمة، لكن من هذا الجانب لم نلاحظ أي تقدم ملحوظ في هذه المسألة،

[1]Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p564 .

[2] Gabriel esquer, **Les commencements d'un empire**, **La prise d'Alger 1830**, Edité par Larose, 1929, paris, 1929, p 56.

[3]Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 564.

حتى أن كل الكتابات المنشورة للمؤرخين الفرنسيين بعد اختلال الجزائر لم تتطرق إلى تصفية هذا الدين، ربما الميزة الإيجابية الوحيدة التي قام بها دوفال، ففي عام 1818م قدم هدايا باسم الملك للداي ولأعضاء الديوان، فكانت الهدايا عبارة عن 6 خواتم، و 24 ساعة ذهبية، وساعتان من البرونز، و6 بنادق، و5 مسدسات، و 304 ياردة من قماش سيدان، و 100قطعة من أقمشة ليون، مع 6 قطع من القماش الهولندي[1].

وأما بالنسبة للمصالح الفرنسية وحق الامتياز، فقد كان السيد ليون يدير وكالة عنابة والمنزل الذي كان بحوزة فرنسا ومن أملاكها الخاصة منذ عام 1798م، فقد تمت مصادرته من قبل الإيالة لكن تم إعادته فيما بعد لأملاك القنصلية بين سنتي 1801و 1807م، ثم أبرم الداي اتفاقا سريا مع القنصل الانجليزي ماكدونيل، وسلمه الامتيازات الأفريقية في تحد صارخ ضد الحكومة الفرنسية، وبمقابل قدره 250.000 فرنك، بعدها تم احتلال منزل عنابة بواسطة الوكيل الانجليزيEscudero[2]، ولكن بعد مرور 10 سنوات من الامتياز الذي الذي حصل عليه ماكدونيل Macdonnell، استغل القنصل دوفال السخط الذي حدث في مدينة الجزائر جراء قصف اللورد اكسماوث، وسارع للمطالبة بالامتياز القديم الذي كانت تستغله فرنسا لعدة سنوات، وبموج ذلك غضب دوفال ورد على الداي حسين وقال: " كم كان من غير العدل جعل هذا المنزل يعيش فيه نائب قنصل إنجليزي غير معترف به من قبل حكومة لندن "، في حين برر الفرنسيون حقوقهم في ملكية هذا المنزل أمام الجهات المعنية[3].

كما شغل دوفال نفسه بنشاط مماثل في إعادة تنظيم استغلال امتيازات أفريقيا، واهتمام مكاتب الشؤون الخارجية بإدعاءات بكري حول الديون التي تم تأييدها من طرف الوزير تاليران مشيرا إلى أن معاهدة

---

[1] Ibid, p 540.

[2] Plantet, **Correspondance**, T2, op cit, p 548.

[3] Ibid, p546.

1801م كرست حقوقهم في هذا الجانب، و في تقرير موجه إلى دوق ريشيليو، تم النظر في ديون فرنسا من طرف لجنة مكونة من السادة: كانت هيلي، دي أوسل، مونييه، بيسيير، ودي مالارتيك هؤلاء المسؤولون للتحقيق في هذه الحسابات، ثم قدم محامي بكري في باريس السيد نيكولاس بليفيل مذكرة حيث اتفقت اللجنة مع بليفيل على الرقم 7000 ألف فرنك مقدم من الحكومة كمعاملة، ويدفع بواسطة الخزينة وفي هذا الجانب تمت صياغة اتفاقية بتاريخ 28 أكتوبر 1819م ويتم توقيعها من طرف ممثلي الأطراف المعنية، وتمت الموافقة عليه بموجب قانون صادر في 24 جويلية 1820[1].

وبالنسبة لعلاقة القنصل دوفال مع نظرائه من الدول الأوروبية، فقد تلقى رسالة من قنصل فرنسا باسبانيا المركيز طولورو Tuluru بتاريخ 25 مارس 1824م يطلب منه تسيير شؤون القنصلية الإسبانية بالنيابة عنه إلى حين تعيين قنصل جديد، كما طلب منه وبنفس المراسلة السعي الحثيث إلى التوسط لدى الديوان والداي لإعادة السلم مع إسبانيا[2].

لكن هذا لا ينفي عداوة القنصل دوفال مع عديد من القناصل الأوروبيين، وهذا ربما نتاج الغيرة أو المصالح، فقد كان على خلاف مع نظيره الانجليزي، وكذلك مع قنصل سردينيا السيد كارون M Caron، ولا ننفي الدسائس التي كانت تحاك من قبل الفرنسيين لتوسيع هوة الخلاف مع الداي والأمم الأخرى، رغبة في الاستحواذ على مكاسب خاصة سواء منها التجارية أو الدبلوماسية[3]، وخير مثال على ذلك الصراع الواقع بين انجلترا وفرنسا حول من له الأحقية في الاستحواذ على الامتيازات بالشرق الجزائري، فكان الصراع محتدما بين القنصل دوفال والقنصل الانجليزي، وقد اغتنم القنصل دوفال أحداث قصف مدينة الجزائر من قبل اللورد اكسماوث سنة 1816م، عندها عمد دوفال إلى تأجيج العداء بين

---

[1] Ibid, p555.

[2] AE/CC Vol 45 Alger, 1819-1821.

[3] AE/CC Vol 46 Alger, 1822-1824.

الداي عمر باشا والانجليز، وهذا ما جعل القنصل دوفال يستثمر الحدث لصالحه ويطالب من الداي الضغط على القنصل الانجليزي، للتخلي عن الحصون التجارية لصالح فرنسا، فدوفال يدعي أحقية فرنسا بهذه الحصون، وهذا وفق العلاقات التاريخية المتجذرة مع إيالة الجزائر، كذلك طالب بمنزل القنصل في عنابة باعتباره حق شرعي للفرنسيين، وهو الملجأ الوحيد للفرنسيين أثناء الأزمات، أو الهروب من محاولة الأسر والاحتماء داخل منزل القنصل.[1]

ومما تقدم يمكن الاحتفاظ ببعض الخلاصات :

لم أكن لأفكر ولو لبرهة من الزمن، أنّ عمل القناصل يكون أكثر صرامة وتنظيم من كل الوافدين على الإيالة الجزائرية سواء كانوا مبعوثين أو تجار، فهؤلاء لا يملكون خبرة القنصل، فهو التاجر بطبعه والدبلوماسي المتمرس، فجل القناصل يقضون فترات مختلفة في تمثيل بلدانهم بعدة دول أوروبية و عربية، فخلال بحثنا هذا وما شاهدناه من أحداث حول مسار بعض القناصل ممن أخذناهم كعينات للدراسة، وجدنا القناصل الثلاث الأوائل قيد الدراسة عملوا مجهودا مضنيا، في سبيل خدمة بلدانهم ولم يتسببوا في حرج للحكام الدايات بإيالة الجزائر، عادا بعث الخلافات الهامشية، بعدها يتم تدارك الخلافات وتصحيحها إما بعقد اتفاقية جديدة أو تغيير القنصل بأخر، لكن الذي حدث وخارج عن نطاق العرف الدبلوماسي، هو أن يرسل قنصل متعجرف فوق العادة ويختلق المشاكل، وهنا أقصد القنصل دوفال، فنحن لم نلاحظ في مساره أي عمل مشرف يحسب له، عادا تظاهره بالعداء الشديد لكل ما هو عثماني ويخالف قواعد الأعراف الدبلوماسية في كل المناسبات، حيث يعتبر أن فرنسا قاعدة شاذة فوق كل اعتبار، على الرغم من قيمة فرنسا المنهارة في تلك الأثناء، وقد رجحت في قرارات نفسي ذلك العمل إلى أن فرنسا خبرت جيدا إمكانيات الإيالة الجزائرية العسكرية عبر عديد التقارير المعتمدة من قبل القناصل

[1] جمال قنان، العلاقات الفرنسية، المرجع السابق، ص 208.

الموفدين مسبقا، وما بقي من الخطة المعدة سلفا، إلا البحث عن شخص له خبرة وباع طويل في اختلاق المشاكل، فتم اختيار القنصل دوفال لهذه المهمة القذرة، حتى أننا وجدنا أن شخصيته منبوذة من طرف أقرانه القناصل الأوروبيين، كذلك أثناء تتبع مسار القنصل دوفال، وكيف تم اختياره لتعويض القنصل فاليير عندما أراد الداي محمد حاجي طرده بسبب الخلاف حول السفينة التي طلبها الداي لتقل مبعوثه إلى القسطنطينية لكن بعد تدخل عدة أطراف عفا عنه الداي وبقي في منصبه، فهذا الحدث لم يستسيغه القنصل دوفال والذي رتب أمره لمثل هذا الحدث العظيم والذي ربما كان سيجني منه الكثير من الفائدة، حيث ألت كل مخططاته للفشل، فبعض المؤرخين ممن قرأت لهم يرجعون ما قام به القنصل دوفال من أعمال شنيعة إلى هذا الحدث والذي ربما نعتبره نحن كحدث عابر، والفرنسيين معتادين على طرد قناصلهم وطلب تغييرهم بين الفينة والأخرى، لكن هذا التصرف من الداي كان له رد فعل مغاير من القنصل دوفال حيث ما إن وآتته الفرصة للرجوع إلى إيالة الجزائر، إلا وبدأ في تنفيذ مخططه الإجرامي لخلق فجوة خلاف في السلام المتفق عليه بين الجزائر وفرنسا وعبر عديد المعاهدات والاتفاقيات، فالحديث حول حادثة المروحة جعل منها أسطورة وواقعة كبيرة لا يغتفر ذنبها وذنب فاعلها، نرى أن فرنسا شهدت عديد الأحداث والأكثر خطورة من ضربة منشة ذباب، فهذا الرايس بابا حسن يقذف القنصلين لوفاشي و بيول من فوهة المدفع العملاق بإتجاه البحر، جراء إعطاء الأول إشارات ضوئية من فوق مسكنه للسفن الفرنسية، وإعدام الثاني جراء حملة القبطان دستري على مدينة الجزائر وتحطيم أجزاء كبيرة من المدينة وتعرض بعض السكان للقتل، ناهيك عن سجن وتعذيب بعض القناصل في فترات سابقة جراء خلافات بسيطة مع الداي، كذلك لاحظنا حادثة مجزرة الوفد الجزائري بمرسيليا سنة 1619م، كل هذه الأحداث الخطيرة جدا وفي زمن القوة العسكرية لكلا الدولتين، لكننا لم نلاحظ أي تهور لا من طرف الجزائر أو فرنسا، فكلاهما يبحث عن مصالحه الخاصة والسلام الدائم، وفي كل مرة ترسل الوفود سواء الفرنسية منها أو الجزائرية لتلطيف الأجواء عبر عقد هدنة جديدة أو اتفاقية تضمن سلامة الرعايا

في كل بلد وتضمن حماية القناصل وأعوانهم، كذلك خلال فترة القنصل دوفال اختلفت الأوضاع الدولية تماما، وهذا حسب اعتقادي يعد عنصرا أخر يضاف لتسهيل عجرفة دوفال وعدم خوفه من العقوبة من طرف حاكم الجزائر منذ الوهلة الأولى، وهو بداية عقد المؤتمرات الأوروبية، وتوجيه أصابع الاتهام لإيالة الجزائر جراء امتهانها القرصنة البحرية، وهو إن دل فإنما يدل على التوافق الأوروبي لأول مرة في التاريخ الحديث، من هنا وجد القنصل دوفال نفسه مفعما بالحيوية وشعور تواجده بمركز قوة، خصوصا أنه من فترة تعيينه بالجزائر سنة 1815م، وقف على عدة مشاهد تؤكد له ضعف الإيالة الجزائرية وتشتت مصادر القرار بها، وتراجع بحريتها العسكرية بعد فقدانها لعديد السفن من أسطولها إما بالتقادم أو بفقدانها في معارك سابقة، من هنا أصبح يتحين، وهنا جعل من قضية المروحة عنوانا للثأر، وبالفعل تم له ما أراد وخسرت الجزائر أرضها.

الفصل الثاني: القناصل وصلاحياتهم

المبحث الأول: مهام وأدوار القناصل الفرنسيين بإيالة الجزائر:

لم يقتصر عمل القنصل على المهام الدبلوماسية والسياسية فقط، بل تعدى ذلك إلى مهام أخرى، لا تقل شأنا على العمل الدبلوماسي، ومن بين هذه الأدوار المنوطة بمهام القناصل تقديم الهدايا، وهذا يتأتى في سبيل تسهيل أعمالهم وسيرها الحسن، فقد دأب القناصل على تقديم الهدايا في كثير من الأحيان وليس مع بداية تعيينهم، قد يتطلب تحرير الأسرى أو عقد معاهدة جديدة بشروط محددة مع تقديم هدايا ثمينة للداي وديوانه حتى يتم قبول جميع الطلبات الفرنسية كذلك من بين الأدوار المهمة التي شغلت القناصل وهي الدفاع عن المصالح التجارية لمواطنيهم، حيث ركز القناصل على سلامة سفنهم التجارية من القرصنة ووصولها أمنة إلى موانئها، وكذلك أمان ركاب هذه السفن، ونورد فيما يلي عرضا لبعض أدوار القناصل الفرنسيين بالجزائر العثمانية سواء من بين

القناصل الذين اخترناهم في هذه الدراسة أو من خلال القراءات التي قمنا بها والمتعلقة بقناصل آخرين وذلك من خلال ما أتاحته لنا الوثائق الأرشيفية والمصادر الأولية.

ومن هنا يتم طرح التساؤل التالي: ما هي الأدوار المنوطة للقناصل وظروف العمل بها ضمن الأجواء العامة لإيالة الجزائر؟ كيف تطورت مهام القناصل الفرنسيين بالجزائر العثمانية؟

1: الدور السياسي والدبلوماسي:

شغل القنصل خلال الفترة الحديثة وظيفة وكيل سياسي ودبلوماسي، أي أن من مهامه التكفل بالقضايا السياسية والدبلوماسية القائمة بين دولته والدولة التي يمثلها فيها، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وقد كان للقناصل الفرنسيين في الجزائر خلال هذا الدور تأثيراً على سير العلاقات، فبحكم أنهم كانوا يمثلون السلك الدبلوماسي في الجزائر، فقد كانت لهم علاقات مباشرة مع الدايات، وأصحاب النفوذ في السلطة، ولكن هذه العلاقات كانت تتمايز من قنصل إلى آخر بناءً على العلاقة الشخصية، أو المصالح المؤقتة التي قد تجمع بين الطرفين، وهنا حاولنا تعميم الدور السياسي والدبلوماسي للقناصل في ثلاث نقاط هي: القناصل والهدايا القناصل والمعاهدات، والقناصل وسير العلاقات[1].

2: القناصل والهدايا:

دأب القناصل على تقديم الهدايا للداي وكبار موظفي الدولة، إما لقضاء حوائجهم، أو لتحسين العلاقة بين فرنسا والجزائر، فكانت الهدايا تقدم في العديد من المناسبات وبمختلف الظروف، لذلك فإن موضوعها متشعب، ويتداخل مع الكثير من مهام القنصل، كتحرير الأسرى، وتجديد المعاهدات، وتلطيف أجواء العلاقات، كما تحولت الإتاوات التي تدفعها القوى الأوروبية لشراء السلم مع الجزائر

[1] E Plantet, **Correspondance des Beys de Tunis et des Consuls de France avec la Cour 1577-1830**, Félix Alcan éditeur, Paris, 1893, T1, p XXXVIII.

إلى هدايا إلزامية زمن ضعف البحرية الجزائرية[1]، وهو ما تثبته المراسلات القنصلية التي تطرقت في العديد من المرات إلى ضرورة تقديم الهدايا، وبتاريخ 19 ديسمبر 1765م دعا القنصل فاليير Vallire السيد فيليب جوزيف النائب الرسولي وجميع التجار، و أوعز لهم أنّ الداي في هذا اليوم ينوي ختان ابنه، ولهذا من واجبه إظهار الفرحة، وقد عَلِم القنصل فاليير أن ضباط الإيالة وقناصل الدول الأخرى وحتى البسطاء بشكل خاص سيقدمون الهدايا إلى الداي، ومن المفروض أن يكون الطرف الفرنسي أكثر سخاء، و إنْ كان عكس ذلك سيكون بمثابة علامة سيئة في تاريخ فرنسا، ومن المؤكد أنها ستثير استياء الداي، وإثارة غضب بلاطه، وربما تتعرض العلاقات بين فرنسا والجزائر إلى نفق مظلم، ويجب على الطاقم القنصلي أن يقوم بتقديم الهدايا حتى لزوجة الداي خلال مناسبات محددة، لكن في بعض الأوقات يحجم أعضاء القنصلية عن دفع الهدايا، وهذا بأوامر من البلاط الفرنسي، ويعود لعدم رغبة فرنسا في ذلك، أو لمعرفة مدى أهمية كل حاكم معين جديد، لكن ينتابهم الخوف عند عدم تقديم الهدايا والذي من شأنه أن يزعج الداي، وبالفعل غالبا ما يتم تقديم الهدايا من طرف ترجمان القنصلية لحفظ ماء الوجه، وكانت هذه الهدايا المقدمة عبارة عن بندقية من صنع فرنسي وقفطان من مدينة ليون إلى زوجة الداي، وخمسون زوج من المسدسات الفضية[2]، ويعبر القنصل فاليير عن هذا الحدث بقوله: "... أنا أعتبر أنه من المناسب أن نرسل للداي قفطان أو بعض الهدايا المختلفة التي أعتقد أنها يمكن أن تلاقي قبولا من طرفه، وحتى لا يتم التأثير على قرار المسائل التي قد تهمنا، وبناء على ذلك فإن هدية القنصل سيتم إرسالها إلى الداي الجديد، وهي قطعة قماش من الذهب بسعر حوالي 50 ترترا، وللكاتب الجديد للخيول قفطان بسعر حوالي 40 ترترا، وهذا لتمتين روابط الصداقة، ووضعهم في مصلحة الأمة قدر الإمكان، وتعتبر هذه الهدايا قادرة على

[1]Marcel Emérit, "Voyage de la Condamine à Alger 1731", **in RA**, V 98, Alger, 1954, p 378.

[2]Albert Devoulx, **Les archives du consulat**, op cit, P 116.

التأثير الجيد على التجارة والملاحة بشكل عام، وأي أموال سيتم دفعها ستتكفل الغرفة التجارية بها..."[1].

في كل مرة نتطرق فيها إلى الهدايا التي قد تأتي بِعدة أشكال وفي مناسبات مختلفة، فهذه الهدايا ساهمت في تحقيق مكاسب باهرة للفرنسيين، كما أدت لحل عديد القضايا العالقة من بينها تحرير الأسرى، وتسهيل عقد الاتفاقيات غالبا ما تكون فرنسا في حاجة ماسة لهذه الاتفاقيات والتي بدورها تسهم في سلامة وأمن الملاحة البحرية للحفاظ على السفن التجارية وحتى العسكرية، كذلك فقد أسهمت بشكل فعال في تلطيف الأجواء بعد كل حملة شنتها الأساطيل الفرنسية على مدينة الجزائر، حيث سرعان ما يجنح الطرفين للسلم، ويتم شراء رضى الداي وديوانه بتقديم بعض الهدايا، وفي أواخر عام 1800م، طلب الداي من المسؤولين الفرنسيين الحصول على مائتي ألف قرش كهدية، مقابل السلام الدائم، و عندما ماطلت الحكومة الفرنسية بإرسال هذه الأموال إلى القنصل ديبوا تانفيل وجب على القنصل أن يقدم للداي مصطفى باشا تطمينا ولو شفهيا بأن الأموال في طريقها إليه ولا يستعجل الأمر، وبعد أخذ ورد رفض الوزير تاليران إرسال هذه الأموال، وبعدما تأكد الداي من عدم وصول هاته الأموال، أعلن الحرب على فرنسا وطرد القنصل إلى إلكانت، كما عمد الداي إلى استئناف العمل العدائي لحين تحقيق رغبته، ومن حسن حظ القنصل ثانفيل أنه نجا من القسوة التي تعرض لها القنصل السابق مولتيدو سنة 1798 م، أين كاد أن يفقد حياته إثر ذلك بسبب أحداث مماثلة، وفي هذا الجانب احتكم الداي إلى بند من بنود الهدنة الموقعة سابقا مع فرنسا وسمح للقنصل ثانفيل وبقية الفرنسيين المتواجدين بمدينة الجزائر بالمغادرة في غضون ثلاثين يوما، كذلك ربما شعر الداي بخطورة التهديد من قبل الإمبراطور نابليون، فقد تواجدت قواته العسكرية بالمثلث الذي يربط جنوب فرنسا ومالطا ومصر، وهذا يعني قرب الجيوش الفرنسية من إيالة الجزائر، لذا

[1]Ibid, P 122.

أحتكم الداي إلى العقل وعدم مواصلة التوتر أو الدخول في الحرب مع فرنسا، واختار علاقات أوثق مع الحكومة الفرنسية والركون إلى السلم، وهنا انتهز القنصل ثانفيل تلك اللحظة وأعاد تنسيق العلاقات الفرنسية الجزائرية من خلال التوقيع على معاهدة السلام الشامل في 28 ديسمبر 1801م[1]. وبالحديث مرة ثانية عن الهدايا وأهميتها في العلاقات بين الجزائر وفرنسا، يذكر أحد القناصل الفرنسيين[2] والذي أورد في إحدى مراسلاته ما يلي: "... أجبرت على تقديم المجاملات، وعلى دفع عشرة بياستر ونصف لشراء معاطف لرجال الديوان ولمكافأة المزوار ورجال الشرطة..."، وهذا لأجل معالجة قضية أحد التجار[3]، وهو نفس القنصل الذي يشير أنه أهدى للداي محمد بكداش بعد أن عاد منتصرا من فتح وهران قفطانين من الجوخ وقفطانين من القماش الدمشقي، ومعجون المربى، التي اعتبرها الداي قليلة أمام هدايا منافسه القنصل الانجليزي، والتي فاقت قيمة هداياه حوالي 500 بياستر، وقد اشتكى القناصل الفرنسيون دائما من هذه الفوارق في قيمة هداياهم أمام هدايا الأمم الأخرى[4].

---

[1] **Charles Thainville au ministre des Affaires étrangères**, Alger, 3 nivôse 9 (24 décembre 1800) : AMAE, Alger/35, f 183r.

[2] جان دو كليرومبولت(Jean de Clairambault): درس التركية والعربية في استانبول بين سنتي 1690/1689م، ثم أرسل إلى الجزائر كمترجم في بداية العام 1697م، قبل أن يعين مستشارا في سنة 1698م، إضافة إلى أعماله القنصلية، فقد كان يشارك في العمليات التجارية لحسابه الخاص (الواردات والصادرات شراء السفن التجارية)، بعد رحيل فيليب جاك دوران، استلم مؤقتا أعماله القنصلية، حتى تعيينه قنصل سنة 1706م، و بقى في الجزائر إلى فيفري 1717م، ثم التحق بقنصلية فرنسا في ليفورون، بدوقية توسكانيا سبتمبر 1716م، وفي نوفمبر 1719م تم تعيينه قنصل في المورة (جنوب اليونان)، توفي في إقامته بمودون(Modon) في 12 نوفمبر1745م. انظر:

H De Grammont, **Correspondance des Consuls d'Alger1690-1742**, Adolph Jordan, Ernest Leroux- Paris, 1890, p106.

[3] حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص ص 86-87.

[4] H De Grammont, **Correspondance**, op cit, p120.

من هذا الجانب يجوز لنا التساؤل عن الدوافع التي توجد وراء تحديد قيمة الهدايا الفرنسية والتي عادة ماتكون أقل شأنا بالنسبة للدول الأخرى وخصوصا منافسيهم الإنجليز، فهل هي مرتبطة بحسابات الميزانية الفرنسية؟ أم للحالة المادية التي تشهدها فرنسا؟ أم لرغبة فرنسا في الحط من سمعتها؟ واعتبار هذه الهدايا مذلة ومهينة للامة الفرنسية؟

وقد ارتبط تقديم الهدايا للداي وكبار موظفي الدولة بالعديد من المناسبات كالميلاد، الختان، والزواج فالداي محمد بكداش (1707-1710م)، وبمناسبة ختان ابنه، قدمت له القنصلية الفرنسية أقمشة مذهبة، كذلك بمناسبة زواج ابنته قدمت له القنصلية زوجين من المسدسات بطلقتين[1].

إضافة إلى هذا يمكن أن يحظ الداي ورجاله بالهدايا بمناسبة العام الجديد، وتسلمه قفطان الباشوية من الباب العالي، فقد ألح القنصل أنطوان دوران(Antoine Durand)(1720-1730) م[2]، على المسؤولين بالغرفة التجارية لمرسيليا ضرورة إرسال الهدايا في العديد من مراسلاته وذلك بمناسبة تقلد الداي[3] منصب الباشوية ورغم ذلك فقد وصلت الهدايا متأخرة، تمثلت في قطعة من قفطان صنع من

---

[1] بليل رحمونة، المرجع السابق، ص 105.

[2] أنطوان دوران(Antoine Durand): هو ابن فيليب دوران، قنصل فرنسا في الجزائر 1698-1705م، و أصبح دوران المستشار لجون دو كليرومبولت (Clairambault) في30 نوفمبر 1705م، وعين نائب قنصل في كانديا (Candie) شهر فيفري 1719م، و بقي حتى جوان 1720م، و بناء على طلب من القنصل ديسو، عاد أنطوان دوران إلى الجزائر قنصلا بتاريخ 20 نوفمبر1720م، توفي في مدينة الجزائر في 8أكتوبر 1730م، و دفن في المقبرة المسيحية و قد أهدى له صديقه لوجي دي تاسي(Laugier De Tassy) كتابه تاريخ مملكة الجزائر، حيث ذكر في هذا الكتاب أن أنطوان مكث مدة طويلة في الجزائر، وأنه كانت له علاقات مع بعض الرياس النافذين في ديوان الجزائر. انظر:

Laugier De Tassy, **Histoire du Royaume d'Alger**, Henri du Sauzet, Amsterdam, 1725, p287.

[3] انظر الرسائل المؤرخة في: 29 جويلية 1724م، 7 نوفمبر 1724م و 21 فيفري 1725م، أنظر:

H D de Grammont, **Correspondance**, op cit, pp 171-172.

الجوخ و علب من المربى[1]، كما أن العادة كانت تقتضي تقديم الهدايا عند وصول قنصل جديد، فمثلا عند تسلم Antoine Durand القنصلية الفرنسية سنة 1720م تأخر وصول الهدايا، وهو ما جعل الداي ورجاله يطالبون بها، مما اضطر القنصل إلى مكاتبة نواب الغرفة التجارية بمرسيليا وقدم لهم قائمة بالهدايا الضرورية لإرضاء الداي والديوان، ومن الهدايا التي طلبها القنصل: ساعة ذهبية، 45 أوناً من الجوخ الناعم الأرجواني اللون، 26 أوناً من الجوخ الناعم الأبيض، بندقية من الطراز الجيد للداي، زوجين من المسدسات، و 10 أون من قماش البروكار المذهب، و لقادة السفن ومستخدمي منزل الداي: قطعتين من الجوخ[2].

هذه الهدايا المقدمة تخضع قيمتها حتما لسياسة الملك ووزارة الخارجية، فإذا كانت سياسة فرنسا تنشد السلم والمصالحة فإن الهدايا تكون غالية، بإعتبارها السبيل الوحيد لخدمة المصالح الفرنسية، وضرب المنافسين خاصة انجلترا وهولندا، ويشير Plantet أن قناصل فرنسا كانوا يجبرون عند وصولهم إلى الجزائر على تقديم هدايا بقيمة 5000 ليرة[3]، ولكن هذه القيمة ستعرف ارتفاعا مع النصف الثاني للقرن الثامن عشر(18م)، وذلك بالنظر لإتساع دائرة التنافس بين الدول الأوروبية بعد أن أصبح للعديد منها قناصل يمثلونها في الجزائر، خصوصا ونحن نعرف أن الانجليز كانت يدهم أجود من ناحية الهدايا، وهذا الشيء يتركنا نطرح العديد من التساؤلات حول سبب قيمة الهدايا المرتفعة بالنسبة للهدايا الفرنسية، وإجابة عن هذا التساؤل أرجعت السبب بالدرجة الأولى إلى قدرات انجلترا المالية الكبيرة، وبالدرجة الثانية اهتمام فرنسا بالمصالح التجارية في الجزائر، ومن هنا أيقنت أن الهدايا بقدر قيمتها بقدر ما تجنيه من فوائد

---

[1] يقصد الداي كور عبدي(1723-1731م)، ينظر: عثمان الكعاك، **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله و آخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص292.

[2] جون ب وولف، المرجع السابق، ص 380.

[3] E Plantet, Les consuls, op cit, p51.

خلال تعامل الدول الأوروبية مع إيالة الجزائر[1]، كما كانت الهدايا الفرنسية المقدمة إلى حكام الجزائر تخضع لحسابات دقيقة إذ كان ينبغي ألا تتجاوز سقفا محددا من القيمة المالية الإجمالية، و بحسب تقارير القناصل الفرنسيين أنفسهم، كان هؤلاء ينظرون إلى الهدايا على أنها عربون محبة وصداقة مع الإيالة وليست محل إهانة أو إذلال لممثل ملك فرنسا بالجزائر[2].

في أول عهد للعلاقات الفرنسية الجزائرية كانت فرنسا تنظر للهدايا المقدمة للإيالة كنوع من المجاملة والترحيب بالصداقة العريقة والمتينة، كذلك لتسهيل قنوات الاتصال المباشر، لكن مع اشتداد المنافسة الأوروبية على كسب وِد الجزائر، حيث اعتمدت بعض من هذه الدول تقديم هدايا ذات قيمة ثمينة، ومثال ذلك ما قدمته انجلترا من هدايا باهظة الثمن في سبيل نيل و إحتكار امتيازات تجارية، بالرغم من أن الهدايا الغير ثمينة المقدمة من طرف قناصل فرنسا، إلا أن هذه الأخيرة كانت لها حظوة كبيرة لدى حكام الجزائر[3].

وبالحديث دوما عن الهدايا، فقد أثقلت الهدايا نفقات القنصلية الفرنسية، وهو ما أدى بالقناصل في العديد من مراسلاتهم إلى التذمر، والشكوى من عدم كفاية النفقات ولا ندري لماذا هذا التقصير من جانب البلاط الفرنسي اتجاه قناصله، هل هو نتيجة لكونه لم يكن ملزما في هذه الفترة بدفع مرتبات ونفقات القنصلية؟ حيث كانت الغرفة التجارية لمرسيليا هي من تتكفل بهذه النفقات، أم هو دليل على عدم وضوح ما يخص وظيفة القنصل؟ الذي يجب أن يكون ممثلا لبلده فقط، ولا يحق له ممارسة نشاطات أخرى قد

[1] كان لها قنصل في الجزائر منذ 1585، هولندا سنة 1616، والسويد 1729، ثم تلاحقت دول أخرى كإنجلترا

[2]Windler, Christian, **La diplomatie comme expérience de l'Autre Consuls français au Maghreb (1700-1840)**, Genève, Librairie Droz, 2002, p 492.

[3]ibid, p 185.

تغطي نفقاته[1]، ويرى المؤرخ فابريس براندلي أن التقليل من قيمة هاته الهدايا راجع لعدد قنصليات فرنسا الكثير، حيث وصلت إلى 129 قنصلية موزعة عبر العالم وتشغل حوالي 600 شخص، ومن هنا يتعذر على فرنسا إمداد كافة قناصلها بالأموال اللازمة لشراء الهدايا، خاصة وأن ظروف فرنسا المادية لم تكن بصورة حسنة دوما[2]، كما اعتبر الفرنسيون الهدايا القنصلية ابتزازا للقناصل ودليلا على جشع وطمع دايات الجزائر، فقد كانوا يأخذون الهدايا عند تغيير كل قنصل، لذلك فإنهم يطالبون باستبدال القناصل الأوروبيين بإستمرار، لكي يتجدد دخلهم، وكانت الدول الأوروبية ملزمة بتغيير قناصلها كل عام أو عامين، أما انجلترا فعند كل خمس سنوات يتم تغيير القنصل، في حين أن فرنسا كانت تستدعي قنصلها كل ست أو سبع سنوات، ولكن بالنظر لهذه المدة فهي مدة طويلة، وليست دليلاً على إجبار فرنسا على تغيير قنصلها[3].

كذلك نجد أن عددا من القناصل قد تجاوزت فترة اعتمادهم مدة العامين، وأن القناصل الذين كانت الجزائر تطالب بتغييرهم كان بناء على سوء تصرفاتهم، وتورطهم في مشاكل تؤدي إلى اضطراب العلاقات الطيبة بين الجزائر وفرنسا، ويقودنا هذا إلى التساؤل حول اختيار فرنسا للوقت المناسب لسحب قناصلها، وهل كانت هذه وسيلة من وسائل البلاط الفرنسي؟ حيث اعتادت فرنسا على المماطلة في العديد من طلبات ديوان الجزائر منها تحرير الأسرى، أو حل بعض الأمور العالقة بين الطرفين، ولا شك أن عزل أو سحب بعض القناصل الفرنسيين بالجزائر ناجم عن توتر علاقاتهم بالجالية الفرنسية التجارية المقيمة بالجزائر وعدم نجاحهم في رعاية مصالحهم والدفاع عن تجارتهم، ومثال ذلك ما حدث للقنصل

---

[1] انظر الرسائل المؤرخة بـ: 13 فيفري 1691، 31 ديسمبر 1718، 28 فيفري 1722، و20 أفريل 1729، وغيرها في:

H De Grammont, **Correspondance**, op cit, pp200-205.

[2]Fabrice Brandli, "Le personnel diplomatique de la résidence de France à Genève : profil social et culture politique (1679-1798)", **Etudes de Lettres**, n 3, 2010, p227.

[3] محمد زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994، ص22.

فالبير حيث طالبت الجزائر بسحبه جراء قضية السفينة المراد إرسالها إلى إسطنبول، ولولا تراجع الداي عن ذلك والسماح له بالبقاء، كذلك مسألة سحب القنصل ديبورديو بعد اتهامه بمساعدة هروب الأسرى[1].

وبالنسبة لتطور نوع الهدايا وزيادة قيمتها المادية بين القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، يمكن الإقرار أن طبيعة اختلاف تقديم الهدايا وقيمتها المادية قد أصبح لها رمزية وتطورت أكثر بين القرنين المذكورين سالفا، فضعف البحرية الجزائرية في المقام الأول تركها تعتمد بشكل كبير على الهدايا الإلزامية خصوصا بعد نقص عوائد القرصنة البحرية فلم تعد تقدم إلا مع اعتماد كل قنصل جديد، بل دأب القناصل ودولهم على إرسالها في كل مناسبة، حتى أن الهدايا قدمت في مناسبات الختان والزواج، وقدمت لزوجة الداي للضغط عليه في مسائل العلاقات مع الدول ومنها فرنسا تحديدا[2]، كما عرفت أيضا قيمة الهدايا الأوروبية ومنها الفرنسية تطورا ملحوظا بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، بحيث يعود ذلك إلى التنافس الشديد بين قناصل الدول والمبعوثين في التقرب أكثر إلى أصحاب مراكز القرار في الإيالة، فلم تعد الهدايا التقليدية تلبي رغبات السلطات في الجزائر، كالشراشف والمحليات والألبسة، بل تعدى ذلك إلى طلب المزيد من الأموال.[3]

لقد فرض على القناصل خلال القرن السابع عشر ومنهم الفرنسيين بالتحديد تقديم هدايا إلزامية عند وصولهم إلى إيالة الجزائر[4]، حيث وصلت قيمتها في البداية إلى خمسة ألاف جنيه بعدها ارتفعت إلى مبلغ 6.400 جنيه في سنة 1742م، و13.000 جنيه سنة 1763م، ثم 18.500 جنيه سنة 1791م و60.000 جنيه سنة 1794م، و80.000 جنيه سنة 1805م، وتواصلت صعودا حتى بلغت

---

[1] ينظر:

H De Grammont, relation…(1664-1690), p228.

Plantet, T2, op cit, p371.

[2] Emerit Marcel, "Voyage de la Condamine à Alger 1731", **in RA**, 1954, p378.

[3] Jean-Baptiste Labat, **Mémoire du chevalier D'arvieux**, Le Fils Librairies, Paris, M. DCC. XXXV, p88.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر**، المرجع السابق ، ص 70.

160.000 جنيه سنة 1811، وبعد ذلك وبحدود سنة 1816م وهي السنة التي حدثت فيها حملة اللورد إكسماوث، شهد تراجع في قيمة الهدايا حيث بلغت 130.000 جنيه، وكانت هذه الهدايا تقدم إلى الداي وكل فرد نافذ في الإيالة[1].

ومما لاحظناه ونحن نسرد قيمة الهدايا المقدمة للجزائر، أن فرنسا بدأت في التقليل من قيمة الهدايا وخاصة بعد حادثة 1816م، مما يعطينا انطباع عن بداية التملص من هذه الهدايا الإلزامية، حيث لم تعد الإيالة صارمة مثل السابق في طلب الهدايا، مما يحال إلى تغيير موازين القوى، كما يصفها المؤرخ حنفي هلايلي، بأن الهدايا أصبحت مجرد هدايا دبلوماسية وترضيات مالية تقدم للداي وأعوانه، وهذا ما يبين حالة التراجع بمداخيل الإيالة المالية، خصوصا في الربع الأخير من عمرها[2].

كذلك شهدنا ارتفاع قيمة الهدايا المقدمة لحكام الجزائر وأصحاب القرار، وهذا بعد استرجاع الإيالة لمدينة وهران سنة 1792م، فنلاحظ أن اسبانيا قدمت هدايا بقيمة معتبرة وصلت إلى 1200000 ريال مقدمة لبضعة رجال فقط من حاشية الداي، كل هذا في سبيل الحصول على بعض الامتيازات التجارية ونحن نعرف أن المنافسة كانت على أشدها بين الدول الأوروبية[3]، كذلك دخول الولايات المتحدة الأمريكية على محور العلاقات مع إيالة الجزائر والمشهود بغناها بالموارد الطبيعية والمعادن النفيسة زاد من قيمة الهدايا المقدمة، حيث جاءت العلاقات متأخرة نوعا ما على باقي دول أوروبا، لكنها بفعل ثرائها كانت تبحث عن موضع قدم لدى إيالة الجزائر، إما لأمن وسلامة سفنها أو لكسب معاملات تجارية جديدة[4].

---

[1] Plantet, **correspondance**, op cit, p 113.

[2] حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ**...، المرجع السابق، ص 120 .

[3] Louis cara, **Les Espagnols en Afrique, les relations politiques et commerciales avec la régence d'Alger de 1786- 1830**, Université de Bordeaux III, thèse doctorat 3eme cycle, dactylograhiee etude iberiques,1974, p65.

[4] Plantet, op cit, p56.

لم تعد الهدايا كالسابق تقدم للداي وللحاشية المقربة منه، بل اتسعت حتى شملت مفتش الحرس ومسؤول مطابخ القصر والبوابون ومسؤول البنائين وحلاق الداي وقائد الزبل(مسؤول تنظيف الشوارع)، وحراس العبيد، وهذا ما يفسر تدهور حالة الإيالة، حيث أصبح الكل يطمع في الهدايا ولم يعد هناك قانون مخصص يفصل في من يحق له الانتفاع بهذه الهدايا[1].

المبحث الثاني: القناصل ومسار الاتفاقيات والمعاهدات:

تُعتبر فرنسا الدولة الأوروبية الأقدم في علاقاتها مع الجزائر خلال الفترة الحديثة مقارنة بباقي إيالات المغرب، والأكثر عقدا لمعاهدات السلم والتجارة معها، والأمة الأكثر تبجيلا والتي تتمتع بحق الأفضلية[2]، قد كانت فرنسا عند عقد أي من هذه المعاهدات أو تجديدها عقب القطيعة، توفد مبعوثا خاصا، أو توكل هذه المهمة لقنصلها بالجزائر، فمنذ القرن السابع عشر(17م)، رأينا القنصل لوفاشي(Le Vacher) وهو يفاوض حول شروط السلم عقب حملة دوكين- Duquesne الأولى سنة 1682م، والمفاوضات بهذا الشأن فهي من مهمة القنصل، ويكون ذلك إذا كان صاحب كفاءة وحنكة في تسييرها لصالح فرنسا[3]، وخلص هذا التفاوض بعقد معاهدة سبتمبر 1689م والتي تمت المصادقة عليها واقرارها عدة مرات،

---

[1] Ibid, p 113.

[2] Mehdi Jerad, "La préséance française dans la régence de Tunis, perçue par le consul suédois Jean Antoine Molinari (1764-1778)", in Mehdi JERAD (dir.), **Le cérémonial dans les sphères politiques et religieuses à travers les âges**, Regroupement Latrach des Livres Spécialisés, (Faculté des Sciences humaines et sociales de Tunis, **Laboratoire Histoire des économies et des sociétés méditerranéennes**, 2017,p505.

[3] Abel Boutin, "Anciennes relations commerciales et diplomatiques de la France avec la Barbarie1515-1830", **étude historique et Juridique**, A Pedone, 1902, p 521.

وكذلك بواسطة جهود المبعوث الفرنسي ديسو–Dusault و القنصل René Lemaire[1]، تم الاتفاق على معاهدة أخرى كما يشير القنصل لومبير إلى ذلك في رسالة مؤرخة في 30 أكتوبر 1691م[2]، ومن جانب القنصل Jacques Durand[3] عمل على توفير النفقات المراد توفيرها لتثبيت معاهدة السلم، وحتى إذا لم يقم القنصل شخصياً بالمصادقة على ابرام المعاهدة أو تجديدها، فإن نواياه الحسنة بغرض تحسين العلاقات، واقرار السلم يدفعه في الكثير من الأحيان إلى مراسلة سلْطاته لحثهم عل ضرورة تجديد المعاهدات وقرارها[4].

وقد قام كل من القناصل انطوان ديرون(Antoine Durand) 1720–1730م، ليون دولان (Leon Delane)1731–1732م[5]، وبونوا لومير (Benoit Lemaire)1732–1735م[6] بنفس

---

[1] روني لومير René Lemaire: أُختير قنصلا لفرنسا في الجزائر سنة 1690م، بطلب من الداي شعبان. انظر:

E Plantet, **Correspondance des Deys d'Alger**, op cit, T1, p288.

[2] H De Grammont, **Correspondance**, op cit, p18.

[3] فيليب جاك دوراند(Philippe Jacques Durand): من مواليد باريس، نصب قنصلا في الجزائر، في 20 فيفري 1698م، من قِبل السيد ديسو وهو تاجر غني من بايون، أسس سنة 1678م شركة ناجحة تعمل في صيد الأسماك والمرجان تابعة لباستيون فرنسا، وعمل على عقد عدة معاهدات مع دول المغرب، و بقي فيليب في هذا المنصب حتى 30 نوفمبر 1705م. انظر:

Albert Devoulx, **Relevé des principaux**, op cit, p365.

[4] H De Grammont, **Correspondance**, op cit, p82.

[5] ليون دولان (Léon Delane): أصله من غويان(Guyenne) ولد على الأرجح في بايون، هو ابن شقيق دينيس ديسو، عين في نهاية القرن السابع عشر مستشار في القنصلية الفرنسية في طرابلس لمدة خمس سنوات، ثم نائب قنصل في كانديا بتاريخ 21 مارس1703م، ثم قنصلاً في كريت من سنة 1708م إلى 1717م، ثم عين في حلب، بعد 1717م غادر ليون مهنة القنصلية واستقر في سنة 1720م كتاجر في الجزائر، حيث ساعد عمه دينيس ديسو في شؤونه، إلى أن عين قنصلاً في 12 جوان 1731م، ثم عاد إلى كريت قنصلا ، بين 1732م و 1735م، عين ثانيا في حلب 4 ماي 1735م براتب قدره 7500 ليفر توفي في حلب 29 جانفي 1742م. انظر:

Albert Devoulx, **Relevé des principaux**, op cit, p370.

[6] بونوا لومير (Benoît Lemaire)هو ابن روني لومير قنصل بالجزائر بين 1690–1697م، عمل مستشارا في القاهرة سنة 1712م، ثم حل محل عمه جان لومير إلى وفاته في 25 ماي 1717م، ثم نائب القنصل في الإسكندرية حتى جويلية 1722م، تم تعيينه قنصلا في كريت 7 سبتمبر 1722م، ثم حل مرة

العمل، وهو المصادقة على اقرار وتثبيت معاهدة 1689م، وتؤكد نصوص المعاهدات ذلك، حيث صادق عليها القنصل انطوان في مارس 1724م، والقنصل ليون في جوان 1732م، وتم اضافة بند لها، أما القنصل لومبير ففي نفس السنة صادق عليها[1].

عمل القناصل على حسن تطبيق المعاهدات، وفي حال وقوع صراع مع حكام الجزائر، كان القنصل يحتج على ذلك ويستشهد ببنود المعاهدات، ومطالبا بالتعويض عن كل ما فقدته السفن الفرنسية أو بإعادة ما أخذ، مثل ما حدث مع القنصل René Lemaire 1690-1697م، حيث احتج أمام الديوان عندما قام مركبان تابعان للجزائر بأخذ قارب فرنسي مع طاقمه، فقد كان محملا بالسلع لمرسيليا، وأيضا عندما قامت سفينة من نوع بريكة Brigantine[2] جزائرية عند ملاقاتها بمركب لكتالانيون يحمل جنودا فرنسيين جرحى، عندها طالب القنصل بتطبيق العدالة، ومثل هذه التصرفات كانت من الأمور التي شكلت محورا مهما في سير العلاقات بين القنصل وإيالة الجزائر، فقد تدفعه المحاولة لحل المشكل بشكل ودي، أو تحريض حكومته على استعمال القوة ضد الجزائر، مما قد يسبب القطيعة والحرب[3].

وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن أن نورد معاهدتين عُقدتا مع السلطات الجزائرية وكان يقف وراء عملية المفاوضات قنصلين من بين العينات التي اعتمدناها في الدراسة؛ الأولى تخص القنصل ديبوا تانفيل والثانية والثالثة فاوض لأجلها القنصل دوفال، وهما كالتالي:

أخرى محل عمه، كلود لومير القنصل السابق في القاهرة، قرر بونوا لومير البقاء في كريت حتى ماي 1724م، تم تعيينه قنصلا في صيدا سنة 1724م، حيث بقي لمدة ثماني سنوات، انضم لقنصلية الجزائر يوم 5 جويلية من عام 1732م. انظر:

H De Grammont, **Correspondance** , op cit, p202.

[1] جمال قنان، معاهدات، المرجع السابق، ص ص 379-382.

[2] سفينة صغيرة، تتميز بالخفة وسرعة الحركة والقدرة على المناورة، أنظر: ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج4، ص 44.

[3] محمد بن سعيدان، **علاقات الجزائر مع فرنسا 1659-1756**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2011-2012، ص 28.

1- معاهدة سلم وتجارة لعام 1801م:

وُقّعت المعاهدة بين الداي مصطفى باشا والقنصل تانفيل المبعوث الفرنسي من طرف نابيلون بونابارت، وكان هدفه أن ترجع العلاقات السياسية والتجارية كما كانت عليه من قبل، وقد نجح في ذلك وتم الاتفاق على توقيع المعاهدة في (1801 م)، التي اشتملت على تسعة عشر بندا، جاء في البند الأول إعادة العلاقات الودية بين الدولتين، وتثبيت ما سبق من المعاهدات الخاصة بالملاحة والتجارة، ودخلت المعاهدة حيز التنفيذ المتعلق بالمؤسسات الافريقية، وفي المادتين السابعة والثامنة من المعاهدة يمنع استرقاق الفرنسيين في مملكة الجزائر مهما كانت الظروف والأسباب، كما نص الاتفاق على ارسال مبعوث إلى فرنسا بصفته سفيرا، وهذا ما أكده البند الأخير التاسع عشر، وذلك لرغبة القنصل الفرنسي الذي ألح على هذا الطلب، وقبلت الجزائر هذا الاتفاق لإعفاء الوكالة من دفع الإتاوة لمدة سنة، وفي إطار هذا الاتفاق حرص القنصل على الحصول على تسهيلات خاصة بتصدير القمح إلى فرنسا، فلقد طلب رفع حصة التصدير المرخص للامتيازات من خمسمائة إلى ألف قفيز في السنة، ومنح تسهيلات للحصول على كمية اخرى من القمح، لكن واجه القنصل صعوبات في اقناع السلطات الجزائرية بقبول هذه المطالب، لكنه كان مقتنعا بأنه سوف ينجح في مسعاه عندما يقدم الهدايا الموعودة للمسؤولين[1].

2 -معاهدة اقتصادية لسنة 1817م:

استغلت فرنسا النزاع الواقع بين الجزائر وانجلترا، فاغتنمت هذه الفرصة وقامت بإرسال القنصل الفرنسي دوفال للتفاوض مع الإيالة، وتمكن هذا الأخير من ابرام معاهدة مع الداي عمر بن محمد والملك الفرنسي لويس الثامن عشر، وقد منحت لفرنسا الامتياز كما في المعاهدة السابقة، وهذه المعاهدة تختلف عن معاهدة 1695م، والتغيير الوحيد الذي طرأ على هذا العقد هو ذلك الذي يتعلق بمبلغ اللزمة الذي

[1] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق ، ص236 .

حدد في هذا الاتفاق الجديد بـ: 60 ألف فرنك تدفعها فرنسا للجزائر، كما أمرت بعدم تسليح الحصن وفق نص الاتفاق على أن يتم دفع قنطارين من المرجان، قنطار من النوع الجيد إلى الداي، و قنطار آخر من النوع المتوسط لباي قسنطينة، ولقد استطاع القنصل الفرنسي بيير دوفال استغلال هذه العلاقة بأن يقنع الداي علي خوجة بالغاء البند الإ"ضافي الذي أُلحق بمعاهدة الامتياز لاستغلال الباستيون[1].

3 –معاهدة تجارية لعام 1820:

تعتبر هذه المعاهدة الأخيرة التي تربط الجزائر بفرنسا في إطار العلاقات التجارية وخاصة التي أبرمت بين الداي حسين والملك لويس الثامن عشر، فقد كان القنصل دوفال وسيطا فيها، حيث توصل الطرفان إلى اتفاق يوم 26 جويلية 1820 م جاء فيه ستة بنود تقضي بإعادة العمل بهذا الاتفاق والذي يدفع لخزينة الجزائر مبلغ: 12.500 بطاك[2]، وهو ما ينتج عنه في العام:75.000 بطاك، كما يعطى للخزينة قنطارين من المرجان، واتفقا على شراء السلع من شمع وجلود وأصواف، إذ يستطيعون شراء 500قفيز حسب السعر المتفق عليه، ولن يكون في مدينة القالة، وجيجل وكلاء فرنسيين، ولن تستطيع السفن الشراء من مدينتي القالة وجيجل، كما أن البضائع التي تخرج من المدينتين لا يجب بيعها إلا للفرنسيين، وإذا تدخل طرف آخر غيرهم فإن الدفع يرجع للخزينة، كما حرص وأكد الطرف الجزائري في هذا الاتفاق على عدم السماح لإدارة الباستيون الالتزام بإقتناء أكثر من ثلاثة إلى أربعة محلات في مدينة عنابة فقط، كما منع أصحاب مراكب الصيد من اقتناء محلات بأسمائهم تحت أي شكل كان، ومن جهتها فإن باريس صادقت على هذه التسوية بدون تردد[3].

---

[1] نفسه، ص250 .

[2] بطاك شيك: وهي عملة أساس كل تعامل مالي في الجزائر العثمانية متعلقة بالوحدة الحسابية والتي تعني باللغة التركية الدرهم الأبيض ويطلق عليها الإغريق لفظ الاسبروس Aspros، وبالدارجة الجزائرية عرفت بلفظ بدقة شيك، انظر: ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي**، المرجع السابق، ص 192.

[3] جمال قنان، **معاهدات**... ،المرجع السابق ، ص 251.

والجدير بالذكر أن المفاوضات بين الجزائر وفرنسا الواقعة في سنة 1817م حول منح الامتيازات لحصن الباستيون، وبعد أن كانت من نصيب انجلترا لفترة من الزمن، أصر القنصل الفرنسي دوفال خلال المفاوضات على أن اتفاقيات السلم التي أبرمتها فرنسا مع الإيالة الجزائرية قد منحت لفرنسا الحق الأبدي والذي لا رجعة فيه لحق امتلاك كل الامتيازات الاقتصادية بالجزائر، لكن وللوهلة الأولى رفض الداي هذه الحجة بشكل قاطع مدعيا أن حكومته وعند مراجعة المعاهدات القديمة والتي أكدت أن فرنسا ليس لها حقوق مطلقة في التنازلات، والتي برهن عليها كذلك من خلال أحد أسلافه الدايات قد وقع اتفاقا سابقا مع الانجليز عام 1807 م يقضي بحق امتلاكهم الامتيازات منذ هذا الاتفاق، وبسبب ذلك رفض القنصل ديبوا تانفيل دفع 50 ألف قرش سنويا، وبتاريخ 26 أكتوبر 1817م وافق الداى بمقتضى معاهدة تجارية جديدة أعادت الامتيازات إلى فرنسا وحسب الشروط التي نصت عليها معاهدة 1790م، بعد هذا الاتفاق أسندت العلاقات الفرنسية الجزائرية إلى إطارين قانونيين: أولها معاهدة 1801م حيث استمرت في تحديد شروط الحرب والسلم، في حين أن جميع القضايا المتعلقة بتنظيم الامتيازات وفقا لمعاهدة 1817م، والتي في الواقع أعادت التأكيد على اتفاقية 1790م كما عمدت فرنسا على اقتناص الغموض القانوني الذي انبثق عن هذا الاتفاق الجديد في إطار العمل، وسرعان ما بدأ القنصل دوفال بالإصرار على اعادة نشاط حركة الامتيازات الفرنسية[1].

وعند تولى حسين باشا السلطة في مارس 1818م، استغل دوفال هذه التطورات من أجل تعزيز مطالبه الاقليمية وتحديدها بشكل أفضل حول الباستيون في الشرق الجزائري، حيث مثّل موضوع الخلاف الرئيسي، وقد حاول القنصل دوفال اقناع الداي علي باشا أنّ المعقل كان أرضًا فرنسية منذ عام 1520م بينما كان الجيش العثماني قد وصل إلى الساحل فقط في عام 1528 م، وعلاوة على ذلك أوضح دوفال

[1] Pierre Deval au ministre des Affaires étrangères, Alger, 27 septembre 1817 : AMAE, Alger/43, f 177v.

لحسين باشا عام 1819م أن عددا من القلاع الساحلية للصيد المرجاني كانت ملكية فرنسية منذ توقيع المعاهدات مع الأتراك العثمانيين وبين الحكومة الفرنسية والقادة العرب المحليين[1]، وكرر لأول مرة الحجج التاريخية والقانونية الفرنسية لحيازة المراكز التجارية بالشرق الجزائري ومسألة الدفاع عنها، مع الأخذ بخطة دوفال، اقترح التقرير خيارين محتملين: مستقبل استعماري أو مستقبل تجاري، وكان على دوفال أن يقوم في عام 1824م باتباع سياسة عدوانية أدت إلى تقويض المصالح الجزائرية والانجليزية دون أن تؤدي إلى فتح صراع محتمل وهو يشير إلى عدم احترام الداي للحقوق الفرنسية، وحال التوازن الهش للغاية دون اندلاع الحرب أواخر عشرينيات القرن الثامن عشر وأوائل عشرينيات القرن التاسع عشر إلى حد كبير، وذلك بسبب اتفاقيات عام 1801م؛ والتي وفرت ما يكفي من الاستقرار والفوائد لكل من فرنسا والجزائر، كما احتفظت الحكومة الفرنسية بجميع المكاسب التي حققها القنصل تانفيل[2]، وأبرزها حرية الملاحة للسفن الفرنسية وإلغاء الرق للمواطنين الفرنسيين، ومن جانب آخر قام الداي بجمع الأقساط السنوية من فرنسا واحتفظ بحق الاستيلاء على سفن الدول التي كانت تُعد من الدرجة الثانية والتي تفتقر إلى معاهدة سلام مع الجزائر، اضافة إلى التوترات القائمة مع القنصل الانجليزي، الذي اعتمد أيضا على استراتيجية عدوانية، وعمل على زيادة نفوذه بشكل تدريجي على حساب دوفال وعلاوة على ذلك اختفى خطر التهديد بالحرب كانوع من الترهيب للداي، كما كانت العادة قبل عام 1815م، واعتمد الداي بشكل أساسي على المنافسة الفرنسية الانجليزية في محاولاته للحفاظ على بعض المكاسب[3]، ونستنتج مما سبق

---

[1] Dzanic Dzavid, **The Civilizing Sea:The Ideological Origins of the French Mediterranean Empire, 1789-1870**, Doctoral dissertation of history, Advisor: David Armitage, Harvard University, Graduate School of Arts & Sciences, 2016, p202.

[2] Pierre Deval au ministre des Affaires étrangères, Alger, 28 décembre 1819 : AMAE, Alger/45, f83r.

[3] Pierre Deval, ibid, /45, f 80r.

أن من بين القناصل الذين تناولتهم بالدراسة يجيدون فن التفاوض وخصوصا فيما يتعلق بالاتفاقيات الثنائية أو معاهدات الامتيازات الاقتصادية، غير أن اتقان هذه الصلاحيات وتحقيق أهداف السلطة التي يرجع إليها القنصل في كل مرة، كانت تختلف من قنصل إلى آخر حسب تكوينه وكفاءته وبحسب شبكة علاقاته، غير أنه لا يمكن استيعاب الأدوار المتشعبة للقناصل دون التركيز على أدوارهم التجارية وتنصيبهم كوسطاء بين نظرائهم من التجار وبين سلطة بلد الاستقبال.

المبحث الثالث: القناصل والدور التجاري

1: حماية المصالح التجارية لتجار مرسيليا:

ترجع العلاقات التجارية للجزائر مع فرنسا إلى العلاقات المتجذرة مع مرسيليا منذ القرون الوسطى، ففي القرن الرابع عشر(14م)، كان للمرسيليين في ميناء بجاية قنصلا ومستودعا للسلع، وكانوا يهدفون لاحتكار التجارة المغاربية[1]، ولما دخلت الجزائر ضمن ممتلكات الدولة العثمانية تدعمت هذه الروابط وحصل الفرنسيون على امتياز يسمح لهم بصيد المرجان من السواحل الشرقية للجزائر، وهو ما يبين أن المصالح التجارية للفرنسيين في الجزائر كانت في المقام الأول[2].

لذلك سعت فرنسا للحفاظ على امتيازاتها، وأسبقيتها في المنطقة أمام منافسيها من القوى الأوروبية، وخاصة منهم الانجليز الذين ارتادوا سواحل البحر المتوسط منذ القرن السادس عشر، ومن ثم فقد كان على القناصل الفرنسيين ألا يدخروا جهدا في سبيل ذلك، لقد اختلفت طريقة ودرجة حماية المصالح التجارية من قنصل لآخر[3]، ففي سنة 1800م واثر اقرار الداي مصطفى بإغلاق المؤسسات التجارية الفرنسية عقب الحملة الفرنسية على مصر، وهو قرار كان له الأثر البالغ على الاقتصاد

---

[1] F Élie de la Primaudaie, " Le commerce et la navigation de L'Algérie ", **Revue Algérienne et coloniale**, Libraires Hachette et Cie, Paris, No2, 1860, p 155.

[2] محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية**، المرجع السابق، ص 129.

[3] H De Grammont, **Correspondance**, op cit, p18.

الفرنسي، وشعر القنصل دیبوا تانفیل بتأثیر هذا الحدث فراح یبحث عن حلول للأزمة التي حرمت الشركات الفرنسية من حبوب الشرق الجزائري وعرضت العديد من الفرنسيين للبطالة وللمجاعات، عندها انتقل القنصل دیبوا تانفیل إلى قصر الداي للتفاوض باسم الجمهورية الفرنسية، لكن رغم دهائه لم يتوصل إلى نتيجة ايجابية إلا بعد تحسن الظروف العامة مع فرنسا[1]، بعد ذلك تم تحقيق السلم بين فرنسا والجزائر حيث تحقق سنة 1802م على يد القنصل دیبوا تانفیل، فقد وقّع هذا الأخير مع الداي مصطفى باشا معاهدة تشتمل على تسعة عشر بندا أعادت العلاقات السياسية والتجارية إلى سابق عهدها وقد خصصت أربعة بنود لاسترجاع المؤسسات بنفس الشروط التي كانت قائمة قبل الحملة على مصر، وعمد القنصل إلى اتفاق يحدد التعويضات عن كل ما أخذ من هذه المؤسسات، مع تحديد المبالغ التي فرض على فرنسا دفعها مقابل استئجارها لموانئ الشرق في الفترة التي توقف فيها نشاط الوكالة، وجاء في البنود أيضا أن الداي ترك للوكالة إتاوة سنة كاملة تعويضا عن الخسائر التي منيت بها[2].

وخلال تولي القنصل دوفال مهام القنصلية بإيالة الجزائر وما نجم عنه من تصرفات غير لائقة، أتت الأوامر من الحكومة الفرنسية لجميع الفرنسيين وبما فيهم السيد باري وأعوانه بأن يرحلوا عن الجزائر ريثما يتم الاتفاق بين البلدين، وهنا اغتنم الديوان هذه الفرصة، فأرسل الأغا بن الحفصي إلى عنابه ليهدم جميع المباني التابعة للوكالة، وهكذا أرغم باري على الخروج من مؤسساته قبل انتهاء آجال العقد[3].

---

[1] A Devoulx, **Armistice illimité conclu entre son excellence Mustapha pacha Dey d'Alger et le citoyen Charles François Dubois thain ville**, les archives du consulat général de France à Alger, recueil de document inédits, bastide, Alger, 1865, p 138.

[2] ANP, AE, B3/ 301, **Mémoire sur l'établissement de la compagnie royale d'Afrique, Marseille**, 1817.

[3] A C H M FIX, **Dossier Algérie avant 1830**, registre de délibérations de la chambre de commerce N°20, lettre de M joseph paert aux Ministres de l'intérieur et des affaires étrangères, Marseille le 3 juillet 1827.

وأمام فترة السلم الطويلة بين الجزائر وفرنسا، والتي يمكن القول أنها امتدت من1689 إلى 1798م، وفي ظل الظروف الدولية وتراجع نشاط البحرية الجزائرية في القرن الثامن عشر(18) والحروب التي خاضتها فرنسا خلال هذا القرن[1]، فقد شكل النشاط التجاري معبرا حيويا للطرفين، خاصة تجارة القمح، فالجزائر سمحت بتصدير القمح بصورة رسمية قصد تموين فرنسا منذ سنة 1714م[2]، وأصبحت فرنسا تتزود بمادة القمح بانتظام خاصة مناطقها الجنوبية[3].

حرصت فرنسا أيضا على حماية تجارها وتجارتها من خلال قيام قناصلها بالتدخل لحل المشاكل المتعلقة بذلك، ومنها الحادث الذي تعرض له تاجر فرنسي عندما اتجه شرق بجاية للتجارة حيث تعرض له الأهالي فقتلوه برفقة ستة من طاقمه، وبتدخل القنصل Clairambault لدى الداي وآغا بجاية تمكن من تسريح بقية طاقم المركب بعدما دفع 492 بياستر وستة ريالات[4].

كما تتضمن بنود المعاهدات حق القنصل في رعاية التجار الأحياء، بل حتى الأموات منهم، حيث تشير المعاهدة السابقة الذكر: "... لا يلزم القنصل المعني بتسديد ديون التجار الفرنسيين ما لم يتعهد بذلك كتابة، وإذا ما توفي فرنسي في هذه البلاد، فإن أمتعته تسلم للقنصل الذي سيحتفظ بها على ذمة من لهم الحق فيها..."، و من الملاحظ أن هذا يحمي أيضا القناصل من التجار أنفسهم في حال فرار،

---

[1] عرفت أوروبا حروبا في القرن الثامن عشر منها حرب الوراثة الإسبانية (1702-1713)، حرب الوراثة النمساوية (1740-1748)، وهي التي أضعفت فرنسا في البحر المتوسط، وحرب السبع سنوات بين فرنسا وإنكلترا (1756-1763). انظر:

Aurlien Fayet-Michelle Fayet, L'Histoire **de France, 2ème Edition, Groupe Ayrolle**, Paris, pp 117-167.

[2] عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية**، المرجع السابق، ص 115.

[3] Ali ilsmet Touati, **Le commerce du blé entre la Régence d'Alger et la France de 1559 à 1830**, Thèse Doctorat de histoire, sous la direction: Alain Blondy, Universités Sorbonne, Paris, 2009, p4.

[4] الرسالة مؤرخة في27 جوان 1716، أنظر:

H De Grammon, **Correspondance**, op cit, pp 133-132.

أو وفاة أحدهم وفي ذمته ديون1، كما ينبغي التنويه في هذا الاطار بأن القناصل كانوا بمثابة الوسيط المبجل لخدمة مصالح تجار بلده، وفي هذا الاطارنطرح التساؤل التالي: فكيف ساهم قناصل فرنسا في تيسير الصفقات التجارية للفرنسيين المقيمين بالجزائر؟ وهل اشترك القناصل الفرنسيون مع تجار فرنسيين في ابرام بعض الصفقات التجارية؟

نعم يعود تواجد التجار المرسيليين حسب ما ذكر كريون(Grillon)، إلى القرن السادس عشر أي بين سنتي 1578-1582م، وكان عددهم يقدر حينذاك بحوالي أربعة وخمسون تاجرا[2]، كما أكد كذلك هايدو أن النشاط التجاري بمدينة الجزائر ومدن الشرق الذي أنفرد به التجار المرسيليين[3]، لكن عددهم شهد تناقصا خلال القرن السابع عشر، وهذا يعود إلى الحكومة الفرنسية نفسها حيث عملت للحد من عدد تجارها خارج حدودها ومن الشروط التي فرضتها الغرفة التجارية بمرسيليا للإقامة في بلد ما أن يصل التاجر إلى سن الخامسة والعشرين مع منحه ترخيص خاص من الغرفة بمثابة شهادة اقامة، أما بالنسبة للمعاهدات الخاصة بالسلم والتجارة فلم يكن القناصل وحدهم من يعقد هذه المعاهدات، فنجد أن معاهدة 17ماي 1666م عقدت بين التاجر أرنوا بتكليف من الملك لويس الرابع عشر مع حكام إيالة الجزائر، حيث تم اعتماد نظام الجوازات مع عدم جواز أسر رعايا البلدين، مع اطلاق جميع الأسرى إما بالتبادل أو الافتداء[4]، ومعاهدة أخرى عقدها أرنوا كذلك بتاريخ 22 مارس 1670م[5]، ومن أمثال التجار المرسيليين نذكر:

---

[1] جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص 361.

[2]Grillon Pierre, "En Marge d'un manuscrit du XVI[ème] siècle", **in Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb**, 1966, N° 1, **p** 52-74 .

[3] Haedo, **Topographie**, op cit, p 90.

[4] Delphin G, "Histoire des pachas d'Alger de 1515 à 1745", **in Journal Asiatique**, 1925, pp 1- 15.

[5] Abel Boutin," Anciennes relations , op cit, p337

-ماركوان قاسبار(Marcuin Gaspard) من مدينة إكس أستقر بإيالة الجزائر لمدة 17سنة بدون انقطاع من 1718 إلى 1735م.

-بورنو دنقلبار(Bruno Denguelliére) أستقر من 1734الى 1749م، وسنة 1741م اشترك مع التاجر بيار إكارد في العديد من الصفقات التجارية.

-التاجر جيمون (Gimon)الذي أستقر في الجزائر في سنة 1749م وقام بعدة صفقات تجارية مربحة وتحصل على احتكار تجارة الشمع والجلود والزيت.

-مايفرن بيار جوزيف(Maifrun pierre joseph) أستقر بالجزائر بين سنتي 1752-1794م والذي كانت له صداقات متينة مع داي الجزائر آنذاك[1].

وبالنسبة لمساعدة القناصل الفرنسيين للتجار الفرنسيين فهذا واضح من خلال المعاهدات التي يبرمها القناصل، ومثال ذلك ما قام به القنصل دارفيوا محاولا تجديد اتفاقيات جديدة مع الجزائر وهذا عندما تعمد أرنوا عدم مساعدة الشركة بمرسيليا فوجه تجارته كلها مع الليفورنيين والجنويين، والقنصل فاللير كان شديد الاهتمام بعقد اتفاقيات تخدم المصالح التجارية لبلاده؛ حتى أنه قال أن تجارة المرجان وحدها كافية لضمان الربح، كما لا ننسى الدور الذي لعبه القنصل ديبوا تانفيل عند عقده لاتفاقية 1801م لتجديد وعود التجارة وهذا بعد انقطاع دام لفترة محدودة[2].

أما بالنسبة لمسألة النزاع بين شخص فرنسي وأخر جزائري فإن القنصل في هذه الحالة لن يكون القاضي، ولكنه سيكون بمثابة محامي الدفاع عن هذا الفرنسي الذي هو تحت حمايته، هذا ما نصت

---

[1] Devoulx A, **relevé des principaux**, op cit, p 368.

[2] عدد المعاهدات التي أبرمت بين الجزائر وفرنسا خلال القرن 17م بلغ سبعة عشرة معاهدة، منها ستة معاهدات تتعلق بالشؤون السياسية والتجارية، وإحدى عشرة معاهدة تخص المؤسسات التجارية بالشرق الجزائري، أنظر: عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية**، المرجع السابق، ص 196.

عليه معاهدة 1689م، وأكده لوجي دوتاسي– Laugier de Tassy في حدود 1725م عند زيارته للجزائر[1].

كما عمل القناصل أيضا على حماية التجارة الفرنسية من التجار الفرنسيين المحتالين، حيث يورد القنصل Jean Baume في احدى مراسلاته المؤرخة في 16 أوت 1717م: "...أعلمكم سادتي أن المدعو بيليسيي–Pélissier مدير فندق السيد كليرومبولت– Clairambault يقوم هنا ودون علم سيده بالتجارة العامة في كل ما يقع تحت يديه، وخاصة الاقتراض بنسبة 2 و3 % للشهر وهو أمر لا يشرف الفرنسيين، أرجو أن تتخذوا الاجراءات اللازمة لمنعه من العودة ، أو القيام بأي نشاط تجاري ثانية..."[2]، وهذا ربما لتجنب الوقوع في المشاكل وتدهور العلاقات، وبالتأكيد أن مثل هذه الحوادث حثت الفرنسيين على منح الحق لقناصلها بتوقيف وترحيل كل فرنسي مقيم في الشرق عند ارتكابه خطأ يضر بالمؤسسات الفرنسية هناك، أو يثير الفوضى وهذا حسب مرسوم 3 مارس 1781م[3].

ولا يمكننا هنا الحديث عن القناصل و دورهم في التجارة دون الاشارة إلى أن بعض القناصل في حد ذاتهم كانوا تجارا في القرن 18م، وإذا عدنا قليلا إلى الوراء نجد أن القناصل الفرنسيين في الشرق وبلاد المغرب كانوا في الأغلب تجارا[4]، ولكن مرسوم البحرية لعام 1681م والذي احتل فيه التنظيم القنصلي الجزء الأكبر[5]، نص على منع القناصل من ممارسة التجارة، وذلك تدعيما للحصانة الشخصية للقنصل،

---

[1] Denise Brahimi, **Opinions et Regards des Européens sur le Maghreb aux XVII et XVIII ème siècle**s, édition et de diffusion, Alger, 1978, p129.

[2] H De Grammont, **Correspondance**, **op cit**, p 143.

[3] R Monnet, **Manuel diplomatique et consulaire**, Berger– Levrault et Cie Edition, Paris, 1905, p 43.

[4] Anne Mézin, **La fonction consulaire dans la France d'Ancien Régime**, p 24.

[5] عبد العزيز العبيكان، **الحصانات والامتيازات الدبلوماسية والقنصلية في القانون الدولي**، العبيكان للنشر، السعودية، 2007، ص 286.

ومع ذلك فإن بعض القناصل استمروا في ممارسة هذا النشـاط، ولو بطريقة غير مباشرة خلال القرن 18م[1]، كذلك لم تكن العلاقات بين القنصل والتجار الفرنسيين دائما على وفاق، ففي العديد من المرات كان القنصل يتعرض لشكوى من طرف التجار ضده.

ويمكن رصد أو تعقب تنافر العلاقة بين التجار والقناصل في عديد الفترات وخصوصا من حيث اختلاف طائفة القناصل المتواجدين في الجزائر العثمانية خلال مدتهم النيابية ، فنجد أن القناصل العلمانيين (لا دينيين) دائما ما كانوا محل ترحيب من التجار، فهم تجار بالدرجة الأولى وما يهم التجار يهم مصلحتهم أيضا، فأعمالهم القنصلية لا تمنعهم من العمل بالتجارة ولو في الخفاء أو عن طريق الوسطاء كاليهود مثلا أو الدخول في شركات مع تجار أتراك أو فرنسيين. وفي الطرف المقابل و في حال تعيين قناصل من الطائفة اللازرية فهذا يعني منع كل مجال مشبوه في التجارة وتكريس المراسيم الملكية بحذافيرها فهم يرون أن بيع العتاد الحربي للأتراك يزيد من مسألة الأسر، وهذا يعني جمع اكبر قدر ممكن من الاموال لعملية الفداء، حيث أن القناصل اللازريين يتولون جمع الاموال من جميع انحاء أوروبا وبصفتهم لا يباشرون الأعمال التجارية فهم يشددون على التجار هذه الاعمال المنافية للسلم والأمن الدوليين، وربما مثال ذلك ما لاحظناه عند القنصل دارفيوا فقد جاء في مهمة محددة، ولم يطل به البقاء، فلو كان يهتم بالتجارة لفضل البقاء مثل أقرانه كالسيد مايفرن وغيره من الدبلوماسيين من طال به التواجد بالجزائر لمدة تزيد عن العشرين سنة، كذلك القنصل ديبورديوا والقنصل لو فاشي وبعده القنصل بيول، هؤلاء كلهم من الطائفة اللازرية لم تذكر المصادر الفرنسية أنهم أشتغلوا بالتجارة، لهذا كان لا يهمم دعم التجار، بقدر اهتمامهم بفداء الأسرى[2].

[1] Windher christian, **La diplomatie comme expérience**, op cit, p p 38-39.

[2] H De Grammont, **Relation**, op cit, p 187.

ومثال ذلك ما حدث للقنصل Jean Baume، الذي منع تجار بلده من التهريب بدعوى أنها تسبب الضرر لسمعة فرنسا وملكها[1]، وربما يعود هذا لطبعه العنيد والمتشدد، فقد كان كثير الشك في من حوله حتى اتهم موثق القنصلية Durand بالخيانة، لأنه كان يتعاطف مع الجميع، وأمام الشكاوي لم تجد الحكومة الفرنسية بدا من استبداله سنة 1721م[2].

كما كان من واجبات القنصل و نائب القنصل اتجاه تجارهم، إصدار الشهادات الصحية التي تحمل تفاصيل عن الحالة الصحية في الموانئ التي يغادرونهـــا، و هذا حسب المرسوم الملكي لسنة 1730م، كما يمنح القنصل شهادة للسفن التي تدخل ميناء الجزائر[3].

ومما كان يؤثر في العلاقات الثنائية بين الجزائر وفرنسا، هو وضعية المصالح التجارية الفرنسية في الجزائر، إلى جانب طبيعة العلاقات بين الجزائر وباقي دول أوروبا، خاصة انجلترا التي كانت المنافس الأول لفرنسا، فكلما تحسنت العلاقات الجزائرية الانجليزية، ساءت بينها وبين فرنسا، لتصل درجة التأزم مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ومن هنا نطرح التساؤل التالي: هل كان لقناصل فرنسا في الجزائر دورا في خلق هذه المشاكل، أم في البحث عن حلول لها؟

منذ صدور قرار مجلس التجارة في 31 جويلية 1691 كان يُحجّر على القنصل تعاطي أي نشاط تجاري وإلا فإنه يتعرض للعزل. لكن هذه القاعدة لم تكن دائما محترمة من قبل القناصل خلال القرن 18، إذ كان بعضهم يلجأ إلى ممارسة التجارة بصفة مباشرة أو غير مباشرة لأن رواتبهم لا تفي بالحاجة.

وبالنسبة لتعاطي القناصل الفرنسيين التجارة فنجد المبعوث هركولي Herculais، يطلعنا خلال زيارته لمنزل القنصل فالبير، على بعض المعطيات ، فقد وجد به كميات معتبرة من الأخشاب معدة

---

[1] عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ص 469.

[2] H De Grammont, **Histoire d'Alger**, op cit, pp 279-280.

[3] Albert Devoulx, **Les archives**..., op cit, pp 30-31.

للمتاجرة بها وقد تحصل عليها القنصل من خلال غنيمة انجليزية، كذلك من بين الصفقات التجارية التي قام بها القنصل فالبير بيعه حمولة من مادة القهوة تتبع الوكالة الافريقية، كذلك بيعه كميات أخرى من الصوف، كما اشترى غنيمة من مادة الزبيب[1]، وقد برر القنصل فالبير ممارسته للتجارة بحجة معاناته من بعض المشاكل المالية العويصة، ومن هنا كان لزاما عليه امتهان التجارة لكسب الدعم المادي، ليساعده على حل بعض مشاكله، كتقديم بعض الهدايا الثمينة للداي ودفع فدية الأسرى إذا لزم الأمر[2].

كذلك لم يقتصر عمل القناصل على المهام الدبلوماسية والسياسية، ولكن يمكن القول أن حماية المصالح التجارية كانت من المهام الأكثر أهمية في عمل القنصل، وذلك بالنظر إلى أن تأسيس النظام القنصلي في القرون الوسطى يعود لحماية التجارة من جهة، ومن جهة أخرى فإن العلاقات بين الجزائر وفرنسا في بدايتها كانت تجارية، ولكن لا يمكننا الحديث عن دور القناصل في التجارة بمنأى عن العلاقات ومحركاتها، كالهدايا، الدسائس، وتقديم الخدمات. لقد سار الدور التجاري للقناصل الفرنسيين في الجزائر على خطين هما، حماية التجارة والتجار، والعمل على التوسع التجاري[3]، ومثال ذلك ما قام به القنصل فالبير اتجاه الوكالة التجارية بالشرق الجزائري، فقد كان يكتب يوميا إلى الغرفة التجارية بمرسيليا وهو يشيد بعمل مؤسسات الشرق الجزائري ودورها في حماية البلاد الفرنسية من المجاعة القاتلة رغم الظروف الصعبة التي تواجهها، حيث فعلت ما بوسعها لنقل أكبر قدر من الحبوب والشموع والأصواف إلى فرنسا[4]، كذلك بحسب ما قدمته هذه المؤسسات التجارية خدمة لمصالح فرنسا، نجد أن ممثل الوكالة التجارية بعث بتقرير إلى القنصل ديبوا تانفيل جاء فيه أن هذه المؤسسات قد مولت فرنسا خلال فترة

---

[1] AE CC Vol 32 note sur le citoyen valliere consul a Alger le 24 messidor an IV, N° 25.

[2] ACCM série j Art 1372 .

[3] تعود إلى الثلث الثاني من القرن السادس عشر، إذ حصل توماس لنش على حق احتكار صيد المرجان. انظر: عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 158.

[4] ACH M, dossier Algérie avant 1830, Lettre de Vallier à la chambre de commerce en date du 19 juillet 1796.

الحملة على مصر بحوالي 300 ألف قنطار من القمح و40 ألف قنطار من الشعير والفول والحمص، و28 ألف قنطار من الصوف، و880 قنطار من الشمع، و80 ألف قنطار من الجلود[1].

من خلال ما دونه ديغرامون في كتابه العلاقات بين فرنسا وإيالة الجزائر، لاحظنا أنه نوه بفضل القناصل على التجار المرسيليين، فكثيرا ما كانوا يتغاضون عن تصرفات التجار حول بيعهم العتاد الحربي من حبال ومدافع ومجاديف، للإيالة الجزائرية على الرغم من منع ذلك في بنود المراسيم التي يصدرها الملك الفرنسي، لكنهم دائما يصرفون النظر حول هذه التجارة المشبوهة، فقد اعتبرها القناصل دوما مفيدة لكلا الجانبين فهي تعمل على تصريف الفائض من السلع وتسهل في اقتناء السلع التموينية من حبوب وشموع وجلود لفائدة فرنسا، ومثال ذلك ما قام به القنصل فالبير من الاتجار بعديد المواد المشبوهة، فهو بذلك يغض الطرف ويساهم في تسهيل أعمال التجار لجني بعض الارباح من الضرائب[2].

2: بسط النفوذ التجاري بسواحل الجزائر

لقد اقترنت حماية المصالح التجارية الفرنسية بضرورة التوسع التجاري، والتواجد في مختلف موانئ الجزائر، سواء من قبل التجار، أو المؤسسات التجارية الفرنسية، لذلك كان لزاما على القناصل الفرنسيين الاشراف على حماية هذه المراكز من جهة، والعمل على فتح مراكز أخرى، ولكن هذه المهمة لم تكن بالسهلة أمامهم، نظرا للمنافسة الأوروبية القوية في هذا الميدان، خاصة المنافس الشرس والعنيد، والمتمثل في الانجليز، لكن الفرنسيين كانوا الأسبق في تأسيس المراكز التجارية في الجزائر، فالباستيون أول حصن بناه الفرنسيون على الساحل الجزائري يعود بناؤه إلى القرن السادس عشر، وبابرام اتفاق 1694م مع الداي أرتفع عدد المؤسسات إلى خمس وهي: القالة(حصن فرنسا الباستيون)، عنابة، رأس الزهور،

[1] ANP A E B3 310, **Rapport de l'agent principal à M Dubois thain ville**, la calle, le 30 fructudor, an VIII.

2 H De Grammont, Relation, op cit, p 187.

والقل[1]، وتعود أسبقية فرنسا إلى ما منحته لها معاهدة الامتيازات 1536م، في حين لم يتأخر الانجليز كثيرا، فقد سُمح لتجارهم بارتياد موانئ الجزائر في أواخر القرن السادس عشر(16)، واتسعت المنافسة لتشمل هولندا، ثم دول أوروبية أخرى تباعا في القرنين 17 و18م[2]. فكيف كانت مساهمة القنصل دارفيوا في هذا المستوى، هل سعى إلى بسط نفوذ فرنسا التجاري؟

وطالما دافع القنصل دارفيوا عن الحصن واعتبر أن تجارة المرجان وحده كافية لنيل فرنسا ربح وفير وتعويض كل الخسائر السابقة للتجارة الفرنسية، هذا ما أكده القنصل بنفسه عبر رسالة موجهة إلى الوزير كولبير، كما يضيف دارفيوا أن الامتياز هو عبارة عن تفاوض بشأن التجارة والسلم معا، فقبل مجيء القنصل دارفيوا إلى مدينة الجزائر كان الصراع محتدما بين التجار الفرنسيين المساهمين في امتياز الحصن والحاكم العام ارنوا، حيث فرضوا على القنصل دارفيوا تغيير حاكم الحصن الذي لم يعد يشتغل لصالح التجار المرسيليين وغير مساره بالمتاجرة مع الجنويين وفئات أخرى أوروبية[3]، وقد اشتكى مساهمو شركة الحصن التجار المرسليين والذين كانوا يدفعون للقنصل دارفيوا مقابل حل النزاع، من افتقاره مهارات التعامل مع حكام الجزائر، حيث وبخه السيد دي لاتور بسبب عدم التزامه بالضمانات التي فرضها على نفسه، وحسب مذكراته فإن القنصل دارفيوا يتهم التاجر ايستيل بالتآمر عليه مع الديوان[4].

لقد وضحنا أن دور القناصل الفرنسيين في هذا الجانب يتجلى في المحافظة والدفاع على حق الاحتكار الممنوح للفرنسيين، و تكثيف الجهود لتوسيع تواجد التجـار الفرنسيين في أكبر عدد من الموانئ الجزائريـة، حيث طالب القنصل الفرنسي فالليير باعادة ممتلكات مايفرن Meinfrun بالكامل، واعادة

---

[1] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 39.

[2] Godfrey Fisher, **Légende Barbaresque–Guerre, et Piraterie en Afrique du Nord de 1514 à 1830**, Traduit et Annoté par: Farida Hellal, Office de Publications Universitaires, Alger, 2002, p169.

3 Mémoire du chevalier D'arvieux , op cit, pp 57–69

4 Ibid, p146

التأهيل السياسي لفرنسا، في الوقت الذي هدد فيه الداي بطرد جميع المواطنين الفرنسيين في الداخل، إذا لم تتم الاستجابة إلى رغباته من طرف القنصل الفرنسي والمبعوث الجمهوري، لويس الكسندر دركولايس، ثم طلب منهم الاختيار بين تلبية مطالبه أو المخاطرة بفقدان تصدير الحبوب الجزائرية إلى فرنسا، ثم قام أعضاء خارجيون بفحص سلوك فالبير لأنه كان يشتبه في أنه يحمل ضد الجمهوريين وجهات نظر مختلفة مع الداي ومايفرن، لتقويض تمديد القوانين الجمهورية في الجزائر، وهذا سيؤدي حتما إلى عزل القنصل فالبير Vallière مع خسارة كاملة للنفوذ المحلي لفرنسا بإيالة الجزائر[1].

وقد سبق للقنصل فالبير محاولته الحصول على تجارة الشمع والجلود، ففي رسالته المؤرخة في 15 ماي 1691م يقول: "...لا أنتظر إلا أوامركم لأطلب من الديوان الانتفاع بتجارة الجلود والشمع، والتي ليس سهلا الحصول على نفس الامتيازات التي يتمتع بها اليهود..."[2]، وهنا يتضح لنا الأمر جليا و هو العمل على منافسة اليهود، كما طالب في نفس الرسالة بالسماح للسفن الفرنسية بالبيع والشراء في هذه المملكة وكأنها في فرنسا، كما تمكن Durand Jacques من إبعاد منافسيهم الانكليز، الذين قدموا سنة 1699م كمية من الأسلحة ومجموعة من الهدايا للسلطات الجزائرية لأجل ابرام معاهدة سلم جديدة، وللحصول على مزايا تجارية أخرى، لكن القنصل الفرنسي أفشل مساعي الانجليز[3]، وقد أكد القنصل الفرنسي في العديد من المراسلات على ضرورة تقديم الهدايا خدمة للتجارة الفرنسية وتسهيلها، لأن الانجليز يدفعون بسخاء مقابل ذلك[4].

---

[1] Réponse de Vallière: AMAE, Algiers/33, f 52r.

[2] H De Grammont, Correspondance, op cit, p7.

[3] Paul Masson, " Histoire des Etablissements et du Commerce français dans l'Afrique Barbaresque (1560-1793)", **Hachette et Cie**, Paris, 1903, p255.

[4] H De Grammont, **Correspondance**, op cit, p p 62-59.

ويدل هذا على الدور الذي كان للهدايا في إطار تسيير العلاقات التجارية وتوجيهها، خاصة أمام المنافسة، ولكن يبدو أنّ قِدم العلاقات مع الفرنسيين كان يرجح في الكثير من المناسبات كفة الفرنسيين على الانجليز وغيرهم، ربما يعود هذا لكون القنصل الفرنسي له دائما علاقات مميزة مع النافذين في الإيالة الجزائرية، لأن في نظر القناصل، الحاشية تعزز من مكانتهم بين أمثالهم، ومنافسيهم[1].

كذلك لا يفوتني أن أنوه بأن الفرنسيين أدركوا الأهمية التي يكتسبها ميناء وهران في تجارة الحبوب، خاصة وأن الانجليز سبقوهم في ذلك، وحصلوا على حق تصدير الحبوب من وهران بعد تحريرها الأول في سنة 1708م نحو قواعدهم بالمتوسط كجبل طارق، ولهذا طمع الفرنسيون في احتكار تجاري آخر هناك، ولكن الدايات صمموا على أن لا يمتد هذا الاحتكار إلى غرب البلاد2، وباءت محاولات القنصل Clairambault بالفشل حتى في السماح للسفن الفرنسية من ارتياد ميناء وهران إلا إذا اضطرتها الظروف[3]، على الرغم من المحاولات الانجليزية لمنافسة التجارة الفرنسية في الجزائر آنذاك، إلا أن التجارة الانجليزية كانت تعرف تراجعا، رغم جودة منتجاتها مقارنة مع السلع الفرنسية، ذلك أن هذه الأخيرة كانت تتميز بالتنوع، ورخص ثمنها ، ومن باب المقارنة بين الدولة الفرنسية والانجليزية أن المبادلات التجارية كانت غير متكافئة في كثير من الأحيان وهذا ربما لأسباب خاصة لا يعرفها إلا حكام الجزائر[4].

احتل التجار الأوروبيون واليهود مكانة متميزة في التجارة الجزائرية، فقد دخلت السلطة الحاكمة في شراكة تجارية مع اليهود إما كوسطاء موكلين، أو كشركاء، وأمام تزايد نفوذهم داخل الجزائر وحتى في

---

[1] ثريا فاروقي، **الدولة العثمانية والعالم المحيط بها**، ترجمة: حاتم الطحاوي، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2008، ص 128.

[2] Godfrey Fisher, **Légende Barbaresque**,op cit, p374.

[3] H De Grammont, **Correspondance**, op cit, p 119.

[4] علي تابليت، " العلاقات الجزائرية البريطانية 1540-1830"، **مجلة الرواسي**، العدد 7، الجزائر، 1992، ص 37.

موانئ مختلف مدن البحر المتوسط، فقد وجد الفرنسيون أمامهم خصما عنيدا، له الباع الطويل في التجارة منذ القدم، وكان لا بد لقناصل فرنسا في الجزائر، وحفاظا على امتيازاتهم أن يوجهوا جهودهم أيضا اتجاه هذه الطائفة[1].

ومثال ذلك ما قام به القنصل Jean Baume، حيث عمل على التقرب منهم، وكسب ودهم، خاصة وأن الداي محمد أفندي (1717-1723م)، كان يحيطهم بعنايته لما أغدقوا عليه من الهدايا والنقود ولكن سرعان ما انكشف احتيال القنصل عليهم[2].

وقد حذر Baume حكومته منهم، خاصة وأنهم يتاجرون مع مدينة مرسيليا، فكتب رسالته المؤرخة في 19 أفريل 1717م قائلا: "... فإن يهود الجزائر يرغبون في التجارة المباشرة مع فرنسا... وإنني أعلم بأن هناك أوامر ملكية تمنع هذا الأمر، ورغم هذا المنع إلا أن يهود هذا البلد يقومون بأعمال تجارية مع فرنسا وحتى مع مدينة مرسيليا منذ مدة، ولكن بأسماء مستعارة..."، وقد استعمل اليهود الأسماء المستعارة لتجار فرنسيين للتهرب من الرسوم الجمركية، وذلك بمساعدة موثق القنصلية الفرنسية[3].

ويبدو أن Baume كان دائم التتبع للتجار اليهود، فقد سبق وأن حاول إزعاجهم سنة 1714م، أي قبل أن يصبح قنصلا، فقد كان يمارس التجارة، وكتب في هذا الشأن فيقول: "...اليهود يعرقلون كل الصفقات التي تُقام هنا، حتى أنهم يعملون على تجهيز سفن القراصنة..."[4].

كذلك يذكر القنصل فالبير: "... في حالة ما إذا واصل باي قسنطينة تموينه لليهود بالقمح، فإنه يجب علينا أن نعمل كل ما في وسعنا للحصول على القمح مباشرة ومن غير تدخل أي كان..."، ولما أعلنت

---

[1] حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر** دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 19.

[2] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 469.

[3] H De Grammont, **Correspondance**, op cit, pp140-139.

[4] Eisenbeth M, Op.Cit, p 355.

الوكالة الإفريقية إفلاسها بسبب التنافس اليهودي، كتب مديرها قائلا: "... أن الأزمة المالية والديون المتراكمة على الوكالة من قبل اليهود الذين يبحثون بأي صفة عن إبعاد فرنسا عن التجارة في جميع أنحاء الإيالة هي سبب إفلاس الوكالة التام من جميع الامتيازات..."[1].

أمام تزايد نفوذ اليهود، وتراجع التجارة الفرنسية مع الجزائر، أوعز قناصل فرنسا في الجزائر لحكومتهم بطردهم من مرسيليا، وهو ما جعلها تصدر العديد من القوانين في هذا الشأن2.

لا يمكن الحديث عن دور القناصل التجاري دون الإشارة إلى مسألة الجوازات التي كانوا يزودون بها سفنهم التجارية، فكل السفن الفرنسية سواء الحربية أو التجارية تحمل جوازا مستخرجا من الأميرالية، في حين تحمل السفن الجزائرية جوازا مستخرجا من القنصلية الفرنسية بالجزائر، وهذا حسب ما نصت عليه معاهدة 1666م أيضا[3].

والمرجح أن نظام الجوازات في كامل البحر المتوسط مَثّل حلا فعالا للقضايا المثيرة للمشاكل، كحق التفتيش مثلا، وكانت الدول الأوروبية التي لها قنصل في موانئ الدولة العثمانية، تزود سفنها بالجوازات المتجهة لموانئ هذه الأخيرة[4]، وحتى المسافرين كانوا يتزودون بالجوازات حماية لهم من الأَسر، فمثلا الداي طالب عديد المرات من ملك انجلترا أن يمنع مواطنيه من السفر على متن السفن الأجنبية، التي ليس بينها وبين الجزائر معاهدات، وفي الحالات الاضطرارية فإنهم ملزمين بحمل جوازات سفر تعّرف بهم[5].

---

[1] محمد زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830**، دار دحلب، الجزائر، 1994، ص 28.

[2] رحمونة بليل، المرجع السابق، ص 178.

[3] جمال قنان، **معاهدات**، المرجع السابق، ص ص 332-333.

[4] Godfrey Fisher, Op.Cit, p438.

[5] علي تابليت، **العلاقات الجزائرية البريطانية 1540-1830**، مجلة الرواسي، العدد السابع، الجزائر، 1992، ص36.

ولكن المشكل أن مثل هذه الجوازات كانت تخضع للتزوير أحيانا، أو يمنحها القناصل الفرنسيون لسفن الدول المعادية للجزائر، مما يؤدي غالبا إلى التوتر في العلاقات، كما حدث للقبطان جاكومو Jacomo الذي كان يحمل جوازا جزائريا، وعند تعرض الفرنسيين له وتم أسر سفينته، تأزمت العلاقات بين الطرفين، حتى تم رد السفينة بحمولتها[1]، لأن هذا القبطان كان تحت حماية الداي، وهذه القضية كانت مع مطلع القرن الثامن عشر، فقد كان القناصل الفرنسيون يسرفون في تحرير الجوازات، وهو ما أدى إلى تزايد المشاكل من هذا النوع حيث كان لها الأثر البالغ في وضع العراقيل والصعوبات أمام السلم المئوي[2].

3: وساطة القناصل في تحرير الأسرى:

تعد القرصنة في البحر المتوسط إبان العصر الحديث حربا غير معلنة، وغير شاملة، وهي بمثابة حرب استنزاف، ومعرقلة لمصالح الأطراف التي تتبناها، ومن النتائج المباشرة لها ظاهرة الأسر الضاربة منذ القدم، حيث شكلت قضية الأسرى إحدى أهم القواعد في التواصل بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي. ولما كانت الجزائر وفرنسا طرفين في عمليات القرصنة بالمنطقة الغربية لحوض البحر المتوسط، فقد شغلت قضية الأسرى حيزا كبيرا وذلك لحجم العلاقات بينهما، وطالما أعتبرت عملية الأسر قناة من قنوات التواصل بين الجزائر وفرنسا، فقد تداخلت قضيتهم لرسم صورة مختلفة للعلاقات بين البلدين، فنجد سهم عملية افتداء الأسرى وتبادلهم يتصاعد مع السير الحسن للعلاقات، في حين شكل هروبهم عائقا في وجه الدبلوماسية لكلا الجانبين، وقد لعب القناصل الفرنسيون الذين كان من مهامهم الأساسية تتبع حالة الأسرى الفرنسيين في الجزائر[3] دورا مهما في افتدائهم، والتقليل من معاناتهم إلى

---

[1] جمال قنان، **معاهدات...**، ص ص174-176.

[2] Moulay Belhamissi, **Marine et Marins d'Alger 1518-1830**, 3T, Bibliothèque Nationale d'Algérie, Alger, 1996, T3, p33.

[3] جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص 141.

جانب التنظيمات الدينية[1] التي تقوم بمثل هذه العمليات، ويعتبر القنصل الفرنسي هو الحامي غير الرسمي لرجال هذه التنظيمات[2].

3-1: القناصل وافتداء الأسرى:

كانت عملية تحرير الأسرى تتم بثلاث طرق، الأولى: افتداء الأسرى ميسوري الحال لأنفسهم، والثانية: عن طريق التنظيمات الدينية للافتداء، والثالثة: افتداء الأسرى الفقراء عن طريق التبادل بين الدولتين، و كان للقناصل دور في ذلك، إما بالتدخل مباشرة، أو بمساعدة هذه التنظيمات التي تتصل بالقناصل حين وصولها إلى الجزائر[3].

لقد نصت المعاهدات المبرمة بين الجزائر وفرنسا على تكفل القنصل الفرنسي بإجراءات الافتـداء، فالبند الحادي عشر من معاهدة 1689م، يشير إلى أحقية قنصل فرنسا في افتداء كل ارقاء فرنسا، الذين يجلبون إلى الجزائر بعد أسرهم من طرف أعداء فرنســا، و نفس الاجراء يُتبع في حالة أسرى الجزائــر في فرنسا[4].

أما بالنسبة لدور القنصل دارفيوا حول مسألة افتداء الأسرى، فنجده في هذا الجانب يرسل رسائل إلى الوزير كولبير يطلب منه التدخل بصورة مباشرة وسريعة لحل مسألة الأسرى، فالرسالة المدونة بتاريخ 12ماي 1674م يطلب فيها القنصل دارفيوا من الداي تحرير أربعة فرنسيين كانوا على متن سفينة

---

[1] مثل جماعة الثالوث- Les Trinitaires الفرنسية، وجماعة المرسدير- Mercedaires، وجماعة آباء الرحمة. انظر: حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 76.

[2] جون ب وولف، المرجع السابق، ص 217.

[3] Daniel Panzac, "Les esclaves et leurs rançons chez les barbaresques fin de XVIII^{ème} début XIX^{ème} siècle ", **Cahiers de la Méditerranée**, V 65, 2002, p67.

[4] جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص ص 358-359.

برتغالية قد تم أسرهم من طرف قرصان جزائري وبمقابل ذلك عرض على الداي مكافأة مالية جراء تحرير هؤلاء الأسرى[1].

كذلك في رسالة أخرى موجهة إلى الوزير كولبير بتاريخ 23ماي 1674م يخبره فيها أنه ينتظر بفارغ الصبر تحرير ستة وخمسين أسيرا تركيا كانوا قد احتجزوا في كوليوري، حيث تم الاستيلاء على مركبهم من طرف القائد فيندريس، ليتم تقديمهم للداي، حتى يسهل التعامل معه في عدة قضايا منها التجارة على الخصوص وتسهيل عقد معاهدات واتفاقيات سلام مع الجزائر[2].

استغل القناصل فرصة إبرام المعاهدات، أو تجديدها لافتداء الأسرى عن طريق التبادل دون دفع الفدية، مثلما قام القنصل ديبوا تانفيل في محاولة لتحرير الأسرى، فقد انتقد بشدة أعمال القراصنة، حيث قاموا بتوسيع نشاطهم نحو مدينة بجاية، وقاموا بأسر العديد من المواطنين الأوروبيين، لكن القنصل ديبوا نجح في تحرير اثنين من الأسرى الإيطاليين وهما جوزيني فرنسيسكو، وانطونيو سيرينو وكلاهما يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة، و كان قد نسيا الإيطالية وتكلما العربية فقط وهذا من خلال طول مدة أسرهم وإجبارهم على اعتناق الإسلام وتم كذلك ختانهم[3].

على الرغم من إلغاء الرق بشكل رسمي وبموجب المادة الرابعة من معاهدة السلام لسنة1661م وبقدر ما أثر ذلك على "المواطنين" الفرنسيين، فقد ظل نقطة خلاف حاسمة بين حكام الجزائر والأوروبيين بما فيهم

---

[1] **Mémoire du chevalier D'arvieux**, op cit, p 94.

[2] M Touili, **Affaires étrangères. Correspondance reçue du consulat d'Alger (1642-1792)**, Inventaire analytique (AE/B/I/115-AE/B/I/145), F°205-206.

3 رسالة من طرف القنصل ديبوا الى وزير الخارجية تاليران:
Thainville to Minister of Foreign Affairs, Algiers, 5 Messidor 12 (24 June 1804): AMAE, Algiers/37, f 57r.

فرنسا، حيث يمثل أسر الأوروبيين في البحر الأبيض المتوسط مصدرا رئيسا لدخل الإيالة وقد عبر الديوان عن عدم رغبته في إطلاق الأسرى الذين استعادهم القنصل ثانفيل كمواطنين فرنسيين وهو ما أدى في النهاية لمقتل الداي مصطفى باشا من طرف جند الانكشارية في عام 1805م على الرغم من أن الداي الجديد، أحمد باشا قد صادق على معاهدة 1801م بعد توليه السلطة مباشرة، وجادل القنصل تانفيل بأن كل الرعايا الفرنسيين يجب أن يكونوا على الفور محررين، وهنا أمر القنصل تانفيل بزيادة عدد القوات الفرنسية في إسبانيا بشكل كبير في عام 1808 والإصرار بقوة أكبر على تحرير جميع الأسرى الفرنسيين، وهذا أغضب الداي كثيرا، و أمر جميع المواطنين الفرنسيين بما في ذلك تانفيل بالاستعداد لمغادرة الجزائر، وفي مخالفة صريحة لمادة المعاهدة التي منحت الفرنسيين لمدة ثلاثة أشهر للمغادرة في حالة النزاع، وفي 16 فيفري 1808م وصل القنصل تانفيل وعثر على إعلان بباب المنزل القنصلي[1]، مفاده أن جميع المواطنين الفرنسيين يجب أن يغادروا الجزائر، وقبل أيام قليلة من موعد مغادرته المقرر، استقل سفينة حربية فرنسية في ميناء الجزائر وتلقى رسالة من نابليون و أعطى الداي إنذارا جديدا لتحرير جميع العبيد خلال ثمانية وأربعون ساعة أو الحرب، و خلال الحضور الذي أعقب هذا الإعلان ظل الداي متحديا القنصل وحذره من أنه لن يتحمل مسؤولية القنصل في غطرسته بإصدار التهديدات[2].

[1]Dzanic Dzavid, **The Civilizing Sea: The Ideological Origins of the French Mediterranean Empire, 1789-1870**, op cit, p166.

[2] Charles Thainville au ministre des Affaires étrangères, Alger, 10 mars 1808 : AMAE, Alger/39, f 72r.

وقد سعى القناصل دوما لتحرير الأسرى الفرنسيين، وقاموا بالمطالبة والاحتجاج أمام حكام الجزائر، في كل مرة تدخل فيها سفن الجزائر، وهي تحمل على متنها أسرى فرنسيين[1]، كما كان تحرير الأسرى أحد الأسباب لخلاف الداي مع ديسو –Dussault مبعوث الملك الفرنسي[2].

لم يقتصر دور القناصل على افتداء الأسرى فقط، ولكنهم حاولوا مساعدتهم وطالبوا بحقهم في المعاملة الحسنة، ويشير رجل الافتداء فيلمون دولاموت Philemon de La Motte[3] إلى محاولة افتداء القنصل الفرنسي للأسرى الذين هم في حوزة الداي، وعرض 300 بياستر لكل أسير[4].

من وجهة نظري فإن نقص نفقات القنصلية الفرنسية هي أحد المشاكل التي تذمر منها القناصل كثيرا، واشتكوا من ذلك لحكومتهم، وسبب هذا المشكل عائقا أمام عمليات افتداء الأسرى، و كان القنصل Jacques Durand من بين القناصل الذين اعترضهم هذا العائق، حيث يشير في إحدى مراسلاته عن تمكنه من تحرير أسيرين، بينما يشتكي من عدم كفاية الأموال لتقديمها كهبات للأسرى الآخرين لدعمهم في محنتهم هذه، ويبدو كذلك أن القنصلية كانت تساعد الأسرى المعدمين، وأنها كانت تُحرج أمام طلبات افتدائها لهم[5].

اعتمد القناصل في مساعدة الأسرى، وافتدائهم على تقديم الهدايا، إلى جانب دفع مبلغ الفدية، وعلى استغلال علاقاتهم الطيبة مع الدايات والنافذين في الإيالة، ففي سنة 1701م غنم الأهالي غرب

---

[1] المراسلتان بتاريخ جانفي 1692م، و 3 أكتوبر 1692م ، انظر:

H De Grammont, **Correspondance**, op cit, p230.

[2] Henri Garrot, **Histoire générale d'Algérie**, Imprimerie P Crecenzo, Voutes Bastion nord, Alger, 1910, p 538.

[3] أحد عناصر الثالوث المقدس أرسلته حكومة فرنسا لافتداء الأسرى في بداية القرن الثامن عشر. انظر:

Denise Brahimi, **Opinions et Regards des Européens sur le Maghreb aux XVII^{ème} et XVIII ème siècle**s, édition et de diffusion, Alger, 1978, p 104.

[4] Ibid, p108.

[5] H De Grammont, **Correspondance**, op cit, p76.

شرشال مركب فرنسي، وأسروا طاقمه المتكون من الربان مع سبعة ملاحين، ولما علم القنصل Jacques Durand بذلك توسل للـداي (الحاج مصطفى) لإنقـاذهم، فأرسل فرقة من الصبايحيـة لاستعـادتهم، وتكفل القنصل بدفع 25 بياستر أشبيلية عن كل أسير[1].

كما اهتم القناصل الفرنسيون بتحرير الأسرى في إطار التبادل بين الطرفين منذ القرن السابع عشر و تحت رعاية القناصل اللازاريين المهتمين بشؤون الأسرى والعمل على التخفيف من معاناتهم، كما يعتبر هذا العمل من الأهداف المنوطة بالقنصلية الفرنسية في الجزائر وتونس، ومن السياسة المعتمدة لدى الطرف الفرنسي، وهو ما أدى إلى سعادة مازاران– Mazarin[2]، حينا شاهد اهتمام فانسان دوبول– Vincent de Paul بقضايا الجزائر، بدل أن يصبح متورطا أكثر في مؤامرات البلاط[3].

حاول قناصل القرن الثامن عشر العمل بنفس المبدأ، فعندما أراد القنصل Clairambault تحرير ستة من الأسرى الفرنسيين، عرض على الداي مبادلتهم بأربعة من أسرى جزائريين محتجزين في فرنسا لكن المشكل أن السلطات الفرنسية ماطلت في تلبية الطلب، مما أحرج القنصل أمام الداي، حيث يشير إلى ذلك في عدد من المراسلات التي تناولت هذه القضية، والتي سُويت فيما بعد بناء على مضمون المراسلة الأخيرة[4].

لم يكتف القناصل الفرنسيون برعاية أسرى دولتهم فقط، بل تعدوه لحماية أسرى الدول الأوروبية الأخرى، أو العمل على التوسط لإطلاق سراحهم، فقد تولى Jean Baume منذ سنة 1717م مهمة

---

[1] ibid, p91.

[2] هو جوليو مازاريني (1602–1661م)، كاردينال إيطالي، كبير وزراء لويس 13 و14 ملكي فرنسا، كسَّب فرنسا شروطا حسنة في صلح وستفاليا 1648م، بلغ أوج انتصاراته الدبلوماسية بإبرام صلح البرانس مع إسبانيا 1659م. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص ص 2974–2975.

[3] جون ب وولف، المرجع السابق، ص 296.

[4] المراسلات بتاريخ: 11 جوان 1710، 12 جويلية 1710، 5 أوت 1710، و5 نوفمبر 1710م. انظر: H De Grammont, **Correspondance**, op cit, pp 128–123.

إطلاق سراح 119 أسيرا اسبانيا، وحيث اشترط الداي على مسألة تحريرهم عودة 130 أسيرا جزائريا، وقد سببت هذه المسألة مشاكل للقنصل على صعيد النفقات، لأنه كان يأوي هؤلاء الأسرى من جهة، و من جهة أخرى تماطل حكومتــه في دفع نفقات تحريرهم، و صعوبــة إعادة الأسرى الجزائريين فهم أُسروا من طرف الصقليين على متن سفينة فرنسية، كما أثار هذا سخط الداي، خاصة وأن القضية استمرت لأكثر من سنتين، ويقول القنصل بوم :"...إن الداي مستاء جدا من الإقامة الطويلة للأتراك المأسورين في صقلية منذ عامين ونصف، وكل ما نقلته إليه من أخبار من مسينا– Messine، و باليرمو–Palerme تؤكد رغبة أتباع الملك الاسباني في إطلاق سراحهم، وهذا التماطل لم يُهدئ من روع الداي، والذي اشترط عودة هؤلاء الأتراك إلى الجزائر مقابل إطلاق سراح الاسبان المحتجزين هنا، فقد أصبح الداي يعاملهم كالعبيد، ويسخرهم في الخدمة إلى غاية عودة الأتراك من صقلية..."[1].

ويبدو أن العلاقات بين اليهود و قناصل فرنسا في الجزائر كان يطبعها تبادل المصــالح، حيث يشير أرشيف الغرفة التجــارية لمرسيليا بأن القنصل Durand Antoine قد دفع في 2 مارس 1728م مبلغ 400 بياستر لحصول اليهودي إيزاك إسرائيل Isaac Israël على حريته[2]، وهذا بعد أن قضى ست سنوات في الأسر[3]، كما ساهم في تحرير ثلاثة عشر أسير جزائري، أُسروا من قبل الهولنديين، ثم بيعوا للاسبان[4]، وتدخل لإنقاذ ثلاثة من رجال الدين الذين كانوا يعملون في المستشفى، والذي قام الداي

---

[1]Octave Teissier, **Inventaire des archives historiques de la Chambre de Commerce de Marseille**, Marseille, 1898, p214.

و أيضاً انظر المراسلات المؤرخة في : 1 ماي و 16 أوت، 9 أكتوبر1717، 31 ديسمبر1718، و22 ماي 1719م في :

H De Grammont, **Correspondance**, op cit, pp 140-151.

[2] Albert Devoulx, **Les archives**, op cit, 1865, p29.

[3] Eisenbeth M**, Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque**, in R A, 1515-1830, Algerie, 1952, p357.

[4] H De Grammont, **Correspondance**, op cit, pp169-167.

بإغلاقه، وذلك انتقاما من رفض الاسبان إعادة الأسير إبراهيم عساف، وفي ملخص رسالته المؤرخة في 17 نوفمبر 1726م نجد: "...حضر السيد Durand أمام الداي للحصول على تخفيف في مصير هؤلاء التعساء..."[1].

وتكاد لا تخلو رسالة من رسائل القناصل الفرنسيين في الجزائر من تدخلهم في عملية تحرير أسير، أو المطالبة بذلك، أو تقديم يد المساعدة له، أو محاولة جعلهم يُعاملون على الأقل معاملة حسنة، ومن ذلك أنهم كانوا يحررون شهادات يُقرون فيها لأي جزائري أحسن للأسرى المسيحيين، و التي ستكون بمثابة ضمان للجزائريين على حسن معـــاملتهم إذا وقعوا هم كذلك في الأسر[2].

وفي أواخر القرن السابع عشر عاود عدد الأسرى إلى الارتفاع وهذا بسبب ازدهار نشاط الغزو البحري لإيالة الجزائر، خاصة في عهد الحاج علي أغا، وعهد الدايات الثلاث الأوائل، ففي سنة 1675م قدر القنصل دارفيوا عدد الأسرى بين عشرة إلى اثني عشر ألف أسير[3]، ولكن مع نهاية القرن السابع عشر والبدايات الأولى من القرن الثامن عشر، هو تاريخ بداية تراجع النشاط البحري للجزائريين، نجد أن عدد الأسرى شهد تراجعا ملحوظا من ذي قبل، حيث وصل العدد إلى أربعة ألاف أسير بحلول سنة 1693م، ووصل إلى ألفين وستمائة أسير سنة 1698م، وثلاثة ألاف سنة 1701م[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الانخفاض المسجل في عدد الأسرى قابله ارتفاع واضح في ثمن الفدية، وهذا ابتدأ من منتصف القرن السابع عشر، كما توضحه بعض الأرقام التالية المستقاة من مصادر مختلفة.

---

[1] Ibid. p 177.

[2] زكريا العابد، **الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية**، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف: عميراوي أحميدة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007، ص 104.

[3] Jean-Baptiste labat, **Mémoire du chevalier D' arvieux**, de l'ordre des Frères Prêcheurs, T5, Paris, M. DCC.XXXV, p255.

[4] H De Grammont, **Histoire d'Alger**, op cit, p269.

سنة1644: 465 ليرة فرنسية
سنة1662 : 500 فلورين[1]
سنة1666 : 600 ليرة فرنسية
سنة1683 : 750 فلورين
سنة1710 : 720 ليرة فرنسية
سنة1730 : 925فلورين
سنة 1735: 1265فلورين[2].

ويمكن أن نضيف أيضا بأن القنصل دارفيوا غلبت على صلاحياته مسألة التوسط لتحرير الأسرى نظرا لخبراته المتراكمة في مراكز تمثيل دبلوماسي سابقة ونظرا لأن القرصنة قد ازدهرت في فترة النصف الأول من القرن السابع عشر، مما يحيل بأن مهام وأدوار قناصل فرنسا كانت تتأثر إلى حد ما بالظرفية التاريخية.

3-2: القناصل ومسألة هروب الأسرى:

كانت عملية افتداء الأسرى تتم بالتراضي بين الطرفين[3] وليس بالقوة، ومن هذا الجانب لم يشكل موضوع الأسرى توترا للعلاقات بين الجزائر وفرنسا، إلا في حالات نادرة، ومنها عدم التفاهم في صيغة التبادل، أو عدم الرضا على قيمة الفدية أو لتماطل إحدى الحكومتين، لكن العائق الوحيد الذي شكل عقبة كبيرة و أثر في العلاقات مرات عدة هو فرار الأسرى[4]، على الرغم من أن بعض بنود المعاهدات

---

[1] فلورين وهي عملة هولندية عملتها تقارب الليرة.

[2] Favre F, **Le véritable récit de la rédemption faite en Alger l'année passée 1644 par les religieux de l'ordre de Nostre Dame de la Mercy, & rédemption des captifs**, *Louis Feugé, Paris, 1645, pp 26-29.*

- Mathiex J, " Trafic et prix de l'homme en Méditerranée aux XVIIe et XVIIIe^{ème} siècles ", *in* **A.E.S.C.** N° 9, 1954, p 162.

[3] ج أو هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج أو هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1731م)**، ترجمة وتعليق وتقديم: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص43.

[4] جون ب وولف، المرجع السابق، ص ص 424-425.

نصت على كيفية التعامل مع حالات الفرار هذه، فمسألة فرار الأسرى اعتبرت قضية جد حساسة في العلاقات الجزائرية الفرنسية، وذلك بالنظر إلى كون هؤلاء الأسرى ملكية خاصة بإيالة الجزائر، وهذا الموضوع يتطلب من فرنسا عدم منازعة إيالة الجزائر فيه، ونظراً للأهمية التي تكتسيها هذه القضية فقد نصت عليها المعاهدات المبرمة بين الجانبين، خاصة و أن ضباط السفن الفرنسية كانوا يمنحون حق اللجوء للأسرى الأوروبيين[1].

ومن بين الأشياء التي تزيد من توتر العلاقات، ليس فقط فرار الأسرى، بل استقبال السفن الفرنسية لهم وما يزيد الطين بلة أحيانا، عندما يكون للقنصل الفرنسي يد في ذلك، حيث يصبح للقضية بعد سياسي ومساس بشرف الإيالة[2]، وهو ما كان يثير الجزائريين بشدة، وفي مثل هذه الحالة فإن الأسرى الذين لا يوفقون في الهروب كانوا يلقون معاملة قاسية[3].

بمثل هذه التصرفات كان القنصل الفرنسي هو من يتحمل عواقبها، حيث توجه له الاتهامات، ويعلق جون وولف على أن مثل هذه الحوادث كانت تثار باستمرار، كلما جاء القناصل الأوروبيين باتهامات ضد الجزائريين على أنهم لا يحترمون مواثيقهم، ففي سنة 1731م تواجد أسطول فرنسي أمام ميناء الجزائر بقيادة دوقاي تروان Duguay Trouin بهدف تقديم القنصل الجديد ليون دولان Leon Delane[4]، إلى جانب عدد من المطالب، ولكن القنصل الفرنسي قام بتهريب مجموعة من الأسرى، وهو ما جعل الداي كور عبدي يصر على إعادتهم قبل الدخول في أي مفاوضات، فرضخ الفرنسيون لذلك،

---

[1] جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص 104.

[2] E Plantet, **Correspondance des Deys d'Alger**, op cit , T2, p p71-70.

[3] H De Grammont, **Histoire d'Alger**, op cit, p222.

[4] Albert Devoulx, **Les archives**..., op cit, p31.

وموقف الداي هذا يسجل على أن السلطة في الجزائر لا تنفع معها القوة، وأنه مستعد لإعلان القطيعة لو لم تلبى مطالبه[1].

ما يلاحظ من هذه الأمثلة أن مسألة هروب الأسرى كانت من القضايا التي عرقلت السير الحسن للعلاقات الثنائية، وأضرت بشخص القنصل سواء كان له يد في القضية أم لا، كما حدث لنائب القنصل بلانشار Blanchard 1631-1633 م، عندما احتجز رفقة مجموعة من التجار[2]، وربما هو ما جعل المعاهدات المبرمة بين فرنسا، والدول المغاربية تنص على عدم مسؤولية القنصل عن فرار الأسرى إلى السفن المتواجدة في الموانئ المغاربية[3].

كما أن الحكومة الجزائرية أصبحت تتخذ الإجراءات المناسبة لمنع مثل هذه المحاولات، وذلك تجنبا لتوتير العلاقات من جهة، ومن جهة أخرى للحصانة التي أصبحت تتمتع بها رايات الدول المسالمة في القرن الثامن عشر[4].

المبحث الرابع: العلاقات والأدوار الخفية للقناصل الفرنسيين بإيالة الجزائر:

لم تكن أبدا أعمال القناصل واضحة ومواكبة لبنود المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع إيالة الجزائر، بل جل المؤرخين يؤكدون على وجود دور خفي يحاك في الكواليس وعتمة الظلمة، ومن أسباب ذلك، الحيلولة دون دخول أطراف أخرى منافسة للوجود الفرنسي بالجزائر، وكذلك إقحام الإيالة في صراعات داخلية وخارجية وذلك للحد من قوتها وجبروتها والعمل على تشتيت نفوذها العسكري، ومن هذا المنطلق لم يتورع القناصل الفرنسيين في إستعمال مختلف الأساليب الملتوية من جوسسة وتخابر، ولتحقيق كل

---

[1] جمال قنان، **معاهدات...**، المرجع السابق، ص 182.

[2] نفسه، ص ص 79-80.

[3] Abel Boutin, Op.Cit, p591.

[4] Ibid, p592.

مخططاتهم عملوا على بث عيون هنا وهناك لرصد كل التحركات سواء للإيالة أو للدول الاوروبية الأخرى المنافسة، كذلك وجد القناصل أن العلاقة مع طائفة اليهود ضرورة حتمية فرضتها أوضاع الإيالة، وذلك لتحقيق الرغبات الفرنسية، سواء منها المالية كالإستدانة وقت الشدة، وفي عقد الاتفاقيات ورصد السفن المحملة بالغنائم.

1: علاقات القناصل مع اليهود:

طالما اعتبر اليهود مكون أساسي داخل النسق الاجتماعي للمجتمع الجزائري، وكذلك المحرك الرئيسي للتجارة بالبلاد، وأصحاب الحرف والمهن، كما يعملون على صك النقود، لذا كانت لهم حظوة كبيرة عند حكام الجزائر، نظير خدماتهم التي يقدمونها سواء على الجانب السياسي والاقتصادي، حيث لعبوا دور الوسيط خلال عقد الاتفاقيات مع الدول الأوروبية، كذلك خبرتهم بالمجال التجاري وتسيير الأموال، فكان الدايات يلجئون إليهم في كثير من الأحيان لاقتراض الأموال لسد نفقات الجيش الانكشاري عند المطالبة بمستحقاتهم وأجورهم في سبيل خدماتهم العسكرية، أو عند تقديم الهدايا[1] لزوجاتهم فهم مجبرون على الدعم المالي من اليهود لشراء مجوهرات ثمينة[2].

ظل التجار اليهود الليفورنيين تحت حماية القنصل الفرنسي، وكافة ترتيباتهم الإدارية تتم داخل القنصلية الفرنسية، ويتم توثيقها عبر مقر القنصلية، فحينما اختير السيد بكري مقدما للطائفة اليهودية، أدى اليمين بحضور الأحبار اليهود أمام القنصل دوفال وهذا بتاريخ 24ماي من سنة 1823م[3].

---

[1] محمد زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830**، دار دحلب، الجزائر، 1994، ص 19.

[2] العربي إسماعيل، " دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات"، **مجلة التاريخ وحضارة** العرب، عدد 12، 1974، ص 37.

[3] دادة محمد، **اليهود في الجزائر في العهد العثماني من مطلع القرن 18 حتى 1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: محمد خير فارس، جامعة دمشق، سوريا، 1985، ص 96.

تعتبر العلاقة مع اليهود ضرورة حتمية فرضتها أوضاع إيالة الجزائر، فالمعاهدات المبرمة بين الإيالة والدول الأوروبية نصت على حق القناصل في أن يكون لديهم سماسرة، وغالبا ما يكونون من شريحة اليهود الليفورنيين، فهؤلاء الوسطاء يتقاضون عن كل جانب قرابة 1% عمولة على كل عملية تتم، كما اتخذت منهم جمهورية راقوزا Raguse[1] قناصل ومنهم على سبيل المثال عائلة بوشعرة Bouchara، وهم في نفس الوقت سماسرة يعملون لصالح الداي[2] .

لم يقتصر نفوذ اليهود على الأسواق المالية والتجارية بل تعدى إلى المجال السياسي عن طريق التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد، إضافة إلى توسع النشاط اليهودي ليشمل الشؤون الدبلوماسية، لقد أثرت الأوضاع الداخلية للقوى الأوروبية على شؤون القنصليات في الخارج، وتحديدا قنصليات إيالة الجزائر، مما جعلها تعاني من مشاكل عويصة شبه دائمة، تكون حجر عثرة في تسيير شؤون القنصلية، كدفع مرتبات موظفي القناصل أو إجراء الصفقات، أو تدبر بعض الأموال لدفع فدية أسير وهذا ما جعلهم يلجئون إلى الأطراف اليهودية في عديد من المناسبات[3].

لقد تزايد نفوذ اليهود في إيالة الجزائر، وكذلك عبر بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، مما أدى إلى تخوف الأوساط التجارية الأوروبية، ومنها على الخصوص الأوساط الفرنسية من هذا التطور الرهيب للنشاط التجاري اليهودي ومنافستهم القوية على كافة الأصعدة[4]، هذا ما جعل فرنسا

---

[1] راقوز: تعرف بعدة أسماء منها دوبرفنيك، دوبر، هور هتك، راكوزا، وهي مدينة قديمة محصنة تقع على ساحل بحر الأدرياتيك جنوب دلماسية أسست في أواسط القرن السابع ميلادي، أصبحت مدينة تجارية يرتحل اليها التجار والسفن وهي تحت حماية راية الدولة العثمانية، أنظر: عبد الرحمان المؤذن، عمر أفا، **المغارب في العهد العثماني**، سلسة ندوات ومناظرات، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، ص ص 37-39.

[2] Eisenbeth, op cit, p 370.

[3] بليل رحمونة، المرجع السابق، ص 195.

[4] عبيدة مغزي مداني، **الأوضاع الاقتصادية السياسية ليهود الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1792-1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: ميسوم بلقاسم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015- 2016، ص 77.

تدق ناقوس الخطر منذ بداية القرن الثامن عشر، وقامت بتقديم تحذيرات وتوجيهات إلى الحكومة الفرنسية يشدد فيها القناصل على عرقلة نشاط اليهود التجاري المتنامي ومن هذه المراسلات كانت مراسلة موجه إلى الغرفة التجارية المرسيلية والتي نجد عبر أرشيفها ملف يحمل رقم G5 تحت عنوان Marseille Les juifs à Aix et يحتوي الملف على عديد من رسائل القناصل مع غ ت م حول موضوع اليهود، ومثال ذلك مراسلة القنصل بوم Baume سنة 1718م الذي يطلب من نواب الغرفة التجارية المرسيلية أخذ التدابير اللازمة لمعاقبة يهود فرنسا الممارسين للتجارة[1]، وتحذيرهم كذلك من خلال مراسلة موجهة بتاريخ 18 أفريل من سنة 1717 حول يهود الجزائر المشتغلين بالتجارة مع المدن المرسيلية[2] .

طالما كانت العلاقة بين القناصل واليهود علاقة معقدة وغير مفهومة، وكثيرا ما كانت تتحكم فيها المصالح، ففي بعض الاحيان تكون علاقة تنافر وتوتر، ومرات أخرى تكون علاقة انجذاب وود وتسوية مصالح مفيدة لكلا الطرفين، والغريب في الأمر أن اليهود الليفورنيين، دائما ما يكونون تحت حماية القنصل الفرنسي، وكل مسائلهم الإدارية تتم داخل القنصلية الفرنسية، فالعلاقة مع اليهود لا طالما اعتبرت حتمية واجبة فرضتها أوضاع الإيالة الجزائرية والمصالح الاقتصادية المشتركة، في حين كان هناك قناصل دفعهم هامش الربح إلى التعاون مع اليهود أو حتى الشراكة معهم[3].

من جانب آخر يوجد بعض القناصل من اغتنموا فرص الربح وتعاونوا مع اليهود تجاريا ودبلوماسيا أو حاولوا الدخول في شراكة معهم، فمثال ذلك المصالح التي ربطت بين اليهودي إسرائيل

---

[1] Hanoune j, **Aperçus sur les israélites algériens et sur la communauté d'Alger**, Ed bastide, Jourdan, 1922, p16.

[2] بليل رحمونة، المرجع السابق، ص 174.

[3] MJ M Haddey, **Le livre d'or des israélites algériens (recueils des renseignements inédits et authentique sur les principaux négociants juifs pendant la période turque)**, Cercle de généalogie juive, Paris, 2005, pp 84-85.

سبورتاس Israël sportes والقنصل الفرنسي فالبير Valliere[1]، فقد تواصلت الشراكة حتى بعد وفاة سبورتاس وخلفه ابنه شالوم[2]، كما نجد في خضم المنافسة التجارية بين الوكالة الوطنية الفرنسية مع اليهود حول تجارة القمح، فهذا القنصل فالبير يقول: "... في حالة ما إذا واصل باي قسنطينة تموينه لليهود بالقمح، فإنه يتوجب علينا أن نعمل كل ما في وسعنا للحصول على القمح مباشرة ومن غير تدخل أي جهة..." ويقصد هنا تدخل اليهود[3].

ويعتبر كذلك اليهود المنقذ الوحيد للقناصل في الأزمات المالية سواء عن طريق القرض المباشر أو تقديم كمبيالات ومثال ذلك ما قدمه التاجران بكري وبوشناق من دعم مادي وهدايا للقنصل ديبوا تانفيل لنجدته من غضب الداي مصطفى، وأثناء مرحلة الثورة الفرنسية وعدم قدرة حكومة الدريكتوار على تأمين الأسطول التجاري وحمايته من البريطانيين، في هذه الأثناء كان اليهود يتمتعون بحرية الملاحة وسلامة سلعهم هذا جراء حملهم الراية وجواز السفر الجزائريين، حيث أن سلعهم التجارية مؤمنة، ولهذه الأسباب وجهت فرنسا تعليمات لقنصلها بالإيالة السيد Vallière وإلى مسؤولي الوكالة

---

[1] ibid, p 84.

يعتبر كتاب (MJM Haddey) المعروف ب Le livre d'or من المصادر المهمة والنادرة التي تطرقت إلى هذا الموضوع، فهذا المؤلف عبارة عن وثائق أصلية وغير منشورة على شكل سجلات خاصة بمواعيد دخول وخروج السفن من وإلى ميناء الجزائر خلال العهد العثماني ما بين 1668 – 1826 ونوع الحمولة والبلد المتوجهة إليه وصاحبها، كما قامت بترتيبها ترتيبا كرونولوجيا دون التعليق عليها، وهذا ما أضفى خصوصية عليه حيث وصل إلينا مادة خام ندرسها بكل موضوعية، وهذا الكتاب حسب Ernest Mainz في مقاله Les juifs sous la domination turque صعوبة الحصول عليه وعدم توفره إلا في الجزائر وفي مكتبة خاصة بأحد المهتمين بتاريخ اليهود في الجزائر، فالجمعيات اليهودية ذات أصول توشابيمية المتمركزة بفرنسا والتي أهدت نسخة منه إلى مكتبة الرابطة الإسرائيلية العالمية، مما يدعو إلى الشك أن ندرة هذا المصدر ربما يكون لأحفاد يهود ليفورن ضلع فيه، وذلك خشية أن تفضح تجاوزات أجدادهم في الجزائر خلال العهد العثماني، غير أننا لا نحمل اليهود وحدهم الانزلاق السياسي والاقتصادي بالجزائر بل سياسة الحكام العثمانيين كانت وراء ذلك، بالإضافة إلى التقرير السري الذي كتبه القنصل البريطاني Fraser بتاريخ 17 فبراير 1768، ويتضمن معلومات دقيقة ومفصلة عن التجارة الخارجية للإيالة، والشركات اليهودية في مقدمتها شركة بكري بوشناق وهو من التقارير الغير منشورة.

[2] بليل رحمونة، المرجع السابق، ص 197.

3 Esquer Gabrial, op cit, p 407.

التجارية تأمرهم فيها بالتعاون مع التجار اليهود[1] أو غيرهم ممن يستطيعون أن يوفروا للفرنسيين كميات كبيرة من القمح وشحنها إلى موانئ الجمهورية سالمة[2]، من هنا سيطر اليهود سيطرة شبه تامة على تجارة الحبوب في الإيالة، وعملوا جاهدين لسحق كل الشركات التجارية المنافسة وخاصة الفرنسية منها[3].

كما اعتاد التجار اليهود دائما على التخفي بأسماء مستعارة لتجار فرنسيين، وهذا لممارسة نشاطهم التجاري داخل فرنسا بكل أريحية والتهرب من الرسوم الجمركية، ويظهر ذلك من خلال بعض ما وثقه المؤرخين وهو تورط بعض موظفي القنصلية الفرنسية بإيالة الجزائر؛ ومثال ذلك الموثق ناتوار Natoire[4] مع نفطالي بوشناق الجد في 1737م.

ومن هنا نجد قضاة مرسيليا يطالبون بمعاقبة الفرنسيين الذين يعيرون أسماؤهم لليهود، فهذا تعتبره فرنسا مضرا بتجارتها، وبعد تزايد الخطر اليهودي التجاري ومنافستهم القوية ضد التجار الفرنسيين تراجعت التجارة الفرنسية مع إيالة الجزائر، من هنا صدرت العديد من القوانين المقننة لطرد اليهود من مدينة مرسيليا بإيعاز من قناصلها بالجزائر[5].

---

[1] Plantet, op cit, T1, p LI.

[2] Charles Feraud, **Histoire des villes de la province de Constantine, La calle et documents, pour servir à l'histoires des anciennes concessions française d'Afrique**, Alger, 1877, pp 462- 473.

[3] Charles André Julien, "Marseille et la question d'Alger à la veille d'une conquête", **in R.A.**, N°60, Alger, 1919, p 17.

[4] H De Grammont, **correspondance**, op cit, p 241.

[5] رسالة الكونت بورتشارتن portecherterain وزير الدولة من فرساي في 22 أفريل 1711م : " ... كلفت بأن أمركم بإخراج وطرد اليهودي المسمى فليب أسبر Philippes espère من مرسيليا بعد عودته من الجزائر دون المساس بمصالح تجار المدينة إن كانت هناك شراكة معه..."، أنظر:

ACCM série B/80 objet: juifs Marseille, lettres des barbaresques .

مراسلة أخرى لبوتشارتن في 28 مارس 1711م يأمر فيها نواب غ ت م بالتعجيل بطرد اليهودي أنطوان لوبيز Antoine Philippes lopes لما يشكله من خطر وتهديد للمصالح التجارية المرسيليا، انظر:

A CC M, série G, article: les juifs à Aix et Marseille 1672-1773.

كذلك طالما نوه القناصل الأوروبيين ومنهم الفرنسيين بالخصوص بالدور الخطير الذي يلعبه اليهود من خلال مبادلاتهم التجارية المشبوهة، لهذا فقد كان القناصل دائما ما يعطون تعليمات إلى حكوماتهم حول هذا الموضوع، فهنا نجد موثق القنصلية جونفيل Thomas jonville[1] بتاريخ 6 مارس من سنة 1734م يقول في مراسلة خاصة: "... لقد أبحر ثلاثة تجار يهود على متن سفينة سويدية، وكان القبطان الفرنسي لهاته السفينة القائد: بران Brun يرفض سفرهم على متن سفينته، فما كان عليه إلا مصادرة بضائعهم التجارية وهذا لوضع حد لنشاطهم التجاري المشبوه..."، وهنا يبدو أن الفرنسيين قد تناسوا المرسوم الملكي للملك لويس الرابع عشر Louis XVI في 26 فيفري من سنة 1665م، والذي يرخص لليهود بالتجارة تحت الراية الفرنسية في محطات مختلفة في حوض البحر الأبيض المتوسط، لكن في هذا الوقت بالذات ابتدأت المطاردات والمضايقات للتجار اليهود بمرسيليا[2].

يعتبر اليهود دوما المنقذين للقناصل ومخرج النجاة من جميع الأزمات المالية، ففي 2 مارس من سنة 1728م استفاد قنصل فرنسا دوران من كمبيالة بقيمة 460 بياستر من طرف اليهودي إسرائيل سلمون مقابل موقف القنصل في إنقاذه من حكم الإعدام لما كان عليه من بعض موظفي الديوان[3].

فحسب القنصل Le Maire فإن تلاعب اليهود بالمصالح الاقتصادية الفرنسية هو مسؤولية ساسة وشعب فرنسي رافضا تواطؤ التجار الفرنسيين مع اليهود الذين يحاولون تخريب القاعدة الاقتصادية للحكومة الفرنسية، ونظير ذلك فالشبكة التجارية اليهودية طوقت بإحكام التجارة الفرنسية وتحكمت بصفة مطلقة في أسواق فرنسا عامة وسوق مرسيليا خاصة، عن طريق التعامل التجاري أو

---

[1] **A CC M, série J, art 1377, objet Thomas jonville chancelier.**

[2] Eisenbeth M, op cit, p355.

[3] Haddy, op cit, p 23.

الانتقال بأنفسهم إلى هناك وذلك بوجود مجموعة من البيوت التجارية تتاجر مع هذه المدينة عن طريق الوكلاء والعملاء مثل شركة أفراييم دوران، جوزيف سداكا، بوشارة، جودا بن دوران[1].

فقد كان اليهود بمثابة المصرف الذي يلجأ إليه القناصل في محنتهم المالية تفاديا للمشاكل المالية التي تنجم عن تأخر في دفع المستحقات القنصلية بالإضافة إلى أنهم خير وسيط مالي في إيالة الجزائر وبعض الأوساط في أوروبا[2].

2: التعاون الدبلوماسي والتجاري بين اليهود والقناصل:

اعتماد القناصل الفرنسيين على الوساطة اليهودية ليس بالجديد، بل متجذر في المجتمعات اليهودية، وهذا نظير قربها من فئة الحكام وموظفي الإيالة ومعرفتهم الجيدة بلغة أهل البلد ولغة التجار المختلفة الهندو أوروبية أو ما تسمى بلغة الفرنكا، فتجدهم يتوسطون للقناصل مع حكام الجزائر وأحيانا مع قباطنة السفن وخصوصا عندما يكون هناك طارئ على البلاد كالوباء مثلا، حيث يتم منع البعثات الدبلوماسية والقناصل من التحرك بحرية وأحيانا يطلب منهم البقاء في مساكنهم الريفية، فنجد في هذا الشأن مراسلة من القنصل لوميير Lemaire إلى الغرفة التجارية بمرسيليا يوضح فيها المصاريف التي أنفقها جراء عزله في الريف أثناء فترة الوباء وعدم اتصاله المباشر بسكان مدينة الجزائر[3].

كما يشير لوميير في رسالة أخرى أن العلاقة لم تقتصر على القناصل فقط بل تعدت إلى خارج إيالة الجزائر وبالضبط إلى مرسيليا، حيث يقول: "... تواجد اليهود عن طريق الوكلاء في مرسيليا

---

[1] بوشيبة دهيبة، **اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية**، أطروحة دكتوراه تاريخ، إشراف: حنيفي هلايلي، جامعة الجيلالي اليابس، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015، ص 235 .

[2] بليل رحمونة، المرجع السابق، ص 176.

[3] Devoulx A, **Les archives du consulat**, op cit, p 57.

ليس كالتجار فقط بل كجواسيس أيضا؛ وهذا للحصول على معلومات البحارة وحركة ونشاط السفن وأخبار الملاحة البحرية..."[1].

لقد أصبح هؤلاء اليهود يستقبلون الوفود الدبلوماسية الأجنبية باسم الدايات كما فعل بوجناح[2] مع قناصل الدنمارك والسويد وهولندا في سنة 1801م، وهو من يتسلم الهدايا التقليدية المقدمة إلى موظفي الإيالة[3].

كذلك خلال حملة نابليون على مصر تدهورت العلاقات بين الجزائر وفرنسا، ففي تلك الفترة عمل كل من بكري وبوشناق على التأثير بموقف الداي من سجن القنصل الفرنسي مولتيدو سنة 1789م، وإطلاق سراحه، حيث ذكرت هذه المساعي بتقارير موثقية القنصلية الفرنسية وهي: " رسائل أنطوان سيالف Antoine sielve chancelier، وحتى بعد قطع العلاقات بين فرنسا والجزائر في عهد القنصل تانفيل، كما كانت التقارير تصله عن كل ما يحدث في الإيالة بواسطة بوشناق وهو خارج البلاد "[4].

لقد برع اليهود في مجال الوساطة الدبلوماسية وتقديم الخدمات وتسهيل مهام المفاوضين والقناصل، إذ كانت لهم علاقة مباشرة مع ممثلي مختلف القوى الأوروبية، باعتبارهم الوسيط البالغ الأهمية والذي لا يمكن الاستغناء عنه في إجراء الصفقات والمفاوضات، لكن لكل شيء ثمنه، وبذلك يتبين أن الأوساط الدبلوماسية والمجتمع القنصلي أصبح يدرك يقينا قوة تأثير الطائفة اليهودية على العناصر النافذة في إيالة الجزائر[5]، وذلك بشراء الذمم بالأموال واللعب مع كل طرف على حدا ووفق

---

[1] نقلا عن رحمونة بليل، ص 178: A CC M, série G , art 5

[2] محمد زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية1791-1830**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993،ص 26.

[3] كاثكارت جيمس، **مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب** ، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 183.

[4] رحمونة بليل، المرجع السابق، ص 180.

[5] محمد زروال، المرجع السابق، ص 25.

منهج معين حسب كل شخصية ومزاجها، وهذا ما يعبر عنه القنصل الفرنسي سانت أندري J B ST André[1] باستيائه، حيث يقول في رسالة موجهة إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 19 جيرمان العام الخامس 19 Germinal an V للثورة الفرنسية: "... أنه لم يتمكن من الحصول على ما أراد في مفاوضات بين القنصل الانجليزي و الداي[2]، ولم يتوصل إلى أي معلومة، لا من بكري ولا من بوشناق، رغم أنهما حضرا تلك المفاوضات، لكن يبدو أنها حول إلزام إنجلترا بعدم التعرض للسفن الجزائرية في البحر، وخاصة إذا كان رياسها يحملون رخصة من القنصل الانجليزي..."[3].

وفي سنة 1793م تلقى القنصل فالبير تعليمات من السلطات في فرنسا تدعو للقيام بمساعي لدى داي الجزائر لعدم التعرض لأي سفينة محملة بالحبوب تتجه نحو فرنسا ومهما كانت جنسيتها، لقد اعتبر القنصل هذا الطلب مستحيل التحقيق وغير قابل للتنفيذ، فهذا معناه أن الجزائر تنهي حالة الحرب مع كل أعدائها دون أن تكون لها أية ضمانات تحمي سفنها من القرصنة، واقترح أنه من الأفضل أن يستبدله بطلب ثلاثين جواز مرور جزائري تستعملها السفن الفرنسية، على الرغم من كونه يدرك أنه سيكون مطلبا محرجاً وغير لائق[4]، ومع ذلك فهو يعتبر أنه حتى وإن لم تتم ترضيته بصورة كاملة، فإن الحصول على بعض منها سيسد حاجة فرنسا لا محالة، وقد استقبل الداي حسن باشا الطلب باستغراب ودهشة، ورد الداي أنه لا يستطيع تنفيذه لسببين :أولا: القبول يعني ثورة الرياس ضد الداي ثانيا: الانجليز والاسبان لن يترددوا في تقديم طلب مماثل، واستمر القنصل الفرنسي فالبير في

---

[1] ولد Jen Bon Saint andre يوم 25 فيفري 1749 بمدينة مونتوبون Montoubon بجنوب فرنسا، تلقى في صغره تربية دينية فأصبح راهبا في تلك المدينة وعند اندلاع الثورة الفرنسية 1789م وقف إلى جانب الثوار في 1813، عينته حكومة الإدارة قنصلا بالجزائر توفي بباريس يوم 10 ديسمبر 18 م إثر مرض التيفوس الذي أصابه. أنظر : بنور فريد : المرجع السابق، ص ص 116 117.

[2] Esquer G, **Le commencement d'un empire, la prise d'Alger 1830**, Ed la rose, paris, 1929, p 26.

[3] رحمونة بليل، المرجع السابق، ص 183.

[4] جمال قنان، العلاقات، المرجع السابق، ص 50.

الإلحاح، فمنحه الداي جوازين، وعندما علق القنصل أن الجمهورية لن ترضى بهذا الشيء القليل، رد الداي: "إنني أمنحها لك كتعبير عن صداقتي"، كما تعهد الداي بإعطاء تعليمات للبحرية باحترام الجوازات التي تحصلت عليها فرنسا من تونس، وجاءت صيغة الجوازات التي منحها الداي للفرنسيين كما يلي: " موضوع هذا المكتوب الذي حررناه في هذا اليوم التاسع والعشرين من هلال ذي الحجة والذي يجب أن يحظى بكامل الصدق والثقة من أجل الغاية التي منح من أجلها فإنه يتعين على كل رياس سفن الغزو التابعة للإيالة الجزائرية الكبيرة منها والصغيرة وعلى ضباط الغليوطات التابعة لهذه المدينة، وكذلك قراصنة تونس وطرابلس، عندما يكونون في رحلة الغزو انهم إذا التقوا بسفينة حاملة لهذا الأمر أن يأخذوا حذرهم، فلا يمسوها بأدنى أذى ولا إساءة معاملة قائدها، أو أي أحد من أفراد طاقمها وأن لا يأخذوا أي شيء من السلع التي تحملها، وإذا حدث أن بحارتنا هم الذين أقلقوها، فإن معاقبتهم ستكون مضمونة، حرر في الجزائر المحمية في 27 ذي الحجة 1207هـ 10أوت1793م"[1].

ومن جانب أخر لم يتوانى اليهود في الحاق الضرر بالشخصيات الأوروبية التي كانت تشكل خطر عليها وعلى مصالحها، فقد كاد أن يقتل القنصل كليرمبولت Clairaumbault بعد الفتنة التي أثارها ضده اليهود، وكذلك القنصل تايبوت Tailbaut[2] في مؤامرة دبرها ضده بوشناق، كذلك إبعاد بعض القناصل الفرنسيين بالتآمر عليهم وجعلهم عناصر غير مرغوب فيهم بإيالة الجزائر[3]، وهذا القنصل تانفيل في رسالة موجهة إلى وزير الخارجية دي فيسانس يقول: "...اضطررت إلى مغادرة الجزائر في 19 من شهر أكتوبر بسبب قضية السفينة جيوسبينو Giosspino وضرورة تعويضها بمبلغ من

[1] جمال قنان، العلاقات، المرجع السابق، ص 51.

[2] كمال بن صحراوي، **دور يهود الجزائر الدبلوماسي**، المرجع السابق ، ص 83.

[3] Eisenbeth, op cit, p 376.

المال، كما الح الداي على ضرورة تسديد ديون فرنسا السابقة، غير أن ابعادي كان بمؤامرة انجليزية يهودية وليس لشخصي..."[1].

3: الجوسسة والتخابر واختلاق المشاكل من طرف القناصل:

لم تكن النوايا دائما حسنة بالنسبة للقناصل الفرنسيين تجاه حكام الإيالة الجزائرية، فالقناصل لم يسعوا أبدا جاهدين ليسود السلم نحو العلاقات الثنائية بين الجزائر وفرنسا، بل عكس ذلك فقد أثبتت الظروف والأحداث عكس ذلك تماما، ففي كثير من الأحيان تورط هؤلاء القناصل في كثير من المشاكل أدت إلى التوتر وأحيانا أخرى كادت أن تؤدي إلى الحرب بينهما، وبعض القناصل من حرض حكومته لقطع العلاقات الدبلوماسية مع الجزائر واستعمال القوة العسكرية ضد حكام الجزائر، على الرغم من وجود فترات تميزت بنوع من الاستقرار، إلا أن هذا لا يعني أنها خلت من مشاهد التوتر ووضع العلاقات على المحك، و بسبب ذلك سلوك بعض القناصل[2].

ومع وصول القناصل اللازاريين، كان أسلافهم يغضون الطرف دائما عن تجارة الأسلحة مقابل الحبوب والزيوت والجلود، وهي التجارة الوحيدة الممكنة مع إيالة الجزائر، لكن ما كان يمكن أن يتحمله القنصل العادي لا يمكن أن يتسامح فيه أي متدين، وكان الجميع غير راضين، وسرعان ما أصبح القناصل اللازاريين الجدد موضع غضب ملوك الجزائر، فقد اعتاد الباشوات والدايات على أهانتهم وسجنهم وضربهم دون عقاب طول الوقت، حيث تكون نهايتهم بالموت القاسي الذي لحق ببعضهم، وفي هذا الصدد سعى سانت فنسنت دي بول مؤسس المدرسة اللازارية إلى إعادة بيع مكتب القنصل إلى عدد قليل من التجار في مرسيليا، لكن لم يجد أحدا يقبل بالمنصب نظرا لخطورته، وفي 16 أبريل 1655 عين جان بارو عضوا عاديا في القنصلية[3].

---

[1] رحمونة بليل، المرجع السابق، ص185.

[2] جمال قنان، معاهدات.....، المرجع السابق، ص379.

[3] H De Grammont, **Histoire d'Alger**, op cit, p196.

وفي عام 1654 حيث اجتاح الطاعون مدينة الجزائر والذي أستمر مدة ثلاث سنوات وسيقضي على ثلثي السكان، في تلك الأثناء كان السيد بارو Barreau أكثر الرجال فضيلة وإحسانا، فقد استدان لمساعدة العبيد المسيحيين، وبعد أشهر قليلة من تعيينه، سجنه الداي محمد باشا وتعرض لسوء المعاملة من قبل أتباع الباشا، حيث لم يكن لدى السيد بارو صلاحيات القنصل طوال فترة ولايته، فقد عانى من أبشع العقوبات، في عام 1656 أصدر باشا إبراهيم مرسوما بأن يكون القنصل مسؤولا عن جميع ديون المقيمين في فرنسا، فعمد هو أيضا إلى سجن السيد بارو، وعامله بوحشية مروعة، وعند علم القديس فنسنت دي بول أرسل إلى الجزائر كل الأموال التي بحوزته، وطلب من الديوان تحرير القنصل، لم تظل المحكمة الفرنسية غير أبهة تجاه هذه الإهانات التي وجهت للقنصل، لقد كانت في حالة حرب مع اسبانيا، في هذا التوقيت أمر القديس دي بول بالمغادرة السرية لحاكم الحصن السيد بيكيه الذي علم بسوء المعاملة التي تعرض لها القنصل في مدينة الجزائر، حيث يعتقد أنه في خطر كبير عندما علم أن باتشي إبراهيم سيقود رحلة استكشافية ضده، فغادر الحصن بعد أن أضرم النار في كل شيء، وأخذ بالقوة حوالي خمسين تركيا أسيرا، عندها أنفجر الوضع بالجزائر غضبا وتعرض الرعايا الفرنسيون لسوء المعاملة، وصودرت بضائعهم، وعاد القنصل إلى السجن، فقرر القديس فنسنت دي بول أنه سيحل محل السيد بارو، فتدخل بسرعة و قام بتخليص الأتراك من قبضة بيكيه، وسدد ديون اثنين من دائني الجزائر، وطلب المساعدة من الملك، الذي بدوره كتب إلى الباشا ليعلن أنه عين السيد لويس كامبون في باستيون دو فرانس[1].

لن يكون لدى الملك إجابة أبدا، لأن الثورة تفجرت في الجزائر في جويلية من سنة 1659 سيكون هناك حدا لحكومة الباشوات العثمانيين، كان الباشا إبراهيم قد تلقى للتو من الباب العلي

[1]H De Grammont, **Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVII^{ème} siècle**, quatrième partie, Les Consuls lazaristes et le chevalier d'Arvieux (1646-1690), Adolphe Jordan libraire éditeur, Alger, 1885, p 34.

فرمانا باستبداله بعلي باشا، ورغبة في زيادة ثرائه الشخصي، حيث أصدر هذا الأخير أمرا بأنه سيأخذ العشر على المبالغ المرسلة من القسطنطينية إلى الرياس لإقناعهم بالانضمام إلى الأسطول العثماني، والتي تزامنت مع أعمال الشغب المحتدمة، فألتقى الرياس والميليشيا في الديوان لإصدار أمر بمصادرة أملاك الباشوات، وبعدها عاد الديوان بالاحتكام إلى دستور الأوجاق Odjak القديم دستور Barbarossa، إلا أن هذا التغيير جاء بعد فوات الأوان، فهنا غضبت محكمة فرنسا من الإهانات التي لحقت بقناصلها، ولم تكن تثق بالتصرفات الجديدة للديوان، ففي عام 1660م قام بحارة فرنسيين بمضايقة رياس البحر، وألحق بهم هزائم متتالية، وتم إبعاد 400 تركي عن العمل، حيث كتب القنصل بارو إلى القناصل والولاة في مدينة مرسيليا للمطالبة بالإفراج عن السجناء الأتراك في شهر جوان من سنة 1660م، وبعد الثورة تحسنت أوضاع القنصل بارو بشكل ملحوظ، وكان آخر عمل للسيد جان بارو هو الترجمة، من رسالة أرسلها إسماعيل باشا إلى قناصل وحكام مرسيليا في 9 فيفري 1661م وسيحل محله السيد فرانسوا دوبورديو، الذي سيصل إلى الجزائر العاصمة في الوقت المناسب وليشهد مقتل رمضان باشا الذي حل محله شعبان آغا[1].

ومن بين الأحداث والوقائع حول الجوسسة والتخابر نذكر أنه عقب إبرام معاهدة 1689م مباشرة، أبعد القنصل بلرثلومي ميركاديي Barthélemy Mercadier بتاريخ 8 فيفري سنة 1690م وكان ذلك بأمر من الملك[2]، وهذا بسبب تدخله في شؤون ليست من اختصاصه وسعيه لإفساد العلاقات بين الجزائر وفرنسا، وربما هذا الأمر مدفوع من الانجليز، وهو ما تم كشفه من طرف الداي شعبان لمبعوث الملك مارسيل Marcel، ودليل ذلك أنه اقتيد إلى السجن مباشرة بعد وصوله لميناء مدينة طولون[3].

---

[1] Ibid, p 39.

[2] Albert Devoulx, **Les archives du consulat**, op cit, p8.

[3] E Plantet, **Correspondance des deys**, T1, p 209.

كما تورط القنصل روني لوميير، والذي لم يتعظ من سابقيه القناصل، فرغم علاقته الجيدة مع الداي في بداية مباشرة عمله بالقنصلية، إلا أنه تورط في قضية تونس[1]، حيث تشير إحدى رسائل القنصل الفرنسي في تونس أوجي سورهاند Auger Sorhainde[2] إلى كاتب الدولة للبحرية الفرنسية المؤرخة في 6 فيفري 1694م، تقول: "..... أن الداي طلب منه الكتابة إلى القنصل في الجزائر ليصرف الداي الجزائري النظر عن الإيالة التونسية ويعاقب التونسيين الساخطين والمثيرين للفتنة والحرب، وعرض عليه مبلغ مالي قدره 25000 بياستر، وبشكل سري نظرا لوضع قنصلنا هناك..."[3].

وفي رسالة أخرى بتاريخ 13 سبتمبر 1694م من القنصل روني لوميير René Lemaire إلى الكونت بورتشارتان يخبره بقدوم سفن إنجليزية إلى الجزائر في سبتمبر 1694م وسلمت مبلغ 25000 قرش نقدا، و25 برميل بارود، و ألف(1000) قذيفة مدفعية، 500 قنبلة يدوية، صناديق مليئة بالمدافع، بنادق ومسدسات إلى الديوان حتى يعلن حكام الجزائر أنهم ضد فرنسا، وقد قاموا بتفريغ الشحنة في وضح النهار لإظهار هذا للشعب وبشكل أفضل جلبوا كل الاحتياجات للقيام بالحرب ضد أعداء الإيالة، في حين صرحوا بصوت مرتفع أن الفرنسيين يجلبون مؤن للتونسيين، كما يذكر القنصل لوميير أن السكان المنتشرين في كل النواحي لم يتمكنوا من القيام بأي شيء رغم مهارة

---

[1] استنجاد محمد بن شكر خليفة باي تونس بالداي شعبان ضد الباي محمد بن مراد سنة 1693م، انظر: عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام** ، ج2، المرجع السابق، ص 203.

[2] يقول القنصل سورهايند أن الداي أراد الاستيلاء على ممتلكات كل الفرنسيين القاطنين بتونس وأنه قد وعد الجنود بالاستحواذ على سلعهم، مرتكزا في ذلك على المعلومات الحائز عليها، وهي أن عددا من السفن الفرنسية قد جلبت مؤنا حربية إلى محمد باي وقد أضاف أن الداي شعبان قد عاتبه عتابا شديدا حول تصرفات الجنود وخرق الحياد بيننا، كما اشتكى الداي علاوة على ذلك إلى موظفي الباستيون الذين أعلموا التونسيين عن كل ما حدث، رسالة سورهايند إلى الكونت بونشارتان بتاريخ 27 أوت 1694م. أنظر: اوجان بلانتي، **مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1579- 1700**، ج3، تر: سلامنية بن داود، قوشام حفيظة، دار الوعي للنشر والطباعة، الجزائر، 2013، ص 82.

[3] E Plantet, **Correspondance des deys de Tunis et des consuls de France avec le cour 1577- 1830**, T3, Félix Alcan édition, paris, p 505.

القنصل الانجليزي[1]، لقد كان الداي شعبان متخوفا بشكل جلي من قطع العلاقات مع فرنسا والذي أراد القنصل الانجليزي الحصول عليه منه فقد رفض هذا الأخير اقتراحاته بكل فخر وتعالي رغم المنافع والهدايا التي منحها عدونا– يقصد هنا الإنجليز– وبمله من هوسه قام الداي شعبان بطرد القنصل الانجليزي بالقوة، وأخبره انه لا ينبغي عليه تعليمه قوانين الأعراف الدولية، وأن الملك الفرنسي صديقه وهو لا يرغب في إزعاجه بهذا النوع من المسائل "... و بهذا الحدث أضاف القنصل لومبير بحزن انه سيتخلص من هذه الأمة فقط لو كان لديه القليل من الأموال ..."، لكن كاهله مثقل بالديون[2].

ويقول الداي شعبان لا ينبغي على أي قنصل أجنبي مقيم ببلانا أن يحشر أنفه في مسائل الأتراك، فقد يستحق دخيل مزعج كهذا القنصل– يقصد هنا القنصل لومبير– الذي يقوم بإهانة وتشويه سمعة سيده، أي عقوبة قد تسلط عليه، إذ يصف القنصل لومبير بأبشع الصفات، فغير معقول أن يتم إرسال ستة سفن محملة بالمؤن الحربية للدولة الفرنسية، إلا إذا كنتم تزعمون الصداقة معنا بغية أذيتنا[3].

ويصرح القنصل لومبير بالقول: "... لما أصر الداي على لومنا بخصوص المساعدات المزعومة التي تحصل عليها محمد باي..."، تمكن القنصل لومبير من جهته من تثبيط إرادة الجزائريين الرامية لفعلة غادرة من قبل ضباطنا، فقد عبر رجال الديوان كذلك عن أسفهم نتيجة الاعتقادات التي أوحيت إليهم دون تبريرات جادة، لما علموا أن السفن التي كانت راسية بالميناء كانت تتبع لأسطول الملك[4].

من جانب أخر دوما ما كان القنصل لومبير يشتكي من مواقف الداي أحمد وشكوكه حول بعض أعماله، لقد أراد الداي احمد اجبار ترجمانه على مشاركة بعض فوائد استشارته مع ترجمان القنصل

---

[1] اوجان بلانتي، مراسلات دايات الجزائر، المرجع السابق، ص 85.

[2] نفسه، ص 91.

[3] نفسه، ص 106.

[4] رسالة موجهة إلى الكونت بونتشارتان مؤرخة بتاريخ 28 سبتمبر1694م، (أرشيف الشؤون الخارجية، قنصليات تونس والجزائر).

الانجليزي رفضا منه بقاء المسيحيين تحت الحماية الشاملة لحكومة فرنسا، فطلب من أحد الحراس أن يجلب بالقوة القنصل الانجليزي والقنصل لومبير إلى الديوان لحل بعض المسائل العالقة، في تلك الأثناء حل ترجمان السيد كليرامبولت Clairambault بالجزائر وتوجه مع القنصل لومبير ليقدمه إلى الداي أحمد، لكن هذا الأخير غضب غضبا شديدا وأتهم القنصل لومبير بجلب الجواسيس من القسطنطينية، في هذه الظروف ارتأى وزير الخارجية الفرنسية أن يتخذ بعض التدابير لإصلاح الوضع، فكتب للقنصل البائس لومبير مخبرا إياه أنه سيقوم بإرسال السيد دوسولت Dessault لإصلاح الوضع مع الداي[1]، وتحسين مزاجه، وطلب منه أن يتحمل تصرفاته، مضيفا أنه من الضروري تحمل مزاجه السيئ، ونظرا لسنه الطاعن لا يسمح بردعه وليس في نيته الأذية، هنا فقط أضطر القنصل لومبير إلى الحصول على الهدايا التي تمنحها عادة الغرفة التجارية المرسيلية بغية التهدئة من روع الداي الحاج احمد، حيث تمثلت الهدايا في ما يلي: 92 قطعة قماش مشجر، 112 قطعة حرير، 72 قطعة مخمل، صندوق تفاح كبير، كيس كستناء، 24 علبة مربى، 132 قارورة مشروب و 6 أزواج من البنادق[2].

ومن جانب آخر كلف القنصل لومبير بشكل سري من قبل حكومته بالتوصل إلى وقف السلم بين الهولنديين والجزائريين، و العمل على إيقاف مبعوث الجزائر من الذهاب إلى هولندا لتسوية معاهدة السلم معهم، وذلك بتاريخ شهر جوان من سنة 1695م، كما رخص له أن يَعِد الداي ورجال ديوانه بتسديد مبلغ 6000 قرش لصالح الداي و مبلغ 1000 قرش لفائدة الكاتب الكبير، 1000 قرش إلى الضباط الأكثر تأثيرا في الديوان، وهذا بقصد الإعلان عن الحرب ضد انجلترا، وفيما يخص هذه القضية يؤكد القنصل لومبير لكاتب الدولة والبحرية أننا سننجح في مساعينا و نحن في انتظار عودة

---

[1] Devoulx, Albert, **Les Archives du consulat**, op cit, p 19.

[2] بيان نفقات لومبير الاستثنائية لسنة 1696م، أرشيف الشؤون الخارجية، مفتشيه التجارة بمرسيليا، انظر: اوجان بلانتي، مراسلات دايات الجزائر، ج3، ص ص 228- 229.

الداي من الحملة على تونس لتحقيق كل رغباتنا، فإذا رفضوا طلب الملك بعد كل هذه النعم التي منحها لهم وكل ما قدمه لهم من هدايا، فيعتبرون من أكبر الجحاد[1].

كان اهتمام الجواسيس يكمن في معرفة أسرار الساحل الجزائري وخاصة مدينة الجزائر المحصنة، والتي تسمت بالمحروسة، وهذا بسبب عجز الأوروبيين طيلة ثلاث قرون عن احتلالها حيث فشلت جميع مساعيهم عبر كافة الحملات، عندها قام الجواسيس بدراسة مستفيضة لجل التحصينات والأبراج ومواقعها، وعدد المدافع، وطول مرماها، وأساليب استعمالها، ثم احتمالات غزوها برا أو بحرا، كما اهتموا بنشاط البحرية الجزائرية ومكامن القوة فيها، وأشهر رياسها، وهنا عملت الجزائر على مطاردة الجواسيس عن طريق اليقظة والحصول على أخبار الأعداء بواسطة عيون خاصة تعمل لصالح الداي في البلدان الأوروبية، فقد كان المسئولين الجزائريين يقفون لهم بالمرصاد لكل مخطط يرمي إلى الطعن في سيادة إيالة الجزائر ووحدتها والمس بقوانينها الصارمة، وباعتراف القنصل لوميير قال: "... إن الجزائريين حذرون لأقصى درجة، وأن أي جولة في مكان منعزل أو مشبوه من قبل الأجانب سيثير شكوكا حوله، لا سيما قناصل الدول الأوروبية وعمالهم، كما كان اهتمام الأوروبيين بالحصون وبضاحية الجزائر..."[2].

ومن بين التعليمات التي اعتمدها الداي، وهي تعيين منصب الترجمان من طرف الداي نفسه، فلم يكن للممثلين الدبلوماسيين لحق في اختيار من يتقن اللغة التركية والعربية، وبهذه الطريقة استطاعت حكومة الجزائر أن تزرع داخل أوكار الجوسسة من يطلعها باستمرار على ما يجري فيها، فأدى هذا إلى تذمر الدبلوماسيين من هذا المنصب الخطير، فأضطر بعض القناصل إلى ملاطفته أحيانا، وتكريمه مرات أخرى، رغبة منهم في استمالته ليكون جاسوسا لهم لا عليهم، وبهذا تحايل القناصل في

---

[1] اوجان بلانتي، مراسلات دايات الجزائر، ج3، ص 129.

[2] أحمد السليماني، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994، ص 72.

إخفاء جل أعمالهم على هذا الموظف الغير مرغوب فيه، وجاء في بعض معاهدات التجارة والسلم مع إيالة الجزائر حق القنصل في اختيار الترجمان الذي يريد، لقد كانت هناك رقابة شديدة من طرف العسكر الجزائري ضد الأجانب، فكان وراء كل أوروبي شرطي يتتبع خطواته، عندها أحس الجواسيس بالمضايقة، وقد كتب الضابط بوتان في إحدى رسائله: "... ذكر المبعوث الروسي قريقورفيتش حينما وصل ميناء عنابة سنة 1777م، أنه بمجرد ما توقفت السفينة جاء الشاوش يسأل عن جوزاتنا ومن أين أتينا والى أين نتجه وسألوا عن شحنة السفينة، كما طلبوا من ربان السفينة أن يؤدي اليمين ويقسم بأن ما ذكره صحيح وإلا سيكون مصيره شديدا..."، كما قامت الجزائر كذلك بتثبيت عيون مدربة على قراءة رسائل القناصل الوافدة لهم والمبعوثة إلى حكوماتهم، ويقول دوفال في أحد رسائله: "... أمام هذا الصعوبات التي ألقاها في المراسلة المباشرة بين الجزائر وفرنسا، لم يبقى سوى طريق مختلف، إلا أن الرسائل في هذه المدينة تفتح بالعطر ويعرف ما بداخلها من أخبار من طرف المختصين، ثم تغلق من جديد بطريقة غير لائقة..."[1].

لقد كانت الجزائر دائما تسعى إلى تطوير علاقات التعاون مع فرنسا، لكن فهم هذا المسعى فهما خاطئا سواء على مستوى القناصل أو على مستوى الخارجية في باريس ووصف ذلك بدافع الضعف والاحتياج للملك الفرنسي، وعلى هذا الأساس يجب استغلال هذه الظروف، ومن علاقة الند للند إلى علاقة التبعية والانقياد، وظهر هذا جليا من خلال تصرفات القناصل بالجزائر وبسلوك وتصرفات غير معهودة لم يسبق لأي قنصل فرنسي أو أي قنصل أوروبي أخر أن أتصف بها، فلم تكن حكومة الجزائر لتسمح بذلك أو تسمح له بتجاوز الخطوط المرسومة له، والتي ضبطتها المعاهدات والأعراف والتقاليد الدبلوماسية التي كرسها مبدأ العلاقات المعهودة مع فرنسا، وفي هذه الأثناء نجد أن القنصل جانبون سانت أندري يبدو و كأنه شذا عن القاعدة المعروفة، و يعود ذلك إلى التعليمات التي زود بها

[1] أحمد السليماني، المرجع نفسه، ص 73.

من حكومة فرنسا، حيث أوعزت إليه بأنه يمكنه أن يغير ويبدل ويتصرف حسب مزاجه و هواه ضاربا كل القوانين الدبلوماسية عرض الحائط، وبهذا أعتبر نفسه غير ملزم بكل الأعراف[1].

من هذا المنطلق أخذت عليه السلطات الجزائرية بأنه غير مؤدب وتنقصه اللباقة في تعاملاته مع محيطه سواء الاجتماعي أو على المستوى الدبلوماسي كما نعت بعدم تخلقه وسوء تأدبه، وهذا عندما كان يطلق للسانه العنان، ذاما وقادحا في الكل ولم يسلم من لسانه حتى الداي، فكثيرا ما كان يتعرض له بالنقد والتجريح في أحاديثه الخاصة ومع عامة الناس، إضافة إلى طبعه الحاد الذي كان يدفعه للدخول في خصومات وشجار مع من يتعامل معهم سياسيا، كما يؤخذ عنه النزوع للمبالغة وحتى الكذب، هذه الصفة الأخيرة لم ينفيها عنه حتى المقربين منه، فهذا خليفته في مركز القنصلية القنصل مولتيدو أشار إلى الطبع الذي لمسه عند سلفه في عديد المراسلات مع حكومته، وهذا ما يتأكد حسب وجهة نظري وحسب ما تتبعناه في عديد الدراسات سواء منها العربية والغربية وجود احتمال كبير جدا أن عدد لابأس به من المراسلات مع حكام فرنسا أو مع الغرفة التجارية المرسيلية، يكون بها معلومات مغلوطة معتمدة على إثارة الفتنة واختلاق أزمات وهذا ما شاهدناه من خلال تلك الحملات المتتالية تباعا من فرنسا على الجزائر بسبب أو دون سبب[2]، ومما ينذر بالسخط على تصرفات القنصل أنه كان يرفض الذهاب إلى الداي عندما يطلبه ويصر عليه مناقشة كل المسائل العالقة معه شخصيا دون غيره، وعند امتناعه مرات ومرات، أدى بالداي حسن باشا إلى مكاتبة المديرية التنفيذية

---

[1] حمدون بن عتو، **الصورة السياسية، المرجع السابق**، ص 128.

[2] لقد سجلت إيالة الجزائر هذا السلوك على القنصل جانبون في إطار تعامله معها كونه كثيرا ما كان يطلب أشياء باسم حكومته ليتبين فيما بعد أنه طلبها لينتفع بها هو شخصيا أو يوزعها على أصدقائه. أنظر، جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830**، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1997، ص 78.

بشأنه ومحاولة منه حول إمكانية تغييره بقنصل جديد مكانه[1]، في حين يرى القنصل جانبون أن سبب توتر علاقاته مع السلطات الجزائرية يعود لكونه لم يقدم الهدايا القنصلية إلى الداي[2].

المبحث الخامس: المراكز التجارية (الباستيون) ودورها في عملية التجسس:

1: تأسيس مركز الباستيون:

نجحت شركة لنش المرسيلية والتي أسسها التاجران توماس لنش Thomas Lench، والذي عرفت الشركة المالكة باسمه وشريكه وكارليين ديدييه Carlin didier من إنشاء الوكالة سنة 1524م حسب المؤرخ شارل فيرو Charles Féraud وذلك بعد موافقة السلطنة العثمانية وحكام الجزائر، وكان بداية نشاطها قائما على صيد المرجان وتجارة القمح، الحرير، الجلود، الشمع، كما عرفت كذلك باسم امتيازات افريقيا Concessions D'Afrique، ويحدد فيرو موقعها بين رأس الحمراء شرقا و الواد الكبير غربا، حيث بنا التاجران الباستيون Le Bastion أي الحصن الصغير، ثم أصبح يعرف باسم حصن فرنسا Bastion de France[3]، بينما يؤكد الأب دان Pierre Dan أن تاريخ إنشاء الباستيون كان سنة 1561م، وكان توماس لنش يدرك أهمية الثروات التي تزخر بها الشواطئ الجزائرية، فأصبح يخطط لأجل الانفراد باستغلالها إلى أن قام صالح رايس بتدمير الحصن سنة 1551م وكان هذا أول تدمير لمركز الباستيون[4].

---

[1] إن رسالة الداي التي استدعى فيها القنصل كانت بتاريخ 22 أكتوبر من سنة 1797م ورسالة اعتماد القنصل الجديد مؤرخة في 28 نوفمبر من نفس السنة مما يجعل من الصعب ترجيح احتمال كون قرار استدعاء القنصل قد اتخذ قبل علم المديرية التنفيذية، انظر:

E Plantet, **Correspondance des Deys d'Alger**, op cit, T2, p p 470-472.

[2] جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية**، المرجع السابق، ص 79.

[3] Charles Féraud, **Histoire des villes**, op cit, p 92.

[4] جودي زكريا، " دور الباستيون في النزاعات العسكرية بين الجزائر وفرنسا في القرن 17 "، **مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية**، مجلد 4، عدد 1، مركز البحث للدراسات العسكرية، الجزائر، 2022، ص 41.

كان الباستيون يحتوي على العديد من المرافق، كالمستودعات، الكنيسة، المقبرة، المستشفى، قلعة، حيث وصف بيار دان الباستيون قائلا: "..... هناك ساحتين في الباستيون، الأولى واسعة ناحية الشمال يوجد بها مستودعات القمح وسلع أخرى إضافة إلى غرف الضباط، أما الساحة الثانية فهي قريبة من الشاطئ، ويتم فيها وضع السفن، كما توجد كنيسة تحمل اسم القديسة كاترين Saint Catherine في أخر الساحة، وفي أعلاها يوجد غرف الرهبان وأمامها يوجد المقبرة على جانبها قليلا بين الكنيسة والحديقة يوجد مستشفى لمعالجة مرضى الباستيون، كما توجد قلعة تحتوي على خمسة مدافع من النوع المتوسط ويوجد بها غرف للحراسة...."[1].

نستنتج من خلال هذا الوصف، أن هذا الامتياز كان ظاهره اقتصادي تجاري، لكن خلفيته تتعدى ذلك، خاصة أن شركة لنش كانت تتصرف وكأنها في بلد محتل، مخالفة بذلك كل الاتفاقيات المبرمة، وهذا بتجارتهم بمادة القمح وهو نشاط ممنوع حسب الاتفاقيات المعهودة بين الجزائر وفرنسا[2].

2: انتهاك فرنسا للمعاهدات الخاصة بالباستيون ورد فعل إيالة الجزائر:

بعد ما تمت عملية ترميم الحصن على يد تاجرين من مرسيليا، وهذا بعد إذن الباب العالي ومفاوضات جديدة مع حكام الجزائر، فقد تبين مع مرور الوقت للعيان أن نوايا الشركة الفرنسية من وراء عملية استغلال الحصن إذ أنها لم تكن بغرض التجارة في مجال المرجان فقط، بل كانت تستخدمه لاستغلال ثروات الجزائريين بدون مقابل ولأغراض استعمارية بحتة والدليل على ذلك عدم احترام الفرنسيين لبنود المعاهدات، فأقاموا حصون ومدافع داخل الباستيون وخارجه وهو منافي لشروط الاتفاقيات المبرمة مع إيالة الجزائر والتي تنص صراحة بعدم تحصين المركز التجاري، ولهذا كان الرد حاسما دوما

[1] Pierre Dan, **Histoire de Barbarie et de ses corsaires**, pierre récolte, 2eme édition, paris, 1664, p 54.

[2] Charles André julien, **Histoire de l'Afrique du nord des origines a 1830**, édition, Talankit, bejaia, 2015, p 625.

من طرف حكام الإيالة ضد هذه الانتهاكات، حيث أمر الداي خضر باشا بتدمير الحصن سنة 1604م، وذلك بعدما أمر حامية عنابة بتخريب الحصن وأسر موظفيه، وتشير أغلب الدراسات التاريخية إلى عدم احترام الشركة الفرنسية للاتفاقيات التي تنص على نشاط صيد المرجان فقط[1]، لكن الشركة تجاوزت نشاطها وعمدت إلى شراء الحبوب بأسعار زهيدة لتصدره بعد ذلك إلى مدينة مرسيليا مدرة بذلك أرباح طائلة ومتجاهلة أوضاع البلاد العصيبة وما كان من مجاعات وأوبئة خلال تلك الحقبة[2]، ونتيجة لذلك تدخلت فرنسا لدى السلطان العثماني لإعادة بناء الحصن، لكن دون جدوى، كما أرسلت مبعوثا خاصا إلى إيالة الجزائر لإعادة ذلك الامتياز، لكنه فشل في مساعيه، رغم إيفاد الباب العالي لكبير بوابيه رفقة السفير الفرنسي دي بريف De Bréve في هذه المهمة الشاقة للجزائر[3]، كذلك فقد أفرزت الأحداث المأسوية التي تعرض لها أفراد البعثة الجزائرية بفرنسا سنة 1620م، هذا الحدث أوجد وضعا جديدا لم يؤثر على فرنسا فحسب، بل شمل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وأضحى مجالا مستجابا للبحارة الجزائريين الذين وجدوا في هذه التطورات الأخيرة فرصة ذهبية للانتقام من السفن الفرنسية وحتى الأوروبية منها، والحاملة خصوصا للراية الفرنسية، كما توالت أعمال القرصنة على الساحل الفرنسي، طولون ومرسيليا خصوصا، لقد بقيت الخلافات بين فرنسا والجزائر عالقة حتى تاريخ 29 سبتمبر 1628م، وهذا بعد عامين من المفاوضات العسيرة بعد أحداث مجزرة البعثة الجزائرية، حيث كلف رجل من أصل كورسيكي وهو السيد سانصون نابلون Sanson Napolon، قد تحصلت فرنسا بموجبه على اتفاق جديد متمثل في احتكار فرنسا للتجارة وصيد المرجان، عندها تم إعادة بناء الباستيون في المكان الذي كان متمركزا فيه سنة 1561م مع إلزام فرنسا بدفع اللزمة المقدرة ب 16000 جنيه (Livres)، كما

---

[1] مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964، ص 139.

[2] مشوشة سمير، " ثنائية الجزائر وأوروبا بين التقارب المصلحي والتباعد العدائي في الحوض المتوسطي خلال القرن 11هـ/ 17م"، **مجلة مدارات تاريخية**، مج 1، عدد 3، 2019، ص 286.

[3] لكحل الشيخ، **نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من ق 17م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: إبراهيم سعيود، جامعة غرداية، 2012-2013، ص 68.

ينص هذا الاتفاق بعدم تحصينه مجددا، إلا أن نابليون جعل منه حصنا حقيقيا يقوم من خلاله بالتجسس على الإيالة[1].

الجدير بالذكر أن القناصل الفرنسيين كانوا يتتبعون ويراقبون عن كثب كل النشاطات التجارية التي كانت تتم في مختلف الموانئ الجزائرية، كما كانوا يرسلون تقارير مفصلة إلى مختلف الهيئات الفرنسية[2]، وعلى الرغم من كل التسهيلات والامتيازات التي منحت لفرنسا، إلا أنها كانت دائمة الانتهاك للمعاهدات المبرمة الخاصة باستغلال الباستيون، ففي سنة 1629م قامت سفينة فرنسية بالاستيلاء على سفينة جزائرية وأخذ كل طاقمها إلى مقاعد التجديف، أما الرايس رُحل أسيرا إلى فرنسا[3]، ولذلك قام الديوان مطالبا بإرجاع هؤلاء الأسرى وهذا ما نصح به سانصون نابلون حكومته، إلا أن تعنت الفرنسيين دفع بالجزائريين إلى ردة فعل حازمة، فقام البحارة الجزائريين بالإغارة على شواطئ بروفانس الفرنسية، حيث تم تحرير مجموعة من الأسرى الجزائريين، وفي خضم هذا الصراع القائم تم اغتيال السيد سانصون نابلون، فامتنعت فرنسا عن تعيين خليفة له في هذه الأثناء[4].

وبعد موت سانصون نابلون أصبح المجلس الملكي الفرنسي أمام خيارين، إما إعلان الحرب على إيالة الجزائر، ويكون ذلك بإرسال حملة عليها بهدف القضاء على البحرية الجزائرية التي أصبحت تكبدهم خسائر فادحة، والخيار الثاني وهو إعلان حالة السلم مع الجزائريين، وفي هذا نجح أصحاب الخيار الثاني في فرض منطقهم نحو تحكيم العقل، وهذا ليس حبا في السلم، بل الخوف من المجازفة خصوصا

---

[1] F. Elie de La Primaudaie, "Le commerce et la navigation de l'Algérie", **Revue Algérienne et coloniale**, 1860, p326.

[2] أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص 71.

[3] H De Grammont, "La mission de Sanson napollon 1628-1633", **in R A**, vol 23, p371.

[4] Ibid., p 417.

أمام ضعف البحرية الفرنسية في تلك الفترة، بعد كل هذا السجال بين السلم والحرب قررت حكومة فرنسا وبأوامر من الملك، إرسال مبعوث أخر للجزائر وهو السيد سانصون لوباج Sanson le page خلفا لنابلون المقتول ليباشر أعماله بحصن الباستيون ومن هذا المنطلق أبحر لوباج بتاريخ 12 جويلية سنة 1634م نحو الجزائر مرفقا بالراهب بيار دان، حيث تمثلت مهمته في استرجاع السفن المستولى عليها وتحرير الأسرى الفرنسيين، لكن مهمته فشلت فعاد إلى مرسيليا بتاريخ 9 أكتوبر من نفس السنة وهذا بعد زيارة خاطفة للباستيون[1]، ويمكن إرجاع فشله لطلب فرنسا الإفراج على ثلاثمائة واثنان وأربعون أسيرا فرنسيا مقابل ثمانية وستون أسيرا جزائريا، وهذا الطلب أعتبره الجزائريين غير متكافئ، وأمام هذا الرفض أصبحت فرنسا تتصرف بعدوانية أشد، ومن هذا المنطلق قامت الإيالة بتدمير الحصن تحت قيادة علي بتشين وتم ذلك في أواخر شهر ديسمبر من سنة 1637م وأسر حوالي ثلاثمائة وسبعة عشر من عمال الباستيون[2]، ومن أبرز الاستفزازات الفرنسية للجزائر حادثة دومنتان De Mantin وهو ما توضحه الرسالة الموجهة من طرف يوسف باشا إلى الملك لويس الرابع عشر سنة 1639م، وخلال هذه السنة كلف البلاط الملكي الفرنسي السيد دوكوكيل De Coquil بمهمة التفاوض مع الجزائريين وإعادة نشاط الباستيون في الشرق الجزائري من جديد، وقد اتفق الطرفان بأن تكون اللازمة المدفوعة من طرف نشاط الباستيون مقدرة بأربعة وثلاثين ألف دبلون وتم التوقيع على المعاهدة في السابع من شهر جويلية سنة 1640م[3].

ويرجع بعض المؤرخين سبب إبرام المعاهدة إلى الضغوطات التي مارسها السكان المحليين الذين رفضوا دفع اللازمة بعد تدمير الباستيون وتوقف تجارتهم، كما ساهمت أحداث ثورة ابن صخري سنة

---

[1] H De Grammont, "La mission de Sanson Le page 1633-1646", **in R A**, vol 23, p 432.

[2] جودي زكريا، **دور الباستيون، المرجع السابق**، ص 42.

[3] F élie, de la primaudie, op cit, p 468.

1639م والتي يذكر أحداثها شارل فيرو[1] في توقيع هذه الاتفاقية، فقد جاءت هذه المعاهدة لتعلن على حالة السلم بين فرنسا والجزائر بعدما شهدت مرحلة من التوتر والاحتقان، حيث نصت على شقين، الأول سياسي ينص على تبادل الأسرى الجزائريين الذين تم أسرهم من طرف المراكب الفرنسية، مقابل الفرنسيين الذين تم أسرهم في مركز الباستيون واسترجاع الحصن في مسكاريس المشهور بالقالة، ورأس الحمراء وميناء بونة[2]، مع تبادل التحية بين السفن الجزائرية والفرنسية في حال التقائهم والسماح برسو المراكب

[1]Charles Féraud, "Époque de L'établissement des Turcs à Constantine", **in R A**, V10, 1866, p179.

[2] بعض مراكز الباستيون:

_القالة(La Calle) : وهي أول مركز طالب الفرنسيون بضمه إلى الباستيون، وهذا لقربه من الوكالة، وقد استعمل كمحطة وملجأ للسفن الفرنسية لأن تضاريس ساحل الباستيون لم تكن تسمح بالرسو المريح للسفن، كما كانت تظم مخزنيين كبيرين وحامية مكونة من قائد وأربعة عشرة ضابط ويذكر الأب دان أنها تقع على بعد سبعة أميال شرق الباستيون.

_وكالة عنابة(Bone): قامت فرنسا بشرائها من عوائد الباستيون وكانت كبيرة وفسيحة تقوم بتشغيل خمس وكلاء وعدد من العاملين ، كما هناك نفقات تغطي كل ما يلزم لصيانة الوكالة وتغطية النفقات، حيث يعطى مبلغ خمسة ألاف جنيها لرؤساء الوكالة إضافة إلى مبلغ ثماني مائة جنيه لرؤساء الحامية التركية وجنودهم، وذلك للاحتفاظ بهم كأصدقاء في الأعمال التجارية .

_سكيكدة أو سطوره (STora): يعتبر خليج سطورة والذي بنى الفرنسيون على ضفافه مدينة سكيكدة من أولى المراكز التجارية لدى فرنسا، ولم يكن الوحيد الذي نصت عليه معاهدة الامتيازات وحسب المصادر فإنه كان من المناطق المفضلة لدى الفرنسيين لصيد المرجان وذلك لغناه وجودة مرجانه، كما أن نشاط ميناء سطورة كان لا يقتصر على تجارة المرجان فحسب بل تعداه إلى أنواع أخرى مثل الخيول والجلود والشمع وغيرها.

_ الرأس الوردي (Cap Rose): يقع على بعد حوالي 18 كم غرب الباستيون ويمتد داخل البحر مكونا الحد الشرقي لخليج عنابة ويعتبر هذا المكان عبارة عن قلعة أقرب منه إلى مركز تجاري، حيث يعد من أشد الأماكن في عنابة تحصينا ويقيم فيه ضابط وجنود مقابل 31 جنيها للشهر للضابط وتسع جنيهات للجنود، كما يقيم معهم مترجم وقادر على استيعاب جنود إضافيين في حالة وجود خطر، وحسب التاجر جاك سافاري فإن المركز يقع في أراضي قبيلة الشيخ مبارك وبالتالي فهو يعمل على تامين مرور السلع المشترات من الأهالي مقابل دفع مبلغ مالي لهذه القبيلة.أنظر : لكحل الشيخ، **نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية**، المرجع السابق، ص ص 23-24

الفرنسية بالموانئ الجزائرية، كما جاء في البند الخامس عشر حماية مسلمي الأندلس وإعطائهم حرية المرور نحو الجزائر[1].

أما الشق الثاني وهو التجاري الخاص بالباستيون، ينص على السماح بإقامة مباني محصنة في الأماكن المذكورة سابقا، وهذا للدفاع على نفسه من الأجفان الإسبانية أو غيرها، وهو ترتيب يسمح بإقامة منشأة عسكرية، وكان هذا امتياز على درجة كبيرة من الخطورة بالنسبة لإيالة الجزائر، حيث ستعمد الإيالة إلى تدارك هذا الخطأ في المعاهدات اللاحقة، كما يسمح للسيد دو كوكيل بالاستئجار في كل من بونة والقل منازل ومخازن لإيواء رجاله القائمين على أمور التجارة وتنص المعاهدة على منع التجار الفرنسيين من تجارة القمح، وهذا ما لم يتنازل عنه الجزائريين، إلى جانب تمتع متعهدي الباستيون من جنسيات أخرى بنفس الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون، وإذا حدث خلاف قد يؤدي إلى نشوب حرب فلن يتحمل أفراد الحصن أية مسئولية في ذلك، وبهذا فقد حافظ السيد دوكوكيل على هذا المكسب الذي سيعود عليه بالنفع الكثير وعلى مسار التجارة بين فرنسا والجزائر، هذا إلى غاية تنازل السيد دوكوكيل عن الباستيون لصالح توماس بيكي Thomas piqué وهو تاجر من مدينة ليون والذي أصبحت له ديون كبيرة لم يستطيع تسديدها، فقام الباشا بتهديده اذا لم يسدد ماعليه من ديون، لكنه هرب إلى فرنسا مختطفا أربعة من الشواش، كان الباشا قد كلفهما بنقل رسالة تهديد له، ومعهم خمسون فردا جزائري قدموا للمطالبة بديونهم، ويرجع بعض المؤرخين سبب هروب السيد بيكي بعد إصابته بالذعر والخوف لما أشيع على أن الباشا سيرسل له العساكر لهدم الباستيون وقتل جميع من فيه، وكرد فعل على هروب السيد بيكي قام الباشا بإلقاء القبض على القنصل الفرنسي وسجنه، إلى غاية ايضاح الأمور من طرف حكومة فرنسا[2].

[1] جودي زكريا، المرجع السابق، ص 44.

[2] عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون....، المرجع السابق، ص 379.

وأمام هذه الأحداث المتتالية التي تهدد مصالح فرنسا في الجزائر، سارعت إلى التنديد بهذا الفعل حفاظا على مصالحها، وبهذا قام الملك الفرنسي لويس الرابع عشر بإرسال جميع الأسرى الجزائريين إلى بلادهم، وفي 14 جوان من سنة 1669م، أرسل الملك الفرنسي السيد لويس كانبون Louis Campon لتعويض السيد توماس بيكي، كما قام الدوق دي قيز Duc Deguse بإرسال بيار روميناك Piérre Romignac سنة 1661م لبعث مفاوضات جديدة مع إيالة الجزائر[1]، حيث جاء إلى الجزائر بمهمتين الأولى واضحة، وهي متمثلة في قضية المختطفين من طرف السيد بيكي، و المهمة الثانية غير واضحة حيث كلف السيد كامبون بالتفاوض بدون ذكر اسم الملك، وهذا راجع إلى وجود رأيين حول طبيعة السياسة المنتهجة اتجاه الجزائر بين إعادة السلم أو اللجوء إلى الحرب كوسيلة لتأديب حكام الجزائر وقد استقبل روميناك أحسن استقبال من طرف حكام الجزائر مدة سبعة وعشرون يوما إلى أن تم الاتفاق على معاهدة 9 فيفري 1661م[2].

وفي سنة 1664م أرسل الملك الفرنسي حملة عسكرية إلى مدينة جيجل لاحتلالها، لكنه فشل في ذلك وتلقى هزيمة نكراء حطمت معنويات جنوده، وهذا ما نستشفه من خلال رسالة الأسير لوقران Legrand لأخيه، حيث يروي له فيها عن أثر الهزيمة على نفوسهم فيقول: ".... إن الشعور بالفخر والاعتزاز على أشده، فهم يعتقدون كونهم ملوك العالم، ونحن لا نتجرأ على رفع رؤوسنا، فالأطفال يقذفوننا بالحجارة والرجال والنساء يهددوننا بألفاظ عدوانية، ويقولون بأن هنا الرؤوس تقطع بالمناجل وهذه العبارات يترنمون بها على شكل أغنية تتلى باللهجة الفرنكاوية وبلغة أهل البلاد، إنني أعتقد أن لهم الحق

[1] **Mémoire du chevalier D'arvieux**, op cit, p61.

[2] Paul Masson, " Histoire des établissements et du commerce (1560− 1793)", **libraire hachette et Cie**, paris, 1903, p 115.

في ذلك على اعتبار أننا أعداء في الجنس والعقيدة، ولك أن ترى سخرية الاسبان التي لا تحتمل فهم يقولون أشياء بشعة في حق الملك وعلى كل الأمة الفرنسية...."[1].

لقد كانت خيبة الملك كبيرة جدا بعد هذه الهزيمة، وهذا حسب ما جاء في الرسالة التي وجهها السيد دو شامبيني De champigni والمؤرخة في 16 نوفمبر 1664م، حيث يطلب فيها تقريرا عن أسباب الهزيمة وخوفا من انتشار أخبار الهزيمة في الأوساط الأوروبية أعطى الملك أمرا يقضي بالتزام الصمت فيما يخص قضية جيجل[2]، ولم يبقى لدى الملك لويس الرابع عشر إلا عقد معاهدة الصلح مع الجزائر وهو صاغرا، و تم عقد معاهدة 1666م[3]، كما ساهم السيد جاك أرنوا Jaques Arnault بعقد هذا الاتفاق وكمكافأة على المجهودات الجبارة التي قام بها السيد جاك لحل الخلافات بين الطرفين عين حاكما على الباستيون[4].

ومع حلول سنة 1670م تدهورت العلاقات مع حكام الباستيون، فعادت قضية الباستيون من جديد إلى الواجهة، فالفرنسيون لم يتمكنوا من ايجاد طريقة واضحة تمكنهم من استغلال نشاط هذا الامتياز لمصلحتهم ولمصلحة الخزينة الجزائرية، وهنا نجد أن جاك أرنوا عجز عن سداد اللازمة لتسيير الباستيون و في خضم هذه الأحداث وبالتشاور مع الداي سمح له بإقامة شركة خاصة بالباستيون تتكون من السادة جاك لوماصون Jaques Le Masson، الكسندر دوفاسي Alexandre De Vasé، جاكوب دولافون Jacob De Lafont[5]، لكن الخلاف دب بين هؤلاء الشركاء حول من يقوم بتسيير شؤون الباستيون

---

[1] جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1800- 1830**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 1987، ص 130.

[2] CEuvres de louis 14, **lettres particuliers**, T5, Treuttel et wurtg libraire, Lille, 1806, p 267.

[3] جمال قنان، نصوص ووثائق....، المرجع السابق، ص 284.

[4] Charles Féraud, op cit, p 171.

[5] Mémoires du Chevalier D'arvieux, Op cit, p 63.

وطلبوا من السيد جاك أرنوا العودة إلى فرنسا لتقديم كشف لحسابات الباستيون مدة خدمته والتخلي عن منصبه، لكنه لم يقبل هذا الاقتراح رغم محاولة شركائه لعزله[1]، لكن الداي لم يعجبه هذا الاقتراح نظرا للاحترام الكبير الذي كان يكنه إلى السيد أرنوا، ورافضا تسليمه إلى فرنسا فقد قام هذا الأخير بفتح أبواب المستودعات لتجارة جنوة وليفورن وفي هذه الظروف توفي السيد أرنوا متأثرا بالحمى، فأقترح السيد دولافون كحاكم للباستيون، لكن الداي رفض تنصيبه بعد اتهامه بالتخطيط مع باي قسنطينة لقتله[2]، وهذا ما جاء في رد الداي على رسالة قنصل فرنسا السيد دي بورديو De bordieu، وهذه الرسالة جاء بها السيد توربين Turbin، ومضمون الرسالة يقول: "... نحن نعترف بصاحب السيادة توربين بصفته مبعوث ملك فرنسا، و بتلك الأوامر التي كشف لنا عنها وهي مقدمة على أنها أوامر صادرة من جلالة الملك الفرنسي، غير أننا لا نريد أن يتفضل بالدخول إلى معقل الامتياز من أجل إدارته وتسييره بدل صاحب السيادة أرنوا، لأنه جاء مصحوبا بالسيد دولا فونت، وفي الأخير سمح الداي بتسليمه امتياز الباستيون بشرط أن يتم توظيف ابني أرنوا بالمستودع، مقابل التنازل عن الباستيون..."[3]، وهنا كان رد الداي حاسما على هذه التجاوزات وذلك بسجن دولا فون إلى حين تسديد الديون التي كان ملزما بدفعها4، فأدى ذلك إلى تنازل الشركاء عن الامتياز، وقاموا ببيع حصصهم التابعة لنشاط الحصن والمتمثلة في الثلاث أرباع، وهذا بتاريخ 31 جانفي من سنة 1678م، سلمت للسيد دونيس ديسولت Denis Dussault، وبذلك طلب دونيس بإعادة نشاط التجارة وصيد المرجان في الباستيون، وهذا بموجب عقد

---

[1] أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ص 122. رسالة قنصل فرنسا إلى الداي مطالبا إياه بتسليم أرنو.

[2] نفسه، ص 266.

[3] F élie, de la primaudie, op cit, p 36.

[4] Paul Masson, Histoire Des établissements, op cit, p 133.

اتفاقية جديدة مع الديوان سنة 1679م وأشترط الديوان أن تكون ديون حكام الباستيون السابقة مصفاة، كما سمح لدوسو بإعادة ترميم الحصن بالصورة التي كان عليها[1].

في سنة 1681م انطلق دوكين Duquesne مرفوق بالسيد هايي Hayet والمكلف بالبحرية الفرنسية ودو فيريل De Virelle مبعوث عن مدينة مرسيليا للتفاوض بشأن تبادل الأسرى، إلا أن فرنسا أخلت بتعهداتها في المفاوضات، وقامت بإرسال الأسرى الجزائريين إلى المشرق في سفن التجديف عوض إرسالهم إلى الإيالة، وهذه الحادثة أثارت غضب الجزائريين، فقام الديوان بإعلان الحرب على فرنسا بتاريخ 18 أكتوبر سنة 1681م[2]، وبذلك قام البحارة الجزائريين بحجز تسعة وعشرون سفينة وأسر ثلاثمائة أسير، عندها رجع دوكين إلى ميناء طولون خائبا في 12 سبتمبر من نفس السنة مخلفا وراءه أضرار طفيفة في ميناء الجزائر[3].

ومع حلول شهر جوان من سنة 1683م عاود دوكين قصفه للمدينة و حملته هذه كانت أكثر عنفا من الحملة السابقة، ورغم محاولة القسيس لوفاشي Le Vacher ومدير الباستيون ديسو عقد السلم بين الطرفين، إلا أنهما باءت كل محاولاتهم بالفشل، وفي هذه الظروف استولى الحاج حسين ميزومورتو[4] على الحكم وهدد دوكين بقتل كل الرعيا الفرنسيين الموجودين بمدينة الجزائر، إذا لم يتوقف الفرنسيون عن قصف المدينة، وكان أول ضحايا هذا التهديد القسيس لوفاشي، حيث تم رميه من فوهة المدفع إلى البحر

---

[1] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص 290.

[2] Henri Garrot, **Histoire Générale de l'Algérie**, P.crescenzo, Alger, 1910, p506.

[3] محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبدالكريم، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 19.

[4] حاكم جزائري : أثناء فترة الدايات عرف بصده لحملة دوكين ووضعه القنصل لوفاشي في فوهة المدفع و بالنسبة للفرنسيين نسبة للحادثة Le consulaire الذي أصبح يطلق عليه بابا مرزوق أو القنصلية

مباشرة، وهذا جراء اشتباهه بإعطاء إشارة إلى أسطول دوكين، ونتيجة لمقاومة الجزائريين لهذه الحملة عاد دوكين خائبا مرة أخرى لفرنسا دون تحقيق أهدافه[1].

عاودت فرنسا التودد مرة أخرى لإيالة الجزائر فأرسلت مبعوثا خاصا من القوات البحرية الفرنسية وهو الفارس تورفيل Chevalier Tourville في شهر أفريل من سنة 1684م والذي نجح في إبرام معاهدتين مع الداي والديوان، الأولى متعلقة بالتجارة واستغلال الباستيون من طرف السيد ديسو والثانية مع السيد تورفيل حول اقرار السلم بين البلدين وضبط العلاقات المستقبلية بينهم[2]، حيث اتفق الطرفان على الشق السياسي ووقف الأعمال العدائية في البحر من طرف الجانبين وعلى تبادل الأسرى، حيث التزم حاكم الباستيون دوسو باستقدام الأسرى الجزائريين وتتم عملية التبادل مع الأسرى الفرنسيين، وأن يلتزم الطرفين بعدم التعرض للسفن من كلا الجانبيين، خصوصا المزودة بجوازات مستخرجة من الاميرالية، كما يتم استقبال السفن التجارية والحربية منها في موانئ كلا البلدين في حالة العواصف أو أثناء التعرض للعدوان الخارجي وتمنح كل أنواع المساعدة، كما منحت الجزائر السيد دوسو حاكم الباستيون حق امتياز استغلال المرجان في القالة، رأس الحمراء، بونة، شتورة، القل، بجاية، جيجل، وذلك نظير مجهوداته في تحقيق السلم بين فرنسا والجزائر بعد الحرب والحملة الأخيرة الفرنسية على مدينة الجزائر بقيادة دوكين[3].

3: دور الباستيون في عملية الجوسسة:

بعدما عهد الوضع إلى السلام والاستقرار بين فرنسا والجزائر وهذا بفضل تدخل السيد دوسو حاكم الباستيون، ثم عادت الأمور إلى التوتر من جديد بين البلدين في عام 1687م، ومن الأسباب

---

[1] Edouard Cat, **Petite Histoire de l'Algérie Tunisie –Maroc**, T 1, Adolphe Jourdan, Alger, 1888, pp 305-307.

[2] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص98.

[3] نفسه، ص 105.

التي أدت إلى هذا التحول في العلاقات للأسواء هي قضية الأسرى التي بقيت عالقة و لم تلتزم فرنسا بما جاء في المعاهدات السابقة الذكر، وهو العمل الذي تجيده فرنسا إما بالتسويف أو المماطلة، خصوصا لما يتعلق الأمر بتسليم أو تبادل أسرى من الطرفين، فهي دائما بحاجة إلى أسرى للتجديف بالسفن الفرنسية أو لاستعمالهم في أعمال السخرة، كذلك من جانب أخر لم ترد على رسائل الداي التي كان يرسلها إلى سينيلي Seignely ابن السيد كولبير Colbert بخصوص الأتراك والجزائريين العالقين في السفن الفرنسية، وبهذا التطور الملحوظ في العلاقات كان التجار المقيمين في معاقل الامتياز يخافون من عواقب حرب جديدة تؤدي إلى خسارة أموالهم وتجارتهم، هنا قام السيد دوسو حاكم الباستيون بمراسلة الداي وحثه على السلم، فجاءه رد الداي بأن يهتم بتجارته ويترك السياسة للرجال الذين يحكمون[1]، ومن هذا المنطلق ذكر المؤرخ جمال قنان أن موقف السيد دوسو هو دور تضليلي مستخدما ما يطلق عليه اليوم بالحرب النفسية، وهذا ما نستنتجه من رسائله التي قام بإرسالها إلى الديوان، وهذا لترهيبهم من مغبة استمرار إعلان الحرب من طرف الإيالة على الدولة الفرنسية، حيث كان يقوم بتهويل الامر حول الاستعدادات العسكرية الفرنسية التي كانت تقوم بميناء طولون، مع العلم انه قام بإمداد حكومته بالمعلومات التي توفرت لديه عن الجزائر سواء منها السياسية والعسكرية وحتى الاقتصادية[2].

لقد جاء في رسائل دوسو ما يؤكد هذا الطرح بتخويف الجزائريين، على أن الحرب ستكون جد وخيمة على الإيالة، كما قام بذكر ما كان يحضره أميرال فرنسا السيد دستري Destré في ما يخص جيش القوات البحرية المدعم بسفن حربية قادرة على المناورة، وذكر أن هذا التحضير أقصاه الشهر المقبل[3].

---

[1] جون ب.وولف، الجزائر وأوروبا، المرجع السابق، ص 351.

[2] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص113.

[3] أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ص ص 23-32.

ظهر دستري على ساحل مدينة الجزائر في أواخر شهر جوان من سنة 1688م، وبدأ بقصف المدينة من أول جويلية إلى 16 من نفس الشهر، حيث يذكر المؤرخ Nettement أن عدد القذائف على مدينة الجزائر وصل إلى قرابة العشرة ألاف قذيفة[1]، أما محمد بن ميمون الجزائري فذكر أن هذا القصف خلف خسائر جسيمة بالأرواح وفي البنيان، وأصيب الداي نفسه بإحدى الشظايا في رأسه وأغرقت خمس مراكب جزائرية، أمام هذا الوضع قام الجزائريون بوضع حوالي أربعين فرنسيا من بينهم القنصل بيول Piolle في فوهات المدافع[2].

كانت هذه الحملة بقيادة دستري وحملتي دوكين السابقتين مألها الفشل، حيث لم تحقق الأهداف المرجوة من طرف الحكومة الفرنسية سواء تأديب الجزائريين كما يدعون أو تحطيم الأسطول الجزائري بالقصف العنيف وتحطيم المدينة كذلك، مما اضطر فرنسا بعدها بعقد معاهدة جديدة مع الداي حاجي حسين ميزومورتو في 25 سبتمبر من سنة 1689م[3]، لم تدخل تغييرات على هذه الأخيرة مقارنة بترتيبات معاهدة 1684م، حيث تناولت في مجملها قضية النزاعات القائمة بين الطرفين وقضية الأسرى[4]، كما أضيف بعض البنود الجديدة، منها الإتاوات التي كانت تدفع لقائد حامية عنابة والتي سوف تصب في الخزينة المركزية[5].

لقد عرفت العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ 1690 إلى غاية 1790م نوعا من الاستقرار ومالت السياسة الفرنسية إلى الأخذ ببعض نصائح قناصلها الذين رأوا أن الخصومات ألحقت أضرار بالتجارة

---

[1] Alfred Nettement, **Histoire de la Conquête d'Alger**, libraire Jacques le coffre, 1867, p114.

[2] محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبدالكريم، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 22.

[3] H De Grammont, "Un épisode diplomatique à Alger au 17ème siècle", **in R A**, vol 26, Alger, 1882, p131.

[4] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص 310.

[5] جمال قنان، العلاقات الجزائرية الفرنسية، المرجع السابق، ص 291.

أكثر مما ألحقته بالبحارة الجزائريين، كما وجهت تعليمات للقناصل تقضي بمخاطبة الدايات وأصحاب القرار في الجزائر بالود وعدم اللجوء إلى التهديد و التعالي[1].

في أواخر سنة 1805م ظهرت مشكلة تتعلق بامتياز استغلال الباستيون، فمنذ أن رد إلى الفرنسيين بمقتضى معاهدة 1801م، عرف حالة من الفوضى في التسيير، أدى إلى عدم انتظام دفع اللازمة في الأوقات المحددة، مما أوجد تراكمات ومخلفات مالية على الفرنسيين[2]، وهنا عاد البحارة الجزائريين إلى مهاجمة السفن الفرنسية في حوض البحر الأبيض المتوسط وأسر الرعايا الفرنسيين[3]، وبذلك قرر الداي أحمد باشا منح حق صيد المرجان بالقالة إلى الانجليز مقابل ضريبة سنوية ويكون حق الانتفاع لمدة عشر سنوات، وهكذا انتقل امتياز الباستيون إلى الانجليز، و وقع هذا الاتفاق كل من الداي احمد باشا والقنصل الانجليزي هنري بلانكي Henri Blanky في الأول من جانفي سنة 1807م، وكان ذلك سببا في توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا، وبدأ نابليون بونابرت في إرسال الضابط بوتان لعمل خطة احتلال للجزائر[4].

4: علاقة الباستيون بالنشاط الدبلوماسي بين فرنسا والجزائر:

رغم التقارب العثماني الفرنسي منذ عهد فرنسوا الأول وسليمان القانوني[5]، وولاء حكام الجزائر للسلطان العثماني، إلا أن التمثيل الدبلوماسي في الجزائر تأخر إلى وقت لاحق، وهذا بسبب رفض الجزائريين لأي تمثيل مسيحي صليبي فوق أراضيهم، ويرجع ذلك إلى الحملات الصليبية المتوحشة

---

[1] خطاب فطوم، **التحالف الأوروبي وتجدد العلاقات الجزائرية الفرنسية 1800-1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: شقرون الجيلالي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015، ص81.

[2] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص 200.

[3] يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر الحديثة**، ط2، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 92.

[4] خطاب فطوم، المرجع السابق، ص 90.

[5] Le Comte de Saint-Priest: **Mémoires sur l'Ambassade de France en Turquie**, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1877, p181.

التي اجتاحت الجزائر في وقت سابق، خصوصا ما تعرضت له الجزائر من حملات اسبانية بقيت عالقة في أذهان المجتمع الجزائري مما أدى إلى كره كل عنصر قادم من الضفة الأخرى، وكانوا غالبا ما يبررون ذلك بالرفض العام الذي كان يسود الجزائر حول هذا الموضوع ويظهر ذلك من خلال المراسلة التي بعثها حسن فنزيانوا إلى حكام مرسيليا بأنه لا يمكن قبول اعتماد قنصل فرنسي بالجزائر لأن ذلك لا يعجب التجار والمجتمع[1].

منذ تأسيس المراكز التجارية الفرنسية المعروفة بالامتياز أو الباستيون في الشرق الجزائري، فأصبح مطلب إقامة قنصلية فرنسية بالجزائر أكثر إلحاحا لتمثيل التجار والرعايا الفرنسيين العاملين في هذه المراكز، ورعاية مصالحهم لدى حكام الجزائر وأمام إلحاح السلطان العثماني تراجع الجزائريون عن رفضهم اعتماد قنصل فرنسي، وقد ساهمت في ذلك قضية الباستيون بشكل كبير في تنشيط العمل الدبلوماسي بين البلدين فالفرنسيون الذين يتمتعون بنفوذ كبير في الديوان السلطاني قد بدأت تتجلى أمامهم مطامع في الجزائر، والذين كان شغلهم الشاغل إعادة تأهيل وكالة الباستيون وملحقاته، لهذا لم يجدوا بدا من التفاوض المباشر مع حكام إيالة الجزائر بعد أن أعياهم طرق أبواب اسطنبول، أما الجزائريين فلم يتركوا فرصة تحمس الفرنسيين لقضية الباستيون ليؤكدوا للفرنسيين على استقلال شؤونهم الدبلوماسية عن الباب العالي[2].

وبحلول سنة 1619م شهد قدوم أكبر بعثة دبلوماسية جزائرية إلى فرنسا ضمت حوالي أربعين فردا برئاسة كل من كينان أغا و روزان باي، حيث تمكنوا من عقد أول معاهدة ثنائية مع فرنسا في 21مارس من نفس السنة[3]، ويمكن القول إن هؤلاء البحارة برغم إيجادتهم لعمليات العزو البحري أضحوا كذلك يتمتعون بحنكة دبلوماسية جعلتهم يحسنون التفاوض ما مكنهم من وضع البنود لتي

---

[1] لكحل الشيخ، **نشاط وكالة الباستيون**، المرجع السابق، ص 35.

[2] نفسه، ص 70.

[3] نفسه، ص 71.

تناسبهم وتناسب شروط الإيالة الجزائرية، ولا يعطون المفاوض ما يريد بدون مقابل، وكانوا في هذا يستغلون التنافس الأوروبي وأوضاع حوض البحر الأبيض المتوسط في تلك الحقبة لتحقيق مصالحهم السياسية والاقتصادية في أن واحد[1].

خلاصة:

لقد تعددت أدوار القناصل الفرنسيين بإيالة الجزائر، منها السياسية، الدبلوماسية، والتجارية، كما كانت نتيجة للوظائف المتعددة للقنصل ولحساب مصلحة بلاده وأحيانا المصلحة الشخصية للقنصل في حد ذاته، نجد أيضا:

– يعتقد الكثير من المؤرخين ممن عاصروا الأحداث بأن القناصل الفرنسيين كانوا يتذمرون من نقص النفقات، وهذا يبين لنا النظرة القاصرة للفرنسيين لوظيفة القنصل، لأنهم بهذا يفتحون أمامه الطريق لممارسة أنشطة ممنوعة قانونيا كالتجارة الممنوعة على القناصل بإيالة الجزائر، أو يكون عرضة للمساومات من أطراف أخرى كاليهود الذين يبتزونه لأغراضهم الخاصة، وربما يعمل استخباراتيا لصالحهم أو لجهات مناوئة للدولة الفرنسية.

– دخول بعض القناصل الفرنسيين في علاقات وطيدة مع دايات الجزائر، والنافذين في الدولة، مما يسهل لهم قضاء مصالحهم الشخصية ومصالح بلادهم، ولم يكن هذا الانتفاع من طرف القناصل فقط، بل حتى من الأطراف الجزائرية، حيث استفادوا من خدمة مصالحهم الخاصة.

– القناصل الفرنسيين تميزوا دائما عن أمثالهم من الأمم الأخرى، وحازوا على ثقة السلطات في الجزائر، وهذا في اعتقادي ربما عائد للمكانة التي حظيت بها فرنسا لدى إيالة الجزائر، كونها الصديق المسيحي الأقدم لها في العصر الحديث، والأقرب من حيث المسافة.

[1] عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية**، المرجع السابق، ص 56.

– نظرة القناصل والفرنسيين خصوصا للهدايا القنصلية على أنها ابتزاز للقنصل، بالرغم من أن الهدايا سمة من سمات حسن العلاقات والتعايش الحسن واحترم السلم والأمن الدوليين، في حين كانت هذه الهدايا تخضع للتدقيق من قبل الفرنسيين الذين كانوا يبحثون عن إبهار المتلقي بهدايا راقية أكثر من تقديم هدايا مكلفة أو باهضه، وكانوا يعتبرون على أنها عربون محبة وصداقة لا غير، ومن جهة أخرى فإن الجزائر كانت دائما تحرص على تقديم الهدايا للقناصل ولرجال السلطة في فرنسا، بما فيهم الملك، وهي أعراف متوارثة منذ عهود الخلافة الإسلامية.

– شكل القناصل الفرنسيين بسلوكياتهم الشخصية إما عنصر قلق، أو ارتياح للسلطات في الجزائر وهذا راجع لحذاقة القنصل في حد ذاته، أو لسلوكه المشين، مثلما حدث مع القنصل دوفال، مما انعكس على طبيعة العلاقات الجزائرية الفرنسية، بين السلم تارة والعداوة تارة أخرى.

– القناصل الفرنسيين لم يدخروا جهداً في سبيل خدمة المصالح التجارية الفرنسية، وعملوا على توسعها في الجزائر، واستغلوا في ذلك كل ما أتيح لهم من سبل مشروعة أو غير مشروعة، فقد كانت جل العلاقات البينية مبنية بالمحافظة على التجارة وسلامة الأساطيل .

– القناصل الفرنسيين اعتبروا أنفسهم المسؤولين عن الأسرى، وخصوصا القناصل اللازاريين، لذلك سعوا لتحريرهم بكل الطرق، والتخفيف من معاناتهم، خاصة وأنهم يتمتعون بحق الحامي غير الرسمي لهيئات افتداء الأسرى لجميع دول أوروبا، كما كانت صلاحيات القناصل الفرنسيين منحصرة في الغالب في جانب فدية الأسرى خصوصا في القرن السابع عشر، والذي تزامنت بعض فتراته مع ازدهار نشاط القرصنة الجزائرية، ومع تقدم الزمن بدأت تبرز للعيان صلاحيات أخرى للقناصل منها رعاية المصالح التجارية للفرنسيين والحصول على الامتيازات التجارية على سواحل الجزائر وخوض جولات من التفاوض الدبلوماسي في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

– فالعلاقات لم تتطور بين الجزائر وفرنسا بدون سبب، بل نجد أن زيارة الكثير من الفرنسيين للإيالة الجزائرية، كل واحد بصفة معينة و في مهمة خاصة، فمنهم الدبلوماسيين والأسرى وفئة أخرى من علية القوم منهم الطبيب والمهندس والمثقف، ممن أسروا في الجزائر لخطب ما، مثال ذلك: هايدو Haedo، ودان Dan، كانوا قساوسة يعملون على افتدى الأرقاء المسيحيين، وبعضهم مثل سانسون نابلون Napollon و دنيس ديسولت Dussault، وكول Cole كانوا رجال أعمال بصبغة دبلوماسية، وأحيانا ينتحلون صفة القناصل، ومرمول Marmol، و دوكين Duquesne من قادة الأساطيل، بينما كان مورقان Morgan، وشو Shaw، من الادباء والرحالة، وكان دولاكروا De La Croix عالما، بينما كانت السيدة بروتون Broughton زوجة أديبة لأحد القناصل، بينما بنانتي Pananti وهيز Hayes مؤرخان، أما فرانسيس نايت F: knight والدكتور اندرهيل Underhill، ودي روكفيل Rocqueville فقد كانوا من الأرقاء، كل هؤلاء ومعهم ثلة كبيرة من القناصل كانوا دبلوماسيين، ومنهم من كانت له مهام جاسوسية واستخبارتية ، أما ظاهريا فهم يعملون لتسهيل المصالح التجارية والسياسية لبلادهم، وفي الخفاء يشتغلون على معرفة مكامن الضعف في إيالة الجزائر، لبناء مخططات مستقبلية لضرب استقرار البلادالجزائرية وتسهيل عملية إحتلالها [1].

[1] جون ب وولف، الجزائر وأوروبا، المرجع السابق، ص 148.

بيبلوغرافيا الدراسة:

الارشيف:

1) 45 MIOM 7, GGA 1A 101, 7 November 1792.
2) **A CC M, série J, art 1377, objet Thomas jonville chancelier.**
3) A CCM, B 21, fol 344.
4) ACCM série J, ART, 1349, objet Dubourdieu.
5) ACCM série L III arT 259, objet, **Compagnie royale d'Afrique**, lettre de JB Germain agent à Alger.
6) ACCM Série L III Art 259, objet: compagnie royale d'Afrique, lettre de J B Germain à Alger, 1745-1751.
7) ACCM série j Art 1372 .
8) ACCM, série j, art 1369.
9) ACCM, série j, art 1372.
10) ACH M, dossier Algérie avant 1830, Lettre de Vallier à la chambre de commerce en date du 19 juillet 1796.
11) AE CC Vol 32 note sur le citoyen valliere consul a Alger le 24 messidor an IV, N° 25.

AE/B/I/115-AE/B/I/145 - F°205-206. (12

13) AE/CC Vol 45 Alger, 1819-1821.
14) AE/CC Vol 46 Alger, 1822-1824.
15) **Affaires étrangères. Correspondance reçue du consulat d'Alger (1642 -1792)** Inventaire analytique (AE/B/I/115-AE/B/I/145) Par M. Touili Archives nationales (France) Pierrefitte-sur-Seine 2000, F°146.
16) **Affaires Étrangères. Correspondance reçue du consulat d'Alger (1642 - 1792)** Inventaire analytique (AE/B/I/115-AE/B/I/145) Par M. Touili Archives nationales (France) Pierrefitte-sur-Seine 2000, F°127-137.
17) anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/hy52, 45 MIOM 21, GGA 1AA 33.
18) anom.culture.gouv.fr/archive/fonds/FRANOM_01001/view:164962 45 MIOM 7, GGA 1A 101.
19) ANP A E B3 310, **Rapport de l'agent principal à M Dubois thain ville**, la calle, le 30 fructudor, an VIII.
20) ANP, *Affaires Étrangères*, BI 115, f° 215-218, 222-223, 228-230.
21) ANP, *Affaires Étrangères*, BI 698, f° 246.

22) ANP, AE, B3/ 301, **Mémoire sur l'établissement de la compagnie royale d'Afrique, Marseille**, 1817.
23) Archives du Ministère des affaires étrangers mémoires et document Algérie http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr.
24) Archives Nationals de Paris (ANP), *Affaires Étrangères*, BI 115, f°193-194.
25) **Charles Thainville au ministre des Affaires étrangères**, Alger, 3 nivôse 9 (24 décembre 1800) : AMAE, Alger/35, f 183r.
26) Charles Thainville au ministre des Affaires étrangères, Alger, 10 mars 1808 : AMAE, Alger/39, f 72r.
27) **Correspondance de Napoléon** 1er, publiée par l'empereur Napoléon III, volume 7, paris, M D C CCL XI. Lettre N° 6124.
28) **http://aj.garcia.free.fr/site_hist_colo/livre1/L1p86.htm#1**.
29) http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr/ark:/61561/hy526tonsmh 45 MIOM 21, GGA 1AA 33.
30) **http://dakerscomerle.blogspot.com/2009/11/charles-francois-dubois-thainville.html**.
31) https://books.openedition.org/ugaeditions/127.
32) https://exode1962.fr/exode1962/en-savoir-plus/histoire-ancienne/arvieux/voyage.html.
33) LETTRE DE DUBOIS THAINVILLE A TALLEYRAND DU 18 BRUMAIRE AN IX [9 NOVEMBRE 1800] SUR LES ESCLAVES D'ORAN - CADN 22PO/1/33.
34) Lettre du citoyen Dubois-Thainville au Directoire, le13 messidor an VIII.
35) M Touili, **Affaires étrangères. Correspondance reçue du consulat d'Alger (1642-1792)**, Inventaire analytique (AE/B/I/115-AE/B/I/145), F°205-206.

المصادر والمراجع العربية والمعربة:

1) أبي القاسم بن عبد الله (بن خرداذبة)، **المسالك والممالك**، مطبع بريل، ليدن، 1889.
2) أحمد السليماني، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994.
3) احمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار 1754-1830**، تحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
4) أرزقي شويتام، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي 1519-1830**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.
5) أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011.

6) اوجان بلانتي، **مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1579- 1700**، ج3، تر: سلامنية بن داود، قوشام حفيظة، دار الوعي للنشر والطباعة، الجزائر، 2013.
7) ثريا فاروقي، **الدولة العثمانية والعالم المحيط بها**، ترجمة: حاتم الطحاوي، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2008.
8) ج أو هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج أو هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1731م)**، ترجمة وتعليق وتقديم: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008 .
9) جمال قنان، **العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830م**، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1997.
10) جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1800- 1830**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 1987.
11) جمال قنان، عبد مقلاتي، " نظرة حول العلاقات الجزائرية الاوروبية في العصر الحديث 1830/1550"، **مجلة المصادر**، مجلد 10، عدد2، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2008.
12) جون ب وولف، **الجزائر و أوروبا 1500- 1830**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعدالله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
13) جيمس لوندر، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
14) حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر)**، تعريب : محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982 .
15) حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر** دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
16) الشريف الزهار، **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار**، تح احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980.
17) صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تقديم وتحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
18) عبد العزيز العبيكان، **الحصانات والامتيازات الدبلوماسية والقنصلية في القانون الدولي**، العبيكان للنشر، السعودية، 2007.
19) عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830**، دراسة جغرافية المدن، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1972.
20) عثمان الكعاك، **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله و آخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
21) العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
22) عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

23) عمر أفا، **المغارب في العهد العثماني**، سلسة ندوات ومناظرات، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط.
24) عميراوي أحميده، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا انموذجا)**، دار الهدى، الجزائر، 2003.
25) فون مالتسان هنريش، **ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009.
26) فريد بنور، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
27) كاثكارت جيمس، **مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب** ، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
28) مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964.
29) محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
30) محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبدالكريم، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
31) محمد زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830**، دار دحلب، الجزائر، 1994.
32) منور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**، الجزائر، دار القصبة، الجزائر، 2009.
33) مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، دار الأمة، الجزائر، 2007.
34) ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
35) ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر في التاريخ في العهد العثماني**، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
36) ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2012.
37) وليام شالر، **مذكرات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**، تعريب وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
38) يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر الحديثة**، ط2، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

الرسائل الجامعية:

1) بليل رحمونة، **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية 1564-1830**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2010-2011.

2) بوشيبة ذهبية، **اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية**، أطروحة دكتوراه تاريخ، إشراف: حنيفي هلايلي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015.

3) جباري قرايفة، عثماني شعيب، **يهود البلاط والاقتصاد في الجزائر العثمانية ودورهم في نهاية الإيالة 1791-1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: جباري عثماني، جامعة حمة الأخضر الوادي، الجزائر، 2017-2018.

4) جودي زكريا، **دور الباستيون في النزاعات العسكرية بين الجزائر وفرنسا في القرن 17**، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، مجلد 4، عدد 1، مركز البحث للدراسات العسكرية، الجزائر، 2022.

5) حسان كشرود، **رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف فاطمة الزهراء قشي، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007.

6) حمدون بن عتو، **الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني1518-1830، من خلال كتب الرحالة والجواسيس ورجال الدين الكتابات الفرنسية والإسبانية نموذجا**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف: حنيفي هلايلي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016-2107.

7) خديجة حالة، **الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني 1700-1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أدرار، 2012-2013.

8) خطاب فطوم، **التحالف الأوروبي وتجدد العلاقات الجزائرية الفرنسية 1800-1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: شقرون الجيلالي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015.

9) دادة محمد، **اليهود في الجزائر في العهد العثماني من مطلع القرن 18 حتى 1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: محمد خير فارس، جامعة دمشق، سوريا، 1985.

10) رشيد مريخي، **الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا 1212-1220هـ/ 1798-1805م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2011/2010.

11) روابحية جهيدة، زعايمية سامية، **العلاقات العثمانية الفرنسية 1535-1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: محمد شرقي، جامعة8 ماي 1945، قالمة، 2016/2015.

12) زكريا العابد، **الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية**، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف: عميراوي أحميدة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007.

13) سارة العيدودي، نبيلة عبايدية، **التنظيم العسكري العثماني في الجزائر 1518- 1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: بوبكر حفظ الله، جامعة تبسة، 2008/2007.

14) عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694)**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف بالحميسي مولاي، جامعة الجزائر، 1984-1985.

15) عبد الرحمان نواصر، **مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقة البلدين في أواخر عهد الدايات**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: مختار حساني، جامعة غرداية، 2010-2011.

16) عبيدة مغزي مداني، **الأوضاع الاقتصادية السياسية ليهود الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1792-1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: ميسوم بلقاسم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015- 2016.

17) كمال بن صحراوي، **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر عهد الدايات**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف دحو فغرور، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، الجزائر، 2007-2008.

18) كنزة بركات، صمرة زروخي، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال عهد الدايات 1671-1830**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: أبوبكر الصديق حميدي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016-2017.

19) كرميش عزوز، **الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بداية القرن العشر إلى الثلث الأول من القرن التاسع عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف حمدادو بن عمر، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة احمد بن بلة، وهران، 2016/2015.

20) لكحل الشيخ، **نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من ق 17م**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: إبراهيم سعيود، جامعة غرداية، 2012-2013.

21) محمد بن سعيدان، **علاقات الجزائر مع فرنسا 1659-1756**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2011-2012.

22) مزهود سميرة، **التمثيل الدبلوماسي الأوروبي في الجزائر العثمانية 1830/1684 فرنسا نموذجا**، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: شدري معمر رشيدة، جامعة أكلي محند الحاج، البويرة، 2019/2018.

23) ميلودي لطيفة، **المجتمع الجزائري في العهد العثماني 1518-1830**، دراسة عامة لمدينة الجزائر، رسالة ماستر، جامعة سعيدة، 2012-2013.

24) نادية فتيسي، **أوضاع الجزائر من عهد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا 1766-1830 الأوضاع السياسية والاقتصادية نموذجا**، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف صالح فركوس، جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2017-2018.

الرسائل العلمية الاجنبية:

1) Louis cara, **Les Espagnols en Afrique, les relations politiques et commerciales avec la régence d'Alger de 1786- 1830**, Université de Bordeaux III, thèse doctorat 3eme cycle, dactylograhiee etude iberiques,1974.

المجلات العربية:

.

1) أبو القاسم سعد الله، " العلاقات الدبلوماسية الجزائرية الأمريكية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1776- 1830م" ، **مجلة المعرفة**، عدد 15، الجزائر، 1964.

2) بن أشنهوا، **الدولة الجزائرية في 1830**، ترجمة لعراجي نورالدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013.

3) بن حادة مصطفى، " قراءة في العلاقات الجزائرية الأوروبية من خلال القنصل شارل فليب فالير"، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، مجلد 2، عدد1، جامعة بن خلدون تيارت، 2019.

4) زينب جعني، " ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق 1800-1807"، **مجلة العصور الجديدة**، مجلد5، عدد 18، وهران، 2015.
5) سلمى عرفاوي، " الصراع الدولي في منطقة خلال الحملة الفرنسية على مصر 1798م و أوجاق الغرب دراسة وثائقية" ، **مجلة الملل الإلكترونية**، تركيا، 2018.
6) عبد الحميد أشنهو، " الدور الذي لعبته الجزائر خلال القرن السادس عشر"، ***مجلة الأصالة***، **مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية**، 2012، الجزائر، ص 302. علي تابليت، **العلاقات الجزائرية البريطانية 1540-1830**، مجلة الرواسي، العدد السابع، الجزائر، 1992.
7) العربي إسماعيل، " دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات"، **مجلة التاريخ وحضارة** العرب، عدد 12، 1974.
8) غالية بخاري، "*جان كريسكو في ضيافة المعهد الثقافي الفرنسي بوهران*" (القي كلمة حول علاقة نابليون والداي مصطفى)، **جريدة الجمهورية**، الجزائر، عدد1734، 24فيفري 2016.
9) فارس كعوان، "من مظاهر المثاقفة اللغوية في الجزائر العثمانية، لغة الفرنكا انموذجا"، **مجلة التاريخ المتوسطي**، مجلد 2، عدد1، جامعة بجاية، 2020.
10) فارس كعوان، "من مظاهر المثاقفة اللغوية في الجزائر، لغة الفرنكا انموذجا"، **مجلة التاريخ المتوسطي**، مجلد2، عدد1، جامعة بجاية، 2020.
11) فاطمة الدرعي، " مجالات التعامل الدبلوماسي بين الجزائر وأوروبا خلال العهد العثماني"، **مجلة الحوار المتوسطي**، مجلد 10، عدد3، 2020.
12) فريد بنور، "الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830م"، مجلة وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.
13) قندوز عبد القادر، "المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر ما بين 1741-1802"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مجلد 6، عدد 14، 2018.
14) مشوشة سمير، " ثنائية الجزائر وأوروبا بين التقارب المصلحي والتباعد العدائي في الحوض المتوسطي خلال القرن 11هـ/ 17م"، **مجلة مدارات تاريخية**، مج 1، عدد 3، 2019.
15) مولاي بالحميسي، "جانب من جوانب الصراع الجزائري الأوروبي الجوسسة الغربية في الجزائر العثمانية"، **مجلة الباحث**، عدد3، الجزائر، 1985.
16) ناصر الدين سعيدوني، "الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية نموذج مقاطعة دار السلطان"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، عدد 5-6، 1992.
17) الهوارية بوطيب، "منهجية يحي بوعزيز من خلال كتاباته التاريخية (المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد انموذجا)"، **مجلة البحوث التاريخية والاجتماعية**، مجلد1، عدد1، جامعة معسكر.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1) A Devoulx, **Armistice illimité conclu entre son excellence Mustapha pacha Dey d'Alger et le citoyen Charles François Dubois thain ville**,

les archives du consulat général de France à Alger, recueil de document inédits, bastide, Alger, 1865.

2) Abel Boutin, "Anciennes relations commerciales et diplomatiques de la France avec la Barbarie1515-1830", étude historique et Juridique, A Pedone, 1902.

3) Albert Devoulx, **Les archives du consulat général de France à Alger**, Marseille, 1863.

4) Alexander de Laborde, **Aux rois et aux Chambres sur les véritables causes de la rupture avec Alger**, truchy libraires, Paris, 1830.

5) Alfred Nettement, **Histoire de la Conquête d'Alger**, libraire Jacques le coffre, 1867.

6) Ali ilsmet Touati, **Le commerce du blé entre la Régence d'Alger et la France de 1559 à 1830**, Thèse Doctorat de histoire, sous la direction: Alain Blondy, Universités Sorbonne, Paris, 2009.

7) Anne Mézin, **La fonction consulaire dans la France d'Ancien Régime**.

8) Anne Mézin, "Les consuls de France au siècle des lumières 1715-1792", **imprimerie nationale**, paris.

9) Augustin Bernard, **Histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France**, T2, l'Algérie, librairie Plon, paris.

10) Aurlien Fayet-Michelle Fayet, L'Histoire **de France, 2ème Edition, Groupe Ayrolle**, Paris.

11) Bignon M, **Histoire de France depuis le 18 brumaire(Novombre1799) jusqu'à la paix de tilsitt juillet1807**, T2, édition originale, paris, 1832.

(12 Blismon, **Topographie et histoire du royaume de la ville d'Alger**, suivie d'une notice très détaillée sur les opérations de l'armée expéditionnaire jusqu'à la prise d'Alger en 1830.

13) Boyer piérre, "Le problème koulougli dans la régence d'Alger", in **Revue de l'occident musulman et de la méditerranée**, N° Spécial, II Emme congrès intentionnel, études nord d'africaines, 1970.

14) CEuvres de louis 14, **lettres particuliers**, T5, Treuttel et wurtg libraire, Lille, 1806.

15) Charles André julien, **Histoire de l'Afrique du nord des origines a 1830**, édition, Talankit, bejaia, 2015.

16) Charles roux François, " Bonaparte et l'indigène d'Egypte, Bonaparte à Alexandre", **in R études Napoléoniennes**, Tome XXIII, Juillet décembre, 1924.

17) Charles Feraud, **Histoire des villes de la province de Constantine, La calle et documents, pour servir à l'histoires des anciennes concessions française d'Afrique**, Alger, 1877.

18) Claud Boulard, "Les consuls Français dans la régence d'Alger 1518-1827" , **L'Algérianiste**, n°54 juin 1991.

19) Clermont Fernand, **Notice statistique et historique sur le royaume et la ville d'Alger**, Thibaut haudroit, paris, 1830.

20) Courtinot Roland, **La piraterie barbaresque en Méditerranée au XVI-XIX^{ème}**, Ed jaques gandini, paris, 2003.

21) D'abbeville sanson, **l'Afrique en plusieurs cartes nouvelles et exactes et en divers traités de géographie et d'histoire**, paris, 1656.

22) Denise Brahimi, **Opinions et Regards des Européens sur le Maghreb aux XVII et XVIII ^{ème} siècle**s, édition et de diffusion, Alger, 1978.

23) Depont octave, Coppola ni Xavier, **La confrérie religieuse musulmane**, publié sous le patronage de M. j, combon, Adolphe Jordanne, Alger, 1897.

24) Devoulx A, **Tachrifat, recueil des notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alge**r, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852.

25) Dzanic Dzavid, **The Civilizing Sea:The Ideological Origins of the French Mediterranean Empire, 1789-1870**, Doctoral dissertation of history, Advisor: David Armitage, Harvard University, Graduate School of Arts & Sciences, 2016.

26) E Plantet, **Correspondance des deys de Tunis et des consuls de France avec le cour 1577- 1830**, T3, Félix Alcan édition, paris.

27) Edouard Cat, **Petite Histoire de l'Algérie Tunisie –Maroc**, T 1, Adolphe Jourdan, Alger, 1888.

28) Esquer G, **Le commencement d'un empire, la prise d'Alger 1830**, Ed la rose, paris, 1929.

29) Esterharzy Walsin, **De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger,** Charles Gosselin, paris, 1840.

30) Eugène Plantet, **Consuls de France à Alger avant la Conquête (1579-1830),** compte-rendu, Annales d'histoire économique et sociale, T3, librairie Armand Colin, Paris, 1931.

31) Eugène Plantet, **Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833**, T1, librairie Felix Alcan, paris, 1889.

32) Fabrice Brandli, "Le personnel diplomatique de la résidence de France à Genève : profil social et culture politique (1679-1798)", **Etudes de Lettres**, n 3, 2010.

33) Favre F*,* **Le véritable récit de la rédemption faite en Alger l'année passée 1644 par les religieux de l'ordre de Nostre Dame de la Mercy**, **& rédemption des captifs***, Louis Feugé, Paris, 1645.*

34) Gabriel esquer, **Les commencements d'un empire**, **La prise d'Alger 1830**, Edité par Larose, 1929, paris, 1929.

35) Gabriel Esquer, **Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger (1808) des Mémoires sur Alger (1791), (1809) par le chef de bataillon Boutin par les consuls de Kercy et Dubois-Thainville** , H Champion, paris, 1927.

36) Gaffarel Paul, **l'Algérie, histoire, conquête et colonisation**, Firmin didot, paris, 1883.

37) Gillian weiss, "Captives and corsairs France and slavery in the early modern Mediterranean", **press Stanford**, California, 2011.

38) Godfrey Fisher, **Légende Barbaresque-Guerre, et Piraterie en Afrique du Nord de 1514 à 1830**, Traduit et Annoté par: Farida Hellal, Office de Publications Universitaires, Alger, 2002.

39) H De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830**, ernest leroux éditeur, paris, 1887.

40) H Garrot, **L'histoire générale de l'Algérie**, imp crescendos voutes, Algérie, 1910,

41) H De Grammont, **Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVII^{ème} siècle,** quatrième partie, Les Consuls lazaristes et le chevalier d'Arvieux (1646-1690), Adolphe Jordan libraire éditeur, Alger, 1885.

42) H De Grammont, **Correspondance des Consuls d'Alger1690-1742**, Adolph Jordan, Ernest Leroux- Paris, 1890.

43) Hanoune j, **Aperçus sur les israélites algériens et sur la communauté d'Alger**, Ed bastide, Jourdan, 1922.

44) Henri Garrot, **Histoire générale d'Algérie**, Imprimerie P Crecenzo, Voutes Bastion nord, Alger, 1910.

45) Jean-Baptiste labat, **Mémoire du chevalier D' arvieux**, de l'ordre des Frères Prêcheurs, T5, Paris, M. DCC.XXXV.

46) Laugier De Tassy, **Histoire du Royaume d'Alger,** Henri du Sauzet, Amsterdam, 1725.

47) Laugier de Tassy, **Histoire du royaume d'Alger**, chez Henri du zauzet, Amsterdam, 1725.

48) Le Comte de Saint-Priest: **Mémoires sur l'Ambassade de France en Turquie**, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1877.

49) Léspés René, **Alger étude de géographie et d'histoire urbaines**, Felix Alcan, paris, MCM, XXX.

50) Lucien chaillou**, Textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XIII siècle**, paris, 1979.

51) M louis Moreri, **Nouveau supplément au grand dictionnaire historique**, T1, jacques Vincent, paris, 1732,.

52) Mainz Ernest, **Les juifs d'Alger sous la domination turque**, Journal asiatique, T CC XL, 1952.

53) Patrick Boulanger, "Les appointements des consuls de France à Alger au XVIII**ème** Siècle, in La fonction consulaire", **Presses Universitaires de Rennes**.

54) Paul Masson, " Histoire des établissements et du commerce (1560-1793)", **libraire hachette et Cie**, paris, 1903.

55) PH Boucher, **La révolution de la justice**, édition jean pierre de manza, paris, 1989.

56) Pierre Dan, **Histoire de Barbarie et de ses corsaires**, pierre récolte, 2eme édition, paris, 1664.

57) R Monnet, **Manuel diplomatique et consulaire**, Berger- Levrault et Cie Edition, Paris, 1905.

58) Rinn Louis, **Marabouts et khouane, étude sur l'Islam en Algérie avec une carte indiquant la marche, la situation et l'importance des ordres religieux musulmans**, Adolphe Jourdan, Alger, 1884.

59) Said boutarfa, **Colonisation de l'Algérie et symbolisme coloniale aux origines de la discorde**, librairie Gallimard, paris, 2015.

60) Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, traduit de l'anglais par j Mac Cathy, 2éme édition, édition bouslama, Tunis, 1980.

61) Windler, Christian, **La diplomatie comme expérience de l'Autre Consuls français au Maghreb (1700-1840)**, Genève, Librairie Droz, 2002.

المجلات الاجنبية:

1) A Berbrugger, "La régence d'Alger sous le consulat et l'empire", **in R A**, N° 19, 1872, é d Jourdan, Alger.

2) Abel Boutin," Anciennes relations commerciales et diplomatiques de la France avec la Barbarie, 1515-1830", **Etude historique et juridique**, A. Pedone, 1902, p337

3) Abla Gheziel, "La politique des deys d'Alger a la veille de la conquête française 1730-1830", **Revue el mawaquif**, 2011.

4) Charles Féraud, "Époque de L'établissement des Turcs à Constantine", **in R A**, V10, 1866.
5) Charles André Julien, "Marseille et la question d'Alger à la veille d'une conquête", **in R.A.**, N°60, Alger, 1919.
6) Colombe marcel, "Contribution à l'étude du recrutement de l'odjak" ,**in R A**, Algérie, 1945.
7) Dahran H, "La mission du commissaire général Dubois thain-ville auprès du dey d'Alger", **Revue historique et des colonies**, 1926.
8) Daniel Panzac, "Les esclaves et leurs rançons chez les barbaresques fin de XVIII**ème** début XIX**ème** siècle "**, Cahiers de la Méditerranée**, V 65, 2002.
9) Déhérain Henri, " La mission du commissaire général Dubois Thain-ville, auprès du dey d'Alger an 1800-1801", **Revue de l'histoire des colonies françaises**, T19, 1926.
10) Delphin G, "Histoire des pachas d'Alger de 1515 à 1745", **in Journal Asiatique**, 1925.
11) Eisenbeth M**, Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque,** in R A, 1515-1830, Algerie, 1952.
12) Emerit Marcel, "Voyage de la Condamine à Alger 1731", **in RA**, 1954.
13) F. Elie de La Primaudaie, "Le commerce et la navigation de l'Algérie", **Revue Algérienne et coloniale**, 1860.
14) Gossez Alphonse Marius, "Les Trois coups de chasse- mouches au consul Deval", in La révolution de 1848 et les révolutions du XIX siècle, T28, N° 138, **presse**, 1931.
15) Grillon Pierre, "En Marge d'un manuscrit du XVI**ème** siècle", **in Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb**, 1966, N° 1.
16) Guillaume Calafat A, " Nest of pirates, consuls and diplomatic intermediaries in Algiers during the 1670s", N° 84/02, **dipartimento di storia culture**, religio, spainza, 2018.
17) Guillaume Calafat, "A (Nest of Pirates) Diplomatic Mediators in 1670s Algiers", **École française de Rome**/Université Paris I Panthéon-Sorbonne, paris, 2018.
18) H De Grammont, "La mission de Sanson Le page 1633-1646", **in R A**, vol 23.
19) H De Grammont, "La mission de Sanson napollon 1628-1633", **in R A**, vol 23.
20) H De Grammont, "Un épisode diplomatique à Alger au 17ème siècle", **in R A**, vol 26, Alger, 1882.

21) J Dakhlia, " Lingua franca, histoire d'une langue métisse en Méditerranée", **Arles**, **Actes Sud**, 2008.

22) Jacques caillé, "le consuls jéan baptiste estelle et le commerce de la France au marauc à la fin de XVIII^{ème} siècl*e*, autre mers", **revue d'histoires**, **persée**, 1959.

23) Marcel Emérit, "Voyage de la Condamine à Alger 1731", **in RA**, V 98, Alger, 1954.

24) Mathiex J, " Trafic et prix de l'homme en Méditerranée aux XVIIe et XVIIIe^{ème} siècles ", *in* **A.E.S.C.** N° 9, 1954 .

25) Mehdi Jerad, "La préséance française dans la régence de Tunis, perçue par le consul suédois Jean Antoine Molinari (1764-1778)", in Mehdi JERAD (dir.), **Le cérémonial dans les sphères politiques et religieuses à travers les âges**, Regroupement Latrach des Livres Spécialisés, (Faculté des Sciences humaines et sociales de Tunis, **Laboratoire Histoire des économies et des sociétés méditerranéennes**, 2017.

26) MJ M Haddey, **Le livre d'or des israélites algériens (recueils des renseignements inédits et authentique sur les principaux négociants juifs pendant la période turque)**, Cercle de généalogie juive, Paris, 2005.

27) Morgan j, **Histoire des etats barbaresques qui exercent in piraterie**, T2, chaubert et hérissant, paris, M. D CC, L V II.

28) Moulay belhamissi, **Histoire de la marine algérienne (1516-1830)**, 2eme éd, ENAL Alger, 1986, Tome3.

29) Moulay Belhamissi, **Marine et Marins d'Alger 1518-1830**, 3T, Bibliothèque Nationale d'Algérie, Alger, 1996, T3.

30) Octave Teissier, **Inventaire des archives historiques de la Chambre de Commerce de Marseille**, Marseille, 1898.

31) Pierre Boyer, " l'Algérie en 1781 mémoire du consul c. ph. Vallières ", **Revue de l'occident musulman et de la méditerranée**, N° 18, Persée, 1974.

32) Rinn louis, **"** Le royaume d'Alger sous le dernier dey **", in R A**, 41eme, N° 225, 1897.

33) Vanezia Parlea, " Le chevalier d'Arvieux, consul de France à Alger et à Alep**",**

34) Vanezia Parlea, " Le chevalier d'Arvieux, Éléments biographiques et parcours viatique",

35) Vayssettes E, " Histoire des derniers beys de Constantine depuis 1793 jusqu' à la chute d'Hadj Ahmed", **in R A**, N° 4, 1858.

الموسوعات:

1) الموسوعة العربية الميسرة.
2) فرنسوا جورج دريفيوس وأخرون، **موسوعة تاريخ أوروبا والعالم، (أوروبا من عام 1789الى أيامنا)**، ط1، ج3، ترجمة حسين حيدر، منشورات عويدات، بيروت، 1995.

الفهرس:

العنـــــــــــــــــوان	الصفحة
الإهداء	1
مقدمة	2
الفصل الأول: التعريف ببعض القناصل وعلاقاتهم مع حكام الجزائر	4
المبحث الاول: المسار الدبلوماسي للقنصل الفارس دارفيو(chevalier D'arvieux) 1675-1674	4
لمحة تاريخية عن القنصل الفارس دارفيو	4
ولادته ونشأته	4
دراسته ورحلته إلى الشام والجزائر	5
زواجه وتقاعده ثم وفاته	7
رحلة دارفيوا كمبعوث خاص إلى الجزائر برتبة قنصل	8
نزول القنصل دارفيوا إلى مدينة الجزائر وانطباعه عن الداي وصهره	11
دور القنصل دارفيوا في حل قضايا الأسرى من كلا الجانبين	14
جهود القنصل دارفيو في حل قضية الباستيون وانتقال السيادة إلى السيد دولافونت بعد موت أرنوا	18
أهم الأعمال المميزة للقنصل دارفيوا بإيالة الجزائر	24
خلاصة	25
المبحث الثاني:المسار الدبلوماسي للقنصل شارل فليب فالييرes (Philippe Valliére) 1796-1791	26
لمحة تاريخية عن القنصل فالييير	27
وصول القنصل فالييير إلى الجزائر	29
محاولة القنصل فالييير إرضاء الداي وإبعاد الإنجليز عن ملكية المراكز التجارية	30
صورة الجزائر العثمانية على ضوء ملاحظات القنصل فالييير	32

التشكيلات السياسية لإيالة الجزائر على ضوء كتابات فالبير	36
التوتر بين الجزائر وفرنسا حول عدم وصول السفينة الفرنسية لإيفاد مبعوث الداي إلى إسطنبول	38
مفاوضات القبطان سوفران حول السلام وتحرير القنصل فالبير من سجنه	45
أهم الأعمال المميزة للقنصل فالبير بإيالة الجزائر	48
خلاصة	49
المبحث الثالث: المسار الدبلوماسي للقنصل ديبوا تانفيل Charles Francois Debois than-ville 1800-1814	50
لمحة تاريخية عن القنصل ديبوا تانفيل	50
وصول القنصل ديبوا تانفيل إلى الجزائر	51
رسالة ديبوا تانفيل للوزير تاليران لطلب المستحقات المالية لرحلته للجزائر سنة 1798	57
الوساطة بين ديبوا تانفيل واليهوديان بكري وبوشناق	58
تقرير القنصل ديبوا تانفيل للوزير تاليران حول مناورات الأدميرال الإنجليزي كيث لدى مجلس الداي سنة 1800	62
تقرير القنصل ديبوا تانفيل حول وضعية الأسرى	65
تقرير ديبوا تانفيل حول أسرى وهران سنة 1800	65
تقرير ديبوا تانفيل حول الأسرى الفرنسيين بتونس 1800	68
تقرير ديبوا تانفيل حول حادثة الاعتداء على السفينة الفرنسية الجانحة قرابة السواحل الجزائرية	68
مشاريع القنصل ديبوا تانفيل في القرن التاسع عشر لخدمة المشروع الاستعماري	73
أهم الأعمال المميزة للقنصل ديبوا تانفيل بإيالة الجزائر	91
خلاصة	92
المبحث الرابع: مسار القنصل بيار دوفال (Pierre Deval) 1815-1827:	94

لمحة تاريخية عن القنصل بيار دوفال (1815-1827)	96
مهمة القنصل دوفال في ظل عودة أسرة البو ربون إلى السلطة	98
زيارة القنصل دوفال لقصر الداي عشية العيد لتهنئته	101
أهم الأعمال المميزة للقنصل دوفال بإيالة الجزائر	103
خلاصة	106
الفصل الثاني: القناصل وصلاحياتهم	108
المبحث الأول: مهام وأدوار القناصل الفرنسيين بإيالة الجزائر	108
الدور السياسي والدبلوماسي	109
القناصل والهدايا	109
المبحث الثاني: القناصل ومسار الاتفاقيات والمعاهدات	119
-معاهدة سلم وتجارة لعام 1801م	122
-معاهدة اقتصادية لسنة 1817م	122
-معاهدة تجارية لعام 1820	123
المبحث الثالث: القناصل والدور التجاري	126
حماية المصالح التجارية لتجار مرسيليا	126
بسط النفوذ التجاري بسواحل الجزائر	135
وساطة القناصل في تحرير الأسرى	141
القناصل وافتداء الأسرى	142
القناصل ومسألة هروب الأسرى	149
المبحث الرابع: العلاقات والأدوار الخفية للقناصل الفرنسيين بإيالة الجزائر	151
علاقات القناصل مع اليهود	152
التعاون الدبلوماسي والتجاري بين اليهود والقناصل	158
الجوسسة والتخابر واختلاق المشاكل من طرف القناصل	162

المبحث الخامس: المراكز التجارية (الباستيون) ودورها في عملية التجسس:	171
تأسيس مركز الباستيون	172
انتهاك فرنسا للمعاهدات الخاصة بالباستيون ورد فعل إيالة الجزائر	172
دور الباستيون في عملية الجوسسة	182
علاقة الباستيون بالنشاط الدبلوماسي بين فرنسا والجزائر	185
خاتمة	187
بيبلوغرافيا	190
الفهرس	204

المؤلف في سطور

الدكتور موسى العاشوري مواليد 19/08/1973 بكوينين الوادي

متحصل على بكالوريا آداب وفلسفة سنة 2012

متحصل على شهادة الليسانس تاريخ عام

سنة 2015 بجامعة الشهيد حمه الأخضر بالوادي

متحصل على شهادة الماستر تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

سنة 2017 بجامعة الشهيد حمه الأخضر بالوادي

متحصل على شهادة الدكتوراه تاريخ حديث ومعاصر

سنة 2024 من جامعة سوسة بتونس

كل الحقوق محفوظة ©

ISBN : 978-9969-9775-1-6

9 789969 977516

طباعة وإشهار

032.21.28.50

0782.29.00.87

حي الإستقلال - كوينين ولاية الوادي

almassapub39@gmail.com